منظومة مائة المعاني والبيان لابن الشحنة الحنفي (749 هـ –815 هـ)

المقدِّمة

1	الحَمْدُ للهِ وَصَلَّى اللهُ	عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ
2	مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَسَلَّمَا	وَبَعْدُ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنِّيْ أَنْظِمَا
3	فِي عِلْمَيِ الْبَيَانِ وَالْمَعَانِيْ	أُرْجُوزَةً لَطِيْفَةَ الْمَعَانِيْ
4	أَبْياتُهَا عَنْ مِائَةٍ لَمْ تَزِدِ	فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَسَدِ
5	فَصَاحَةُ الْمُفْرَدِ فِيْ سَلامَتِهْ	مِنْ نُفْرَةٍ فِيْهِ وَمِنْ غَرابَتِهْ
6	وَكَوْنِهِ مُخَالِفَ الْقِيَاسِ	ثُمَّ الْفَصِيحُ مِنْ كَلامِ النَّاسِ
7	مَا كَانَ مِنْ تَنَافُرٍ سَلِيمَا	وَلَمْ يَكُنْ تَأْلِيْفُهُ سَقِيمَا
8	وَهْوَ مِنَ التَّعْقيدِ أَيْضاً خَالِيْ	وإِنْ يَكُنْ مُطابِقاً لِلْحَالِ
9	فَهْوَ الْبَلِيْغُ، وَالَّذِي يُؤَلِّفُهْ	وَبِالْفَصِيحِ مَنْ يُعَبِّرْ تَصِفُهْ
10	وَالصِّدْقُ أَنْ يُطَابِقَ الْواقِعَ مَا	يَقُولُهُ ، وَالْكِذْبُ أَنْ ذا يُعْدَما

الفَنُّ الأولُ: علمُ المعاني

11	وَعَرَبِيُّ اللَّفْظِ ذُو أَحْوَالِ	يَأْتِيْ بِهَا مُطَابِقَا لِلْحَالِ
12	عِرْفانُهَا عِلْمٌ هُوَ الْمَعَانِيْ	مُنْحَصِرُ الأَبْوابِ فِي ثَمَانِ

بابٌ : أحوالُ الإسنادِ الخبريّ

13	إِنْ قَصَدَ الْمُخْبِرُ نَفْسَ الْحُكْمِ	فَسَمِّ ذا فائدَةً ، وَسَمِّ
14	إِنْ قَصَدَ الإِعْلامَ بِالْعِلْمِ بِهِ	لازِمَهَا، وَلِلْمَقَام انْتَبِهِ
15	إِنِ ابْتِدائِيّاً فَلا يُؤَكَّدُ	أَوْ طَلَبِياً فَهْوَ فِيْهِ يُحْمَدُ
16	وَ واجِبٌ بِحَسَبِ الإِنْكَارِ	وَيَحْسُنُ التَّبْدِيلُ بِالْأَغْيارِ
17	وَالْفِعْلُ أَوْ مَعْنَاهُ إِنْ أَسْنَدَهُ	لِمَا لَهُ فِي ظَاهِرٍ ذا عِنْدَهُ
18	حقيقَةٌ عَقْلِيَّةٌ ، وَإِنْ إِلى	غَيْرٍ مُلابِسٍ مَجَازٌ أُوِّلا

الباب الثاني: أحوال المسند إليه

19	الْحَذْفُ لِلصَّوْنِ وِ لِلْإنْكَارِ	وَالِاحْتِرَازِ أَوْلِلاخْتِبَارِ
20	وَالذِّكْرُ للتَّعْظِيمِ وَالإهانَةِ	وَالْبَسْطِ والتَّنْبِيهِ والْقَرِينَةِ
21	وَإنْ بإضْمارٍ يَكُنْ مُعَرَّفا	فَلِلْمَقاماتِ الثَّلاثِ فاعْرِفا
22	وَالأصْلُ في الْخطابِ لِلْمُعَّيَّنِ	وَالتَّرْكُ فِيْهِ لِلْعُمُوم الْبَيِّنِ
23	وَعَلَمِيَّةٌ فَلِلإحْضارِ	وَقَصْدِ تَعْظِيمٍ أوِ احْتقارِ
24	وَصِلَةٌ لِلْجَهْلِ والتَّعْظيمِ	للشَّأْنِ وَالإيماءِ والتَّفْخيمِ
25	وَبإِشارَةٍ لِذي فَهْمٍ بَطِيْ	في الْقُرْبِ والْبُعْدِ أوِ التَّوسُّطِ
26	وَ أَلْ لِعَهْدٍ أَوْ حَقيقةٍ وَقَدْ	تُفيدُ الِاسْتِغْراقَ أَوْ لِما انْفَرَدْ
27	وَبإضافَةٍ فَلِاخْتِصارِ	نَعَمْ وَلِلذَّمِّ أوِ احْتِقارِ
28	وَإنْ مُنَكَّراً فَلِلتَّحْقيرِ	وَالضِّدِّ وَالإفْرادِ والتَّكْثيرِ
29	وَضِدِّهِ ، وَالْوَصْفُ للتَّبْيينِ	وَالْمَدْحِ والتَّخْصيصِ والتَّعْيينِ
30	وكَوْنُهُ مُؤَكَّداً فَيَحْصُلُ	لِدَفْعِ وَهْمِ كَوْنِهِ لا يَشْمَلُ
31	والسَّهْوِ والتَّجَوُّزِ الْمُباحِ	ثُمَّ بَيانُهُ فلِلإيضاحِ
32	بِاسْمٍ بِهِ يَخْتَصُّ ، وَالإبْدال	يَزيدُ تَقْرِيراً لما يُقالُ
33	وَالْعَطْفُ : تفصيلٌ معَ اقْترابِ	أَوْ رَدُّهُ سامعٍ إلى الصَّوابِ
34	والفَصْلُ للتَّخْصيصِ ، والتَّقْديمُ	فلاهْتمامٍ يَحْصُلُ التَّقْسيمُ
35	كالأصْلِ ، والتَّمْكينِ والتَّعَجُّلِ	وَقَدْ يُفيدُ الاخْتصاصَ إنْ وَلِيْ
36	نَفْياً ، وَقَدْ على خلافِ الظَّاهرِ	يَأْتي كَالَاوْلَى وَالْتِفاتٍ دائرِ

الباب الثالث : أحوالُ المُسْنَدِ

37 لِمَا مَضَى التَّرْكُ معَ الْقَرينهْ … والذِّكْرُ أوْ يُفيدُنا تَعْيينهْ

38 وَكَونُهُ فِعْلاً فَلِلتَّقْيُّدِ … بالوَقْتِ معْ إفادَةِ التَّجَدُّدِ

39 وَاسْماً فَلِانْعِدامِ ذا ومُفْرَدَا … لأنَّ نَفْسَ الحُكْمِ فيهِ قُصِدَا

40 والفِعْلُ بالمِفْعُولِ إنْ تَقَيَّدَا … وَنَحْوِهِ فَلِيُفيدَ زائدَا

41 وَتَرْكُهُ لِمانِعٍ منْهُ وَإنْ … بالشَّرْطِ باعْتبارِ ما يَجيءُ مِنْ

42 أداتِهِ، والْجَزْمُ أصْلٌ في (إذا) … لا (إنْ) وَ(لَوْ) ولا لِذاكَ مَنْعُ ذا

43 وَالوَصْفُ والتَّعْريفُ والتَّأخيرُ … وَعَكْسُهُ يُعْرَفُ والتَّنْكيرُ

الباب الرابع : أحوال متعلقات الفعل

44 ثُمَّ معَ الْمفعولِ حالُ الفِعْلِ … كحالِهِ معْ فاعلٍ مِنْ أجْلِ

45 تَلَبُّسٍ لا كَوْنِ ذاكَ قدْ جَرَى … وَإنْ يُرَدْ إنْ لم يكُنْ قدْ ذُكِرَا

46 النَّفْيُ مُطْلَقاً أوِ الْإثْباتُ لهْ … فذاكَ مِثْلُ لازِمٍ في الْمَنْزلهْ

47 مِنْ غَيْرِ تقْديرٍ وَإلا لَزِمَا … وَالحذْفُ للْبَيانِ فيما أُبْهِمَا

48 أوْ لِمَجيءِ الذِّكرِ أوْ لِرَدِّ … تَوَهُّمِالسّامِعِ غَيرَ الْقَصْدِ

49 أوْ هُوَ للتَّعْميمِ أوْ لِلْفاصِلهْ … أوْ هُوَ لِاسْتِهْجانِكَ الْمُقابَلهْ

50 وَقَدِّمِ الْمَفْعُولَ أوْ شَبيهَهُ … رِدّاً على مَنْ لم يُصِبْ تَعْيينهُ

51 وَبَعْضَ مَعْمولٍ على بَعْضٍ كَما … إذا اهْتمامٌ أوْ لِأصْلٍ عُلِمَا

الباب الخامس : القصر

52 الْقَصْرُ نَوْعانِ: حَقِيقيٌّ –وَذَا … نَوْعانِ– والثّانِيْ: إضافِيٌّ كَذَا

53 فَقَصْرُ صِفَةٍ على الْمَوْصُوفِ … وَعَكْسُهُ مِنْ نَوْعِهِ الْمَعْروفِ

54 طُرُقُهُ النَّفْيُ والِاسْتِثْنَا هُمَا … وَالْعَطْفُ والتَّقْديمُ ثُمَّ إنَّمَا

55 دلالَةُ التَّقْديمِ بِالْفَحْوَى وَمَا … عَدَاهُ بالْوَضْعِ ، وَأَيْضاً مِثْلَمَا

56 الْقَصْرُ بَيْنَ خَبَرٍ وَالْمُبْتَدَا … يكونُ بينَ فاعلٍ وما بَدَا

57 مِنهُ فَمَعْلومٌ وقَدْ يُنَزَّلُ … مَنزِلَةَ الْمَجْهولِ أوْ ذا يُبْدَلُ

الباب السَّادسُ : الإنشاء

58	يُسْـتَدْعَى الإِنْشـاءُ إذا كـانَ طَلَـبْ	مـا هُـوَ غَيْـرُ حاصـلٍ ، والْمُنْتَخَـبْ
59	فيْـــهِ التَّمَـــنِّيْ ولَـــهُ الْمَوْضـــوعُ	لَيْـــــتَ وإنْ لم يكـــــنِ الْوُقـــــوعُ
60	وَ(لَوْ) وَ(هَلْ) مِثْلُ (لَعَلَّ) الدَّاخِلهْ	فِيْـــهِ ، وَالِاسْـــتِفْهامُ وَالْمَوْضـــوعُ لَـــهْ
61	(هَلْ)(هَمْزَةٌ)(مَنْ)(ما)وَ(أيٌّ)(أيْنا)	(كَـمْ)(كيْـفَ)(أيَّـانَ)(مَـتَى)وَ(أَنَّى)
62	فَـ(هَـلْ) بِهَـا يُطْلَـبُ تَصْـديقٌ وَمـا	(هَمْـزاً) عَـدَا تَصَـوُّرٌ وَهْـيَ هُمَـا
63	وَقَــــدْ لِلاسْــــتِبْطاءِ والتَّقْريــــرِ	وَغــــيرِ ذا يكــــونُ والتَّحْقــــيرِ
64	وَالْأمْـرُ وهْـوَ طَلَـبُ اسْـتِعْلاءِ	وَقَـــدْ لِأنْـــواعٍ يكـــونُ جـــائيْ
65	والنَّهْـيُ وَهْـوَ مِثْلُـهُ بِـ: (لا) بَـدَا	وَالشَّـــرْطُ بَعْـــدَها يجـــوزُ، والنِّـــدا
66	وَقَـــدْ لِلِاخْتِصـــاصِ والْإغْـــراءِ	تجـــيءُ ثُمَّ مَوضـــعَ الْإنْشـــاءِ
67	قَـــدْ يَقَـــعُ الْخَبَـــرُ للتَّفـــاؤلِ	والْحِـــرْصِ أوْ بِعكْـــسِ ذا تأمَّـــلِ

الباب السَّابعُ : الفصل والوصل

68	إنْ نُزِّلَـتْ ثانيـةٌ مِـنْ ماضـيهْ	كنَفْسِـــها أوْ نُزِّلَـــتْ كالْعاريـــهْ
69	فافْصِـلْ ، و إنْ تَوَسُّـطٌ فالْوَصْـلُ	بِجَـــامِعٍ أرْجَـــحُ ، ثمَّ الْفَصْـــلُ
70	بمـا لِحـالٍ أصْـلُها قـدْ سَـلِما	أصْـــلٌ وإنْ مُـــرَجحٌ تَحَتمـــا

البابُ الثامنُ : الإيجاز والإطناب

71	توفيـــةُ المـــرادِ بالنَّـــاقصِ مِـــنْ	لفـــظٍ لـــه الْإيجـــازُ والإطنـــابُ إنْ
72	بزائـــدٍ عَنْـــهُ ، وضَـــرْبا الْأوَّلِ	قَصْـــرٌ وحَـــذْفُ جُمْلَـــةٍ أو جُمَـــلِ
73	أوْ جُـــزءِ جملـــةٍ ومـــا يـــدُلّ	عليـــه أنـــواعٌ ومِنْهـــا الْعَقْـــلُ
74	وجـــاءَ للتَّوْشـــيعِ بالتَّفْصـــيلِ	ثـــانٍ والِاعْـــتراضِ والتَّـــذْييلِ

الفنُّ الثاني : علمُ البيان

75 عِلْـمُ الْبَيـانِ مـا بـهِ يُعَـرَّفُ ... إيـرادُ مـا طُرُقُـهُ تَخْتَلِـفُ

76 في كَوْنِهـا واضـحةَ الدِّلالـهْ ... فمـا بـه لازمُ مـا وُضِـعَ لـهْ

77 إمـا مجـازٌ مِنْـهُ الاِسْـتِعارةْ ... تُبْـنَى علـى التَّشْـبيهِ أوْ كنايـةُ

78 وَطَرَفـا التَّشْـبيهِ حِسِّـيَّانْ ... – ولـو خياليـا – وعَقْلِيَّـانِ

79 وَمِنْـهُ بِـالْوَهْمِ وَبِالْوِجْـدانِ ... أوْ فيهِمـا يختلـفُ الجُـزْآنِ

80 وَوَجْهُـهُ مـا اشْـتَرَكا فِيْـهِ وَجـا ... ذا في حَقيقَتَيْهِمـا وخارِجـا

81 وَصْـفاً فَحِسِّـيٌّ وَعَقْلِـيٌّ، وَذا ... واحِـداً اوْ في حُكْمِـهِ أوْ لا كَـذا

82 والْكـافُ أوْ كـأنَّ أوْ كَمِثْـلِ ... أداتُـهُ وَقَـدْ بِـذِكْرِ الْفِعْـلِ

83 وَغَـرَضٌ مِنْـهُ علـى مُشَـبَّهِ ... يَعُـودُ أوْ علـى مَشَـبَّهٍ بِـهِ

84 فَبِاعْتِبـارِ كُـلِّ رُكْـنٍ اقْسِـمِ ... أنْواعَـهُ ، ثُمَّ الْمجـازُ فـافْهَمِ

85 مُفْـرَداً اوْ مُرَكَّبـاً وتـارهْ ... يكـونُ مُرْسَـلاً أوِ اسْـتعارهْ

86 يَجْعَـلُ ذا ذاكَ ادِّعـاءً أوَّلَـهْ ... وَهْـيَ إنِ اسْـمُ جِـنْسٍ اسْـتُعِيرَ لَـهْ

87 أصْـلِيَّةٌ أوْ لا فَتابِعِيَّـهْ ... وإنْ تَكُـنْ ضِـدّاً تَهَكُّمِيَّـهْ

88 و مـا بِـهِ لازمُ مَعْـنىً وَهْـوَ لا ... مُمْتَنِعـاً كِنايَـةٌ فاقْسِـمْ إلى

89 إرادةِ النِّسْـبَةِ أوْ نَفْـسِ الصِّـفَهْ ... أو غـيرِ هـذَيْنِ اجْتَهِـدْ أنْ تَعْرِفَـهْ

الفنُّ الثالثُ : علمُ البديع

90 عِلْمُ البـديعِ وَهْـوَ تَحْسـينُ الْكـلامْ ... بَعْـدَ رِعايـةِ الْوُضـوحِ والْمَقـامْ

91 ضَـرْبانِ : لَفْظـيٌّ كَتَجْنـيسٍ وَرَدّْ ... وَسَـجْعٍ اَوْ قَلْـبٍ وَتَشْـريعٍ وَرَدّْ

92 والْمَعْنَـوِيُّ وَهْـوَ كَالتَّشْـهيمِ ... و الْجَمْـعِ والتَّفريـقِ والتَّقْسـيمِ

93 والْقَـوْلِ بِـالْمُوجَبِ وَالتَّجْريـدِ ... والْجَـدِّ والطِّبـاقِ والتَّأْكِيـدِ

94 والعَكْـسِ والرُّجُـوعِ والإيْهـامِ ... و اللَّـفِّ والنَّشْـرِ والِاسْـتِخْدامِ

95 والسَّـوْقِ والتَّوْجِيـهِ والتَّوْفيـقِ ... و الْبَحْـثِ والتَّعليـلِ والتَّعْلِيـقِ

خاتمةٌ في السَّرقاتِ الشِّعْرِيَّة

96	السَّرِقاتُ ظاهِرٌ فالنَّسْخُ	يُذَمُّ لا إنِ اسْتُطِيعَ الْمَسْخُ
97	والسَّلْخُ مِثْلُهُ ، وَغَيْرُ ظاهِرِ	كَوَضْعِ مَعْنىً في مكانِ آخَرِ
98	أوْ يَتَشابَهانِ أوْ ذا أشْمَلُ	ومِنْهُ قَلْبٌ ، واقْتِباسٌ يُنْقَلُ
99	وَمِنْهُ تضْمينٌ وتَلْميحٌ وَحَلّْ	ومِنْهُ عَقْدٌ والتَّأنُّقُ انْ تَسَلْ
100	براعةُ اسْتِهلالٍ انْتِقالُ	حُسْنُ الْخِتامِ وانْتَهَى الْمَقالُ



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتّبع هداه، وبعد:

فهذا شرح لمتن: "مائة المعاني والبيان" لابن الشحنة الحنفي -رحمه الله-, وضعته للمبتدئين في هذا الفنِّ الجليل، حاولت الابتعاد فيه عن التَّطويل مكتفياً قدر الاستطاعة برأي واحد فقط في شرح النَّظم؛ لأنَّ هذا هو المناسب للمبتدئ، وكذا حاولت قدر الإمكان البعد عن إيراد الإشكالات على المؤلف إلا ما دعتني الضرورة إليه، وحرصت على الأمثلة القرآنية؛ لأنَّ الغاية من هذا العلم إنَّما هي: "**إدراك إعجاز القرآن**" كما نص عليه السيوطيّ في شرح عقود الجمان ، ونبَّه عليه الشيخ عبد الرحمن الأخضري في مقدمة منظومته الجوهر المكنون عندما قال- ونعم ما قال :-

أمدَّ أربابَ النُّهى ورَسَما

شمسَ البيان في صدورِ العُلَمَا

فأبصَروا معجزةَ القرآنِ

واضحةً بِسَاطِعِ البُرهانِ

ثم أشار إلى غاية أخرى أعظم عندما قال:

ثمَّ صلاةُ اللهِ ما تَرَنَّمَا

حادٍ يسوقُ العِيسَ في أرضِ الْحِمَى

على نبيٍ اصطفاهُ الهادي

أجلِّ كلِّ ناطِقٍ بالضَّادِ

...

ما عكفَ القلبُ على القرآنِ

فهذه إشارة منه – رحمه الله – إلى أن هذا العلم يؤدي بمن رسخ فيه إلى عكوف ولزوم قلبه على القرآن بحيث يزهد فيما سواه ويرتقي - وهو في حالة العكوف هذه - في معرفة المتكلم بالقرآن -سبحانه وتعالى-، ولولا خشية الإطالة لامتد بنا في هذا المقام الكلام، و قد سميت الشرح : " التبيان لمتن مائة المعاني والبيان"، أسأل الرب الكريم برحمته التي وسعت كل شيء أن يجعله عوناً لي ولإخواني على تدبر آياته، والتلذذ بمناجاته.

وقبل الشروع في شرح المنظومة لا بد من الكلام على ثلاثة أمور متعلقة بالمتن المشروح:

الأول: عنوان المتن.

الثاني: مؤلف المتن.

الثالث: محتويات المتن.

الرابع : قيمة المتن.

أما **عنوان المتن** فهو: (مائة المعاني والبيان)؛ ف(مائة) إشارة إلى عدد أبيات هذه المنظومة, و(المعاني والبيان) هما أهم علمين من علوم البلاغة الثلاثة التي سيأتي الحديث عنها بعد قليل, ولهذه المنظومة عدة أسماء، لكن هذا الاسم هو الذي رجّحهُ الباحث : سليمان عميرات في رسالته القيمة " درر الفرائد المستحسنة في منظومة ابن الشحنة لابن عبد الحق العمري (ت نحو: 1024هـ) - دراسةٌ وتحقيقٌ – "[1].

---

(1)وهي رسالة حصل بها الباحث على درجة الماجستير من جامعة دمشق قبل ستة أشهر – تقريباً– .

وأما **مؤلف المتن** فهو: محب الدين محمد بن محمد المعروف بابن الشِّحنة(749هـ-815هـ) ، وهو فقيه حنفي، له اشتغال بالأدب والتاريخ, انظر ترجمته في الأعلام: (44/7), والشِّحنة – كما في القاموس – هو مَنْ فيه الكِفايةُ لضَبْطِ البلد من جِهَةِ السُّلْطانِ, وفي تاج العروس:"وبنُو الشّحْنَةِ الحَنَفيُّون ، منهم : السريُّ بنُ عبدِ البرِّ وأصولُهُ مَعْرُوفُون ؛ يقالُ إنَّ جدَّهم الكَبيرَ كانَ شحْنَة بحَلَب".

وأما **محتويات المتن** فهو يحتوي –إذا استثنيا خطبة المنظومة– على أربعة أقسام:

القسم الأول: مقدمة حول البلاغة والفصاحة وتمتد من البيت: 5 إلى: 10.

القسم الثاني: علم المعاني, ويمتد من البيت: 11 إلى: 74 .

القسم الثالث: علم البيان, ويمتد من البيت: 75 إلى: 89 .

القسم الرابع: علم البديع, ويمتد من البيت: 90 إلى:100.

وأما قيمة المتن فتظهر في كون الناظم رتب مسائلها على الترتيب المعروف عند متأخِّري البلاغيين، وأول من ابتدأ هذا الترتيب الذي استقرَّ عليه معظم البلاغيين المتأخرين هو الخطيب القزويني في كتابه الشهير:"تلخيص المفتاح" ؛ فإذا علمنا أن الخطيب القزويني توفي: (793 هـ) أي: قبل ولادة الناظم بعشر سنوات ترجح أن مائة المعاني والبيان نظمٌ للتلخيص[1]،وهذه العلاقة بين النظم والتلخيص ترفع من قيمته لأن التلخيص يعتبر العمدة في دراسة البلاغة في جانبها النظري.

---

(1) مع وجود احتمال آخر وهو أن يكون مائة المعاني نظماً لتلخيص تلخيص المفتاح –لطيف المعاني– ، ومحل التفصيل في هذه القضية والرد على من نفى العلاقة بين "المائة" و"التلخيص" بحثٌ بدأتُه وأوشكتُ على الانتهاء منه – أسأل الله العون والمدد –، وسأحاول كلما سنحت فرصة أن أنبه في الهامش على التوافق بين المتنين – بإذن الله – .

ومما يدل على قيمتها – أيضاً- كثرة من شرحها ، فقد ذكر الحِبشي في جامع الشروح والحواشي ثلاثة عشر شرحاً للمنظومة، رغم أنه لم يذكر كل الشروح.

ومما يزيد في قيمتها جمعها بين الشمول لأبواب الفن كلها مع اختصارها الذي يغري بحفظها وتدريسها ويسهل مراجعتها.

ولهذا كلِّه أرى أنها المتن الأنسب لدراسة المبتدئ لهذا الفن إذا أراد أن تكون دراسته متينة مؤصلة منضبطة بمصطلحات الفن وتقسيماته.

قال الناظم رحمه الله:

1	**الحَمْدُ للهِ وَصَلَّى اللهُ**	**عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ**
2	**مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَسَلَّمَا**	**وَبَعْدُ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُنَظِّمَا**
3	**في عِلْمَي الْبَيانِ وَالْمَعانِي**	**أُرْجُوزَةً لَطِيْفَةَ الْمَعانِي**
4	**أَبْياتُها عَنْ مِائَةٍ لَمْ تَزِدِ**	**فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَسَدِ**

هذه خطبة المنظومة وقد اشتملت على:

1 – الحمدلة. 2- الصلاة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم - .

ومحل التوسع في الكلام عليهما كتب الشروح والحواشي فلينظرها من شاء.

3 – غرض الناظم من منظومته؛ حيث بيَّنَ أَنَّهُ أحبَّ أن ينظم – بتشديد الظاء للوزن - علمي البيان والمعاني ، والناظر في المنظومة يرى أن المؤلف نظم العلوم الثلاثة – المعاني والبيان والبديع-، لكنه لم يذكر البديع لأنه تتمَّة وذيل عند كثير من البلاغيين، وقد أورد أحد الطلاب النابهين احتمالا لطيفاً حيث قال: لماذا لا يعد الجناس بين (المعاني) في الشطر الأول و(المعاني) في الشطر الثاني مقصوداً من الناظم كي يشير إلى علم البديع بالمثال؟

فيكون قد صرَّح باسم العلمين الأساسيين – المعاني والبيان – وألمح بالمثال إلى الثالث –البديع-؛ ولعلَّ هذا يبين لنا سرّ تقديمه لعلم البيان على المعاني في البيت، والله أعلم.

4 – الإشارة إلى أن منظومته من بحر الرجز ، وهذا ترغيب منه فيها لأن الرجز من أسهل البحور في الحفظ .

5- مدحها بلطافة معانيها، وهذا ترغيب ثان فيها.

6- النص على أن منظومته مائة بيت فقط ، وهذا ترغيب ثالث فيها.

ولما كانت هذه المُرَغِّبَات والمزايا التي أشار إليها النَّاظم – وخاصة كون منظومته لا تتجاوز مائة بيت – نعماً عظيمة ؛ وكان : " كل ذي نعمة محسود" قال معبِّراً عن خوفه على نفسه من الحسد : (فقلت غير آمن من حسد)، نعوذ بالله من شرِّ حاسد إذا حسد .

وبعد أن انتهى الناظم من خطبته ، أتبعها بما يُعد مقدِّمة لعلم البلاغة[1], ومقدمة العلم: تطلق على ما يتوقَّف عليه الشروع في مسائله، بخلاف مقدمة الكتاب: حيث تطلق على طائفة من كلام المؤلف قُدِّمَت أمام المقصود لارتباطٍ له بها وانتفاع بها فيه؛ فما مرَّ من خطبة الناظم مقدمة كتاب، وأما الأبيات من الخامس وحتى العاشر فهي مقدمة علم، وقد انحصر كلام الناظم في هذه المقدمة في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفصاحة وما يتعلَّق بها.

المبحث الثاني: البلاغة وما يتعلَّق بها.

المبحث الثالث: الإشارة إلى تعريف الصدق والكذب.

فقال رحمه الله:

---

(1) أول من أتى بالمقدمة بهذه الصورة – وفي هذا الموضع تحديداً- القزويني في تلخيص المفتاح متأثراً في ذلك – في بعض الجوانب – بابن سنان الخفاجي كتابه :"سر الفصاحة".

5	**فَصَاحَةُ الْمُفْرَدِ فِيْ سَلامَتِهْ**	**مِنْ نُفْرَةٍ فِيْهِ وَمِنْ غَرابَتِهْ**
6	**وَكَوْنِهِ مُخَالِفَ الْقِياسِ**	**ثُمَّ الْفَصِيحُ مِنْ كَلامِ النَّاسِ**
7	**ما كانَ مِنْ تَنافُرٍ سَليمَا**	**وَلَمْ يَكُنْ تَأْلِيْفُهُ سَقِيمَا**
8	**وَهْوَ مِنَ التَّعْقيدِ أيضاً**	**وإِنْ يَكُنْ مُطابِقاً لِلْحالِ**

هذا هو **المبحث الأول حول الفصاحة وما يتعلق بها**, ويندرج كلام المؤلف في هذا المبحث حول ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شروط فصاحة الكلمة.

المطلب الثاني: شروط فصاحة الكلام.

المطلب الثالث: تعريف فصاحة المتكلم.

أما المطلب الأول –وهو شروط فصاحة الكلمة– فقد عبَّر عنه الناظم بقوله : (فصاحة المفرد) إلى قوله (... القياس)، فبيَّن أنه يشترط لفصاحة الكلمة أن تخلو من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: التنافر بين حروفها:

والتنافر: وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها, ومثاله كلمة: (الهعخع), وهي كلمة قيل إنها تطلق على المرعى، وقيل غير ذلك.

الأمر الثاني: الغرابة في معناها:

بحيث نحتاج لمعرفة معناها إلى البحث في كتب اللغة المطولة.

ومثاله ما روى أن عيسى بن عمر النحوي سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس فقال: "ما لكم **تكأكأتم** عليَّ **تكأكؤكم** على ذي جنة **افرنقعوا** عني"، أي: ما لكم اجتمعتم ؟ تنحوا.

الأمر الثالث: المخالفة للقياس الصرفي:

بمعنى أن تكون مخالفة لقواعد علماء الصرف ولما سمع عن العرب.

ومثاله قول أبي النجم: الحمد لله العلي الأجلل.

لأن القياس الصرفي يقتضي أن يقال: الأجل.

أما المطلب الثاني –وهو شروط فصاحة الكلام– فقد عبر عنه الناظم بقوله: (ثم الفصيح من كلام الناس) إلى قوله (.... خالي), فبين أنه يشترط لفصاحة الكلام أن يخلو من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تنافر الكلمات:

بحيث يكون مجموع الكلام متنافرا ثقيلا في نطقه رغم أن الكلمات المفردة التي كونت ذلك الكلام ليس فيها تنافر, ومثاله:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قَفْرُ[1]

وليسَ قُرْبَ قَبْرِ حربٍ قَبْرُ

فكلمات البيت إذا نظرت إلى كل منها على حدة، ستجد بأنها ليست متنافرة ، لكن باجتماعها حصل التنافر؛ فاختلت فصاحة الكلام.

الأمر الثاني: ضعف التأليف – وعبر عنه الناظم بالسقم للقافية–:

وهو أن يكون الكلام مخالفا للمشهور عند النحاة,و مثاله: " ضرب غلامُه زيداً " حيث عاد الضمير في المثال على متأخر في اللفظ والرتبة[1] وهذا مخالف للمشهور عند النحاة وأجازه بعضهم.

---

(1) كذا بالرفع على أنه نعت مقطوع ، وهو أصح من رواية الجر ليسلم البيت من الإقواء – مستفادٌ من حل العويص في شرح شواهد التلخيص –.

الأمر الثالث: التَّعقيد :

بحيث لا يكون الكلام ظاهر الدّلالة على المعنى المراد مع وضوح كلماته؛ **فمن ذلك** أن يستخدم المتكلم مجازاً أو كناية غير مألوفة في الاستعمال[2]؛ كمن يصف امرأة جميلة فيقول : " رأيت عفريتةً"[3].

أمّا المطلب الثالث –وهو فصاحة المتكلم– فقد أخَّرَ المؤلف الكلام عنه إلى ما بعد الكلام على بلاغة المتكلم, وسأتابعه في هذا التأخير.

ثم قال الناظم رحمه الله:

8	....	وإِنْ يَكُنْ مُطابِقاً لِلْحالِ
9	فَهْوَ الْبَلِيْغُ، وَالَّذِي يُؤَلِّفُهْ	....

هذا هو **المبحث الثاني من مباحث المقدمة وهو حول البلاغة وما يتعلَّق بها**, ويندرج كلام الناظم في هذا المبحث حول مطلبين:

المطالب الأول: تعريف بلاغة الكلام.

المطلب الثاني: تعريف بلاغة المتكلم.

أما المطلب الأول –وهو تعريف بلاغة الكلام– فقد عبّر عنه الناظم بقوله: (وإن يكن) إلى قوله (فهو البليغ), فقوله: (و إن يكن) أي: الكلام الفصيح (مطابقا للحال) أي: مطابقاً لما يقتضيه الحال (فهو البليغ) أي: فهو الكلام

(1) زيداً متأخر في اللفظ لأنه ذُكر متأخراً ، وهو متأخر في الرتبة لأنه مفعول به.

(2) ويسمى التعقيد في هذه الحالة تعقيداً معنوياً.

(3) هذا التعبير معروفٌ عند بعض الأعاجم في وصف المرأة بالجمال، ولو قاله هذا الأعجمي لشخصٍ عربيٍّ فلن يفهم مراده وبالتالي سيكون مخلاً بالفصاحة، وإنما مثلت بهذا المثال لوضوحه للمبتدئ، والله أعلم.

البليغ-, وعلى هذا فبلاغة الكلام هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته, وسيأتي بإذن الله مزيد بيان للمراد بالحال بعد أسطر.

أما المطلب الثاني -وهو تعريف بلاغة المتكلم- فقد عبر عنه الناظم بقوله (والذي يؤلفه) أي: والذي عنده ملكة تأليف الكلام البليغ يعد متكلِّما بليغا ؛ فلا يكفي المتكلم حتى يوصف بالبلاغة أن يكون كلامه بليغاً مرة أو مرتين أو أكثر، بل لا بد من أن تتكوَّن عنده ملكة – أي صفة راسخة في نفسه – بحيث يستطيع أن يعبِّر عن مراده بكلام بليغ دائماً .

ثم قال رحمه الله:

9 .... وَبِالْفَصيحِ مَنْ يُعَبِّرْ تَصِفُهْ

هذا هو المطلب الثالث من المطالب المتعلقة بالفصاحة[1] وهو: تعريف فصاحة المتكلم:

وقد أخره الناظم إلى هذا الموضع, ولم أتبين سببا لهذا التأخير، والمقصود بقوله (وبالفصيح...) إلخ أن الذي عنده ملكة التّعبير باللّفظ الفصيح يعدُّ متكلِّما فصيحا، ويقال فيه ما قيل في بلاغة المتكلم.

تنبيه مهم جدا:

الحال: -وشأنه مهم جدا في البلاغة- هو الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص, **فمثلا:** كون المخاطب يواجه خطرا مفاجئا أمر يقتضي ويستدعي أن يختصر له الكلام ويحذف كل ما يمكن حذفه فيقال له: " أسد " ويحذف

(1) فهو امتداد للمبحث الأول من المقدمة، ولعل الناظم أخره لضرورة النظم

" احذر " أو " وراءك " أو غيرها مما يمكن أن يُقَدَّر، وكون المتكلم يريد مدح ملك من الملوك لنيل جائزته ، حال وأمر يستدعي الإطالة في ذكر الصفات الحسنة لذلك الملك ، فإذا جاء الكلام موافقا لما يقتضيه المقام فهو كلام بليغ، ومن هذا يتبيّن أن كون الكلام فصيحا مليئا بالصور البيانية والمحسّنات لا يكفي لوصفه بالبلاغة، بل لا بد من موافقته لمقتضى الحال.

وبهذا يتَّضح لنا أن: من أهمِّ المهمَّات لمن أراد أن يعرف بلاغة القرآن، أن يعرف الحال التي نزلت فيها الآيات من أسباب نزول ،ومكي ومدني، بل كلما كان أعرف بالوقت الذي نزلت فيه السورة تحديداً كان ذلك أعون له على إدراك الأسرار البلاغية في الآيات[1].

فعلى سبيل المثال: إذا عرفنا أن سورة البقرة – وخصوصًا خطاب بني إسرائيل في أولها – نزلت في أول الهجرة بينما نزلت سورة الجمعة عام خيبر أو بعدها[2] تبيَّن لنا هذا الفرق الشاسع في الخطاب بين قوله تعالى في البقرة :﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ وبين قوله تعالى في الجمعة: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الجمعة: ٥

(1) من الكتب اللطيفة في هذا الشأن :" غرائب الإعجاز والنكات في مقامات أسباب النزول" للدكتور : محمد إبراهيم شادي – طبعته دار اليقين بمصر- ، لكن الأصل في كتابه الاقتصار على ما يتعلق بأسباب النزول دون غيرها من ملابسات، والكتاب مفيد في بابه.

(2) انظر التنبيه على ذلك في تفسير سورة الجمعة من التحرير والتنوير، وهو يرى أنها نزلت عام خيبر تحديداً لكن ما استدل به يدل على ما أثبتُّه في أصل الشرح ، والله أعلم.

وبهذا نعرف – أيضاً– أن الخطيب الذي يسمعه عامة الناس فيأتيهم بالكلمات الفخمة الجزلة التي لا يفهمونها ، والاستعارات والكنايات العربية الفصيحة التي لا يدركون مغزاها، ويأتيهم بسجع لا يدركون منه إلا أصوات الحروف **هو خطيب بعيدٌ كل البعد** عن البلاغة رغم أنه فصيح.

وأخيرا أختم بمثالين توضيحيين لمسألة مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

المثال الأول[1]:

أنشد منشد في زفاف قصيدةً آخرُها:

فليت شعريَ والدنيا مفرِّقةٌ
بين الأنامِ وأيامُ الورى دولُ
هل ترجع الدارُ بَعد البُعد آنسةً؟
وهل تعود لنا أيامنا الأُوَلُ؟

ومن الواضح أن المنشد هنا ليس بليغا مع أنه لا خلل في البيت ولا عيب.

المثال الثاني:

قال بعضهم لبشَّار بن برد: إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت, قال: وما ذاك؟ قال: بينما أنت تثير النقع وتخلع القلوب إذ تقول:

إذا ما غضِبْنَا غضبةً مُضريةً

---

(1) هذا المثال مأخوذ من كتاب تيسير البلاغة للشيخ – أحمد قلاش – رحمه الله– .

هتكنا حجابَ الشمسِ أو تُمْطِرَ الدِّمَا

نراك تقول:

ربابة ربة البيتِ

تصب الخلَّ في الزيتِ

لها عشر دجاجاتٍ

وديكٌ حسن الصوتِ

فقال بشار: لكلٍ وجهٌ وموضعٌ؛ فربابة جاريتي لها عشر دجاجات وديك, تجمع لي البيض وأنا لا آكل البيض من السوق, وهذا القول عندها أحسن من: قفا نبك من ذكرى حبيب!

ثم قال الناظم رحمه الله:

10 وَالصِّدْقُ أَنْ يُطَابِقَ الْواقعَ يَقُولُهُ ، وَالْكِذْبُ أَنْ ذا يُعْدَما

هذا هو المبحث الثالث من المباحث التي ذكرها الناظم في المقدمة وهو: تعريف الصدق والكذب، وهي مسألة تذكر في معظم كتب البلاغة, والمشهور فيها عندهم -وهو الذي مشى عليه المؤلف- أن صدق الخبر هو: أن يطابق حكمُ ما يقوله المخبرُ الواقعَ, والكذب: أن لا يطابق حكم ما يقوله المخبر الواقع، بغض النظر عن اعتقاد المتكلم؛ وعليه فإذا قال قائل : "سافر زيد " وهو في واقع الأمر لم يسافر فالمتكلم كاذبٌ حتى لو كان يعتقد أنه سافر، وإذا قال قائل : "سافر زيد " وكان في واقع الأمر قد سافر فالمتكلم صادقٌ حتى لو كان يعتقد أنه لم يسافر.

تنبيه:

يتكلم البلاغيون على هذه المسألة عند الكلام على أبواب علم المعاني وذلك لتعلقها بتعريف الخبر والإنشاء, **ولا يذكرونها في الموضع الذي ذكرها فيه الناظم**, ولم يظهر لي شيء مُقنع في وجه ذكرها في هذا الموضع حتى نبهني بعض الطلاب – جزاه الله خيراً– على أنها يمكن أن تعد من مقدمات العلم فذكرت فيه لذلك ، وهو رأي له وجاهته فيما يبدو لي ، والله أعلم .

الفن الأول

علم المعاني

بعد أن انتهى الناظم من مقدمة العلم شرع في الكلام على العلوم الثلاثة – المعاني والبيان والبديع[1] – بادئاً بعلم المعاني، ومن المناسب هنا الكلام على وجه تقسيم البلاغة إلى هذه العلوم الثلاثة، وقد مر معنا **أن البلاغة هي** : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته؛ وعليه فإننا نحتاج في دراسة البلاغة إلى:

معرفة كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وتمييز الكلام الفصيح من غيره.

وبعبارة أكثر تفصيلاً فإن دارس البلاغة يحتاج إلى إدراك ومعرفة [2]:

1- أحوال اللفظ العربي التي يطابق الكلام بها مقتضى الحال.

2- تنافر الحروف في الكلمة، وهذا يحصل بالحس والذوق السليم الذي يتكون بكثرة النظر في كلام العرب شعراً ونثراً.

3- غرابة الكلمة، وهذا يحصل بدراسة علم (متن اللغة)[3].

4- مخالفة الكلمة للقياس، وهذا يحصل بدراسة علم (الصرف).

5- تنافر الكلمات في الكلام، وهذا يحصل بما يحصل به إدراك تنافر الحروف.

6- التعقيد- والمقصود به هنا التعقيد المعنوي- .

7- ضعف التأليف، وهذا يحصل بدراسة علم (النحو).

فاتضح أن أكثر ما يحتاج دارس البلاغة إليه يدرك بدراسة علوم أخرى من علوم العربية مع تنمية الذوق[4]،ولم يبق إلا :

---

(1) أول من قسم البلاغة إلى هذه العلوم وقسم العلوم إلى هذه الأبواب التي في المنظومة هو القزويني في تلخيص المفتاح.

(2) إنما يحتاج طالب العلم إلى إدراك هذه العلوم بقدرٍ ما مناسبٍ لرغبته في التوسع في هذا العلم، وإلا فإن تحصيلها على الوجه الأكمل مما تفنى فيه الأعمار.

(3) ويقصد به العلم الذي تعرف به المفردات الموضوعة لمعانيها، انظر مختصر المعاني : 47/1 ، وحاشية الدسوقي: 147/1، وهو علم يندر أن تجد من يتصدى لتدريسه في عصرنا باستثناء الشناقطة –في حدود علمي- .

(4) بغية الإيضاح : 29/1.

1- أحوال اللفظ العربي وكيفية مطابقتها لمقتضى الحال.

2- التعقيد المعنوي .

فالأول وضع له (**علم المعاني**)، والثاني وضع له (**علم البيان**)، ثم إن هذا الكلام البليغ الذي اكتملت فيه الشروط يزداد حسناً بوجوه أخرى وُضع لها (**علم البديع**)، فصارت العلوم ثلاثة؛ (**علم المعاني**) وبه نعرف كيف يطابق الكلام مقتضى الحال، و(**علم البيان**) وبه نسلم من التعقيد المعنوي، و(**علم البديع**)وبه نتعرف على أوجه تحسين الكلام.

ثم إنه من المناسب أيضاً أن نأخذ **تصورًا عامًا عن علوم البلاغة الثلاثة** ، ولن نهتم هنا بالتعاريف؛ إذ سيأتي الحديث عنها في مواضعها ، و إنما المهم في هذا الموضع أن نعرف العلاقةَ بين العلوم الثلاثة، ونتصورتكاملَها في إنتاج أوتذوق الكلام البليغ ، ويمكن في مقام تقريب التصور الذي نريده أن نشبه **علم المعاني بعلم الخياطة** ؛ فالخياط يأخذ مقاسات الزبون ثم يستخدم ماعنده من أقمشة وأدوات بحسب قواعد علم الخياطة ، ليكُونَ الثوبُ الذي يخيطُه مناسبًا تمامًا لمن سيلبسه، **والمتكلم البليغ – المراعي لقواعد علم المعاني –** ينظر إلى الحال (المكان – الزمان – المخاطب...إلخ) ثم يستخدم ماعنده من ألفاظ وتراكيب بحسب قواعد علم المعاني ، ليكون الكلام الذي يقوله مناسبا لتلك الحال[5]؛ فعلى سبيل المثال : قد يلاحظ المتكلم البليغ أن هناك كلمة هي الأهم في كلامه ويريد أن ترسخ في نفس السامع فيستخدم **أسلوب التكرير**[6] ، وذلك ما كان من الخنساء –رضي الله عنها- حين قالت:

أعينيَّ جودا ولا تجمدا

ألا تبكيان لصخر الندى

(5)أساس هذا التقريب لعلم المعاني مستفاد من كتاب :" تيسير البلاغة ".

(6) يذكر التكرير ضمن صور الإطناب الآتي ذكره في الباب الثامن من علم المعاني.

ألا تبكيان الجريء الجميل

ألا تبكيان الفتى السيدا

وقد تكون مشغولاً بقراءة كتاب فيأتيك بليد الطبع ليكلمك بكلام لا فائدة فيه، ثم يلاحظ ذلك البليد عدم تجاوبك معه فيسألك : هل أنت مشغول؟ **فحال البلادة هذه** تقتضي أن تذكر له الأمرالمعروف وتطيل له الكلام و**تطنب**[7] بنحو قولك :" نعم **أنا مشغول... مع السلامة**".

وقد يلاحظ المعَلِّمُ أن الطلاب يريدون معرفة من حصل على أعلى درجة في الاختبار **فيُقَدِّم**[8] ما يشوِّقهم فيقول : " الذي حصل على الدرجة الكاملة في الاختبار، وسيكرِّمه مدير الجامعة زيدٌ "، وقد توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام الصحابة يوماً ثم قال **مقدِّماً** ما يشوِّق إلى الخبر:" من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه"[9].

وقد يلاحظ أن المقام مقام تلهف ورغبة في الاطمئنان لأن الطالب لم يحسن الإجابة وهو خائف من النتيجة فيقدم الكلمة التي تبعث على الاطمئنان فيقول : " **اطمئن** يا زيد فقد نجحت"، وعلى العكس من هذا قد يقدم المتكلم الجالبة للخوف لأن المقام يقتضيها، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾ الحج: ٧٢.

وإذا كنا قد شبهنا علم المعاني بعلم الخياطة ، فلعلنا نستطيع تشبيه **علم البيان بعلم الدعاية والإعلان** ، فالمعلِن عن سلعةٍ ما يبرزمحاسن سلعته فيظهرها في شكل صورة

---

(7) الإطناب مصطلح بلاغي يأتي الكلام عليه في الباب الثامن من علم المعاني.

(8) التقديم من الأسليب البلاغية الفريدة، وسيأتي الحديث عنه في عدة مواضع أولها في آخر باب المسند إليه في مبحث تقديم المسند إليه.

(9)الحديث متفق عليه من حديث عثمان رضي الله عنه، وقد روي بألفاظ متعددة،وهذا لفظ البخاري برقم:(159).

يعلقها على باب محله – مثلاً– ، وقد يلاحظ عيوب سِلَع غيره من المنافسين فينبه عليها بشكل مباشر أو غير مباشر ، **والمتكلم البليغ – المراعي لعلم البيان –** ، ينظر إلى :(محاسن الشيء المرغَّب فيه – عيوب الشيء المنفرَّ عنه – محبوبات المخاطب – مكروهات المخاطب) ثم ينبه السامع على حسن الحسن وقبح القبيح ويحببه في أمر ويبغضه في آخر بواسطة ما يعرفه من قواعد علم البيان : أي قواعد التشبيه والمجازوالكناية ؛ فعلى سبيل المثال :

قد يريد المتكلم إبراز شجاعة زيد، و يبالغ في ذلك الإظهار نوع مبالغة لأن السامع قد اعتاد على تشبيه الشجاع بالأسد فيستخدم **التشبيه البليغ** الذي تحذف فيه أداة التشبيه فيقول : " زيد أسد " .

وقد يريد المتكلم تذكير المخاطب المتكبر بأصله الذي لا يتناسب مع التكبر والغطرسة فيستخدم أسلوب **المجاز** ويقول: " يا نطفة لا تتكبر".

وقد يريد بيان حكم فقهي لكن يشعر أنه إن صرح بالحكم بشكل مباشر خدش حياء السامعين فيستخدم أسلوب الكناية فيقول : " تجوز **مباشرة** الزوجة في ليل رمضان ".

فهو في كل هذه الأمثلة صُوِّر الشيء بغير صورته الحقيقية المحضة رغبة في إظهار أو إخفاء ما يستملح منه أو يستقبح.

وأما **علم البديع** فإنه يشبه **بالتطريز والتزيين** للثوب بعد إتمامه ، فالخياط بعد إتمام الثوب قد يضيف بعض الخيوط أو الألوان التي تزيد الثوب حسنا لكن فقد هذه الإضافات لا يؤثر على أصل الثوب **والمتكلم البليغ – المراعي لعلم البديع –** ، يضيف إلى كلامه من المحسنات البديعية ما يجعله أكثر تأثيرا وجذبا للسامع، فبدلاً من أن يقول المتكلم البليغ : " إذا أنعمت على الإنسان صرت أميراً ، وإذا استغنيت عنه لم تفتقر إليه، وإذا احتجت لأنسان أسرك " يستخدم أسلوب

<u>السجع</u>، لأنه ألذ في السمع ؛ فيقول : " أحسن إلى من شئت تكن أميره ، و احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره "[10] .

بكل ما سبق يتبين وجه حاجة البلاغة إلى العلوم الثلاثة، كما يتبين لنا المراد بكل علم من هذه العلوم ، ونستطيع أن نستنبط – أخيراً– أن أهم العلوم الثلاثة هو علم المعاني يليه البيان ثم البديع .

(10) المثال مستفاد من تيسير البلاغة: 7.

وصلنا إلى القسم الثاني من هذا المتن وهو: المتعلق بعلم المعاني, ويمتد من البيت: 11 إلى: 74, ويتكون هذا القسم من: تمهيد وثمانية أبواب[1] – سيأتي ذكرها بعد قليل –:

قال الناظم رحمه الله في تمهيده وافتتاحه لعلم المعاني:

11	**وَعَرَبِيُّ اللَّفْظِ ذُو أَحْوَالِ**	**يَأْتِيْ بِها مُطَابِقا لِلْحالِ**
12	**عِرْفانُها عِلْمٌ هُوَ الْمَعانِيْ**	**مُنحصِرُ الأبواب في ثمانِ**

تضمن هذا التمهيد مبحثين:

المبحث الأول: تعريف علم المعاني.

المبحث الثاني: الإشارة إلى عدد أبواب علم المعاني.

أما تعريف علم المعاني فهو: علم تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق الكلام مقتضى الحال؛ فاللفظ العربي له أحوال متعددة ما بين تعريف وتنكير وتقديم وتأخير... إلخ، وعلم المعاني ينظر إلى هذه الأحوال من جهة محددة وهي مطابقة هذه الأحوال لما يقتضيه الحال[2]؛ فمثلاً: قد يُعَبَّر عن انطلاق محمد بتراكيب مختلفة كلها صحيحة لغةً؛ فيقال: "انطلق محمد" أو: "محمد انطلق" أو: "المنطلق محمد" أو: "محمد هو المنطلق", أو: "و الله قد انطلق محمد"...إلخ؛ فهذه العبارات المذكورة تشترك في تأدية أصل المعنى, لكنَّ كلاً منها يناسب حالةً معينةً بحيث لو عبر بها في تلك الحالة كان الكلام مطابقاً لمقتضى الحال؛ وبالتالي كان بليغاً[3]؛ فقولنا:"والله قد انطلق محمد" تناسب حالة إنكار السامع للخبر, وقولك: "محمد هو المنطلق"

(1) أول من قسم (علم المعاني) إلى ثمانية أبواب هو القزويني في تلخيص المفتاح.

(2) بينما تدرس أحوال اللفظ العربي في علم النحو –مثلاً– لكن من جهة أخرى مختلفة.

(3) لأن بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال –كما مرَّ–.

تناسب حالة كون الانطلاق مقصوراً على محمد...إلخ مما سيأتي معنا – إن شاء الله – مفصلاً, وقد عبر الناظم عن هذا التعريف بقوله:(وعربي) إلى قوله (هو المعاني)؛ يقصد أن للكلام العربي أحوالاً متعددة من تقديم و تأخير، وحذف وذكر... الخ, ومن خلال هذه الأحوال المتعددة للكلام تحصل المطابقة لمقتضى الحال, والعلم الذي تعرف به هذه الأحوال من جهة مطابقتها لمقتضى الحال هو (علم المعاني).

هذا ومما ينبغي التنبيه عليه الأهميةُ الكبرى لهذا العلم في فهم الكلام العربي فهماً دقيقاً، ولذلك لما كان أبلغ كلام عربي على الإطلاق هو القرآن كان من أعظم ما يحتاجه المتدبر للقرآن، والباحث عن أسراره وإشارته، والراغب في معرفة سر إعجازه =علمُ[1] المعاني .

أما أبواب علم المعاني, فقد أشار الناظم إلى عددها بقوله: (منحصر الأبواب في ثمان) ، وهذه الأبواب الثمانية هي:

الباب الأول: أحوال الإسناد الخبري.

الباب الثاني: أحوال المسند إليه.

الباب الثالث: أحوال المسند.

الباب الرابع: أحوال متعلقات الفعل.

الباب الخامس: القصر.

الباب السادس: الإنشاء.

الباب السابع: الفصل والوصل.

الباب الثامن: الإيجاز والإطناب والمساواة.

ولا بد هنا من توضيح مختصر للمقصود بالدراسة في كل باب من هذه الأبواب:

---

(1) اسم كان مؤخر.

فأما **الإسناد الخبري** فهو يدرس العلاقة بين ركني الجملة الخبرية[1] —وهما المسند والمسند إليه — من جهة ما يعرض لتلك العلاقة من أحوال كالتوكيد وعدمه وكون العلاقة بينهما حقيقية أو مجازية .

و أما **أحوال المسند إليه** فهو يدرس ما يعرض للمسند إليه من حذف وذكر وتقديم وتأخير وغير ذلك ، والمسند إليه هو : المبتدأ أو ما أصله المبتدأ في الجملة الاسمية، والفاعل أو نائبه في الجملة الفعلية[2].

و أما **أحوال المسند** فهو يدرس ما يعرض للمسند من حذف وذكر وتقديم وتأخير وغير ذلك ، والمسند هو : الخبر أو ما اصله الخبر في الجملة الاسمية والفعل في الجملة الفعلية.

و أما **أحوال متعلِّقات الفعل** فهو يدرس ما يعرض لمتعلقات الفعل من حذف وذكر وتقديم وتأخير، ومتعلقات الفعل هي : كل ما يتعلق بالفعل من الفضلات كالمفاعيل الخمسة والحال ...إلخ.

و أما **القصر** فهو يدرس الجملة ككل من جهة كونها تفيد حصر شيء في شيء كإفادة حصر الكرم في زيد في قول القائل : لا كريم إلا زيد .

و أما **الإنشاء** فهو يدرس الجملة ككل من جهة كونها استفهاما أو أمرا أو نهيا أو تمنيا أو دعاء، وهل خرجت هذه الأساليب عن معناها الأصلي أم لا.

و أما **الفصل والوصل** فهو يدرس الجملتين المتجاورتين من جهة العطف بالواو وعدمه .

و أما **الإيجاز والإطناب والمساواة** فهو يدرس الكلام عموماً من جهة كون اللفظ فيه ناقصاً عن المعنى أو مساوياً له أو زائدا عنه.

---

(1) تقابلها الجملة الإنشائية ، وهي لا تدرس في هذا الباب وإن كانت أحكامه جارية فيها على ما هو مقرر في شروح التلخيص .

(2) هناك مواضع أخرى يمكن أن تراجعها في البلاغة الواضحة، وكذا يقال في مواضع المسند.

والمتأمل في هذه الأبواب يلاحظ أنها راعت النظر إلى أحوال اللفظ العربي ابتداء بالجزء وانتهاءً بالكل.

هذا وقول الناظم (منحصر) يشير إلى أن علم المعاني لا يخرج عن هذه الأبواب الثمانية[1].

وحتى تتضح الأبواب بشكل أكبر فلا بد من مثال، قال الله تعالى : ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ۝١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦ ﴾

قد تخطر في ذهن القارئ لهذه الأيات أسئلة منها:

1 – ما نوع الاستفهام في بداية السورة؟

2 – ما الفرق في الدلالة بين ﴿ أَتَىٰكَ ﴾ ويأتيك ؟

3 – لماذا جاء الفاعل مُعرَّفاً بالإضافة في بداية السورة ؟

4 – لماذا ذكر المفعول في قوله ﴿ أَتَىٰكَ ﴾ ؟ ولو قيل هل أتى حديث الغاشية فهل يبقى المعنى واحدًا؟

5 – ما المعنى الدقيق لقوله تعالى : ﴿ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ ﴾ ؟

6 – قال تعالى في هذه السورة ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ ﴾ .... إلى أن قال : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ ﴾ وقال في سورة عبس : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۝٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۝٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ ﴾ فما الفرق ؟

---

(1) انظر في وجه الانحصار: التلخيص: 19، و محلُّ نقد القول بالنحصار محله غير هذا الشرح المختصر، والله أعلم.

7 – لماذا تكررت نفس الكلمة مرتين في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ مع أنها مفهومة يمكن حذفها ، ولماذا حذفت بعد ذلك في قوله : ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ ؟

8 – هل أسند أحد الأفعال في الآيات إلى غير فاعله الحقيقي ؟

والأبواب التي **تساعد** على الإجابة على هذه الأسئلة – على الترتيب – هي:

1- الإنشاء.

2- المسند.

3- المسند إليه.

4- متعلقات الفعل.

5- القصر.

6- الفصل والوصل.

7- الإيجاز والإطناب والمساوة.

8- الإسناد الخبري.

فائدة:

جمع الأخضري الأبواب الثمانية التي أشار إليها الناظم في الجوهر المكنون في قوله:

إسنادُ، مسندٌ إليه، مسنـدُ

ومتعلِّقاتُ فعلٍ توردُ

قصرٌ، وإنشاءٌ، وفصلٌ وصلٌ او

إيجازٌ اطنابٌ مساواةٌ رأوا

وختاماً، هذان سؤالان لتنشيط الأذهان:

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ (٢) وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخۡشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ (١٣) مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ (١٤) بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ (١٥) كِرَامِۭ بَرَرَةٖ (١٦) ﴾

من الأسئلة التي تخطر في ذهن القارئ[1] :

1- لماذا لم يصرح بالفاعل في قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) ﴾ ؟

2- لماذ عطفت الجملتان في قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) ﴾ ولم يترك العطف فيقال : عبس تولى؟ وهل سيختلف المعنى إذا تُرِك العطف؟

3- لماذا تقدم المفعول على الفاعل في قوله تعالى : ﴿ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ (٢) ﴾؟

4- لماذا لم يذكر الأعمى باسمه العلم؟

5- ماذا يُفهم من الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) ﴾؟

6- ما سر التوكيد في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ (١١) ﴾؟

---

(1) الأسئلة لا يمكن حصرها، ويمكنك أن تأتي بأسئلة أخرى، وتحدد الباب الذي يساعد على الإجابة عنها.

7- جاءت بعض الأفعال في الآيات ماضية بينما جاءت بعضها مضارعة فما السر في هذا التغاير؟

ما هو الباب الذي يساعد على الإجابة على كل سؤال من الأسئلة المذكورة؟

السؤال الثاني :

مرت في المثال التوضيحي لأبواب علم المعاني عبارة :" والأبواب التي **تساعد** على الإجابة على هذه الأسئلة " فإلامَ تشير الكلمة التي تحتها خطٌ في هذه العبارة؟

انتظروا

الإجابة

بعد

ثلاثة أيام

الباب الأول:
أحوال الإسناد الخبري

هذا هو أول أبواب علم المعاني الثمانية, والمقصود بالإسناد هو: العلاقة بين المسند والمسند إليه، أو بعبارة أسهل[1] : العلاقة بين الفعل والفاعل أو نائبه في الجملة الفعلية وبين المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية؛ فإذا قلت : "زيد قائم " فقد أسندت القيام إلى زيد، وإذا قلت : " سافر عمرو" فقد أسندت السفر إلى عمرو، أما وصفه بالخبري فلا يقصد به أن الأحوال المذكورة في الباب مختصة بالخبر دون الإنشاء ، لكنْ لما كان المقصود الأعظم في نظر البلغاء هو الخبر قُيِّدَ به، وإلا فإن الإسناد الإنشائي لا يختلف عن الخبري في جريان الأحكام المذكورة في الباب عليه، ويتضمن الكلام على هذا الباب ثلاثة مباحث[2]:

المبحث الأول: القصد من إلقاء الخبر.

المبحث الثاني: أضرب الخبر.

المبحث الثالث: الإسناد الحقيقي والإسناد المجازي.

قال الناظم رحمه الله:

13	**إن قصد المخبر نفس الحكم**	**فسم ذا فائدةً ، وسمِّ**
14	**إن قصد الإعلام بالعلم به**	**لازمَها،.............**

هذا هو المبحث الأول من مباحث الباب وهو: **القصد من إلقاء الخبر**، وقد بين الناظم فيه أن المخبِر[3]يقصد من إلقائه الخبر أحد أمرين:

---

(1) المقصود بمثل هذا التعريف التقريب لا التحرير، وهذا هو المناسب في دراسة مثل هذا المتن.

(2) أول من ضم هذه المباحث في باب واحد هو القزويني في تلخيص المفتاح.

(3) وهو من يكون بصدد الإخبار لا مطلق المتكلم.

1 – إفادة السامع نفس الحكم -**ويسمى فائدةَ الخبر**- فتقول: "زيد انطلق" لمن يجهل انطلاقه, وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله: (**إن قصد**...**فائدةً**).

2 – إفادة السامع أن المتكلم عالم بالحكم: - **ويسمى لازمَ فائدةِ الخبر** - فتقول: " أنت زيد " لمن لا يعرف أنك تعرف اسمه –وهو بالطبع يعرف اسمه , وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله: (**وسمَّ** ...) إلى قوله (**لازمَها**)، وقوله لازمها مفعول به لـ (سمِّ).

تنبيه:

قد يلقى الخبر لأغراض أخرى تفهم من السياق كالفخر والاسترحام وغيرها.

ثم قال الناظم رحمه الله:

14	....	.... **وَلِلْمَقَـامِ انْتَبِـهِ**
15	**إِنِ ابْتِـــدائِيًّاً فَـــلا يُؤَكَّـــدُ**	**أَوْ طَلَبِيـــاً فَهْـــوَ فِيْـــهِ يُحْمَـــدُ**
16	**وَ واجِـبٌ بِحَسَـبِ الإِنْكـارِ**	....

هذا هو **المبحث الثاني من مباحث الباب وهو: أضرب الخبر**, وقد تضمن كلامه في هذا المبحث مطلبين:

المطلب الأول: أضرب الخبر.

المطلب الثاني: إجراء أضرب الخبر على خلاف مقتضى الظاهر.

أما المطلب الأول -وهو أضرب الخبر- فقد بدأه الناظم بقوله: (**وللمقام انتبه...**) أي انتبه أيها البليغ لحال من تخاطبه ، وأحوال المخاطب عندهم على ثلاثة أضرب [1]:

الضرب الأول: أن يكون المخاطَب خالي الذهن من الخبر وعندها يلقى إليه الخبر خاليا من التوكيد - **ويسمى هذا الضرب ابتدائياً**-, وهو ما عبر عنه الناظم بقوله:(**إن ابتدائيًا فلا يؤكد**) .

الضرب الثاني: أن يكون المخاطَب مترددا في الحكم وعندها يحسن إلقاء الخبر مؤكدا- **ويسمى هذا الضرب طلبياً**-, وهو ما عبر عنه الناظم بقوله:(**أو طلبياً فهو فيه يحمد**)

---

(1) على الطالب أن يحذر من اعتقاد أن مثل هذه الأقسام حاصرة لأحوال المخاطبين بحال، وإنما هي من باب المثال تدريسباً للطالب ليس إلا، ويقال نفس هذا الكلام في كثير مما سيأتينا في الأبواب المختلفة – بإذن الله- .

الثالثة: أن يكون المخاطَب منكرا للخبر فيتحتم ويجب التوكيد له، ويزدادا التوكيد لهذا الشخص المنكر كلما زاد إنكاره – **ويسمى هذا الضرب إنكارياً**–, وهو ماعبر عنه الناظم بقوله:(**وواجب بحسب الإنكار**).

فتقول –مثلا– لشخص خالي الذهن من الخبر: سافر محمد

وتقول لآخر متردد في الخبر: قد سافر محمد

وتقول لثالث منكر في الخبر: والله قد سافر محمد، فإذا زاد إنكاره قلت: والله لقد سافر محمد.

وأشهر مثال –عند البلاغيين– لزيادة التوكيد بسبب زيادة الإنكار ما جاء في سورة يس في قوله تعالى في قصة أصحاب القرية :﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾ حيث كذب أصحاب القرية رسولين فعززهما الله بثالث فقال الثلاثة:﴿ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴾ فجاء التأكيد بـ"إنّ"، واسمية الجملة، فلما زاد التكذيب قال المرسلون: ﴿ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴾ فجاء التوكيد بالقسم(4)، و"إنّ"، واللام، واسمية الجملة؛ لمبالغة المخاطبين في الإنكار حيث قالوا: ﴿ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴾، وإجراء أضرب الخبر وفق ما سبق يسمى إجراء أضرب الخبر على مقتضى الظاهر.

فائدة:

---

(4) قال الزمخشري: " وقوله﴿ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴾ جارٍ مجرى القسم في التوكيد, وكذلك قولهم: شهد الله, وعلم الله... "الكشاف: 318/3

زعم بعضهم أن البلاغيين لا يملكون لكلامهم على أضرب الخبر سوى مثال سورة يس، ورغم أن العقل بمفرده دون حاجة إلى أمثلة — أصلاً- يدل على صحة ما ذكره البلاغيون من أن المتكلم يراعي حال المخاطب في التوكيد وعدمه إلا أن القرآن - كذلك- مليء بالأمثلة على ما ذكروه ، وهذان مثالان من الأمثلة التي تكلم عليها العلماء مستفيدين من هذه القاعدة[1] :

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [طه: 15]، وقال - أيضاً - ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ [غافر: 59]وقد بين الكرماني رحمه الله سر الاختلاف في كتابه " البرهان في متشابه القرآن " بقوله : "لأن اللام إنما تزاد لتأكيد الخبر، وتأكيد الخبر إنما يحتاج إليه إذا كان المخبر به شاكاً في الخبر فالمخاطبون في هذه السورة الكفار فأكَّد..."[2].

المثال الثاني:

قال تعالى في قصة موسى عليه السلام مع الخضر في سورة الكهف﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٢]، وقال بعدها في نفس السورة ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٥]وقد بين العلامة محمد الطاهر بن عاشور سر زيادة (لك) في الآية الثانية بقوله : " كان جواب الخضر هذا على نسق جوابه السابق إلا أنه زاد ما حكي في الآية بكلمة (لك) وهو تصريح بمتعلق فعل القول، وإذ كان المقول له معلوما من مقام الخطاب كان في

---

(1) ليس الغرض من المثالين تحرير السر البلاغي من التوكيد وعدمه، و إنما الغرض لفت الانتباه إلى اهتمام العلماء بتطبيقات القاعدة في القرآن، وبإمكان القارئ الكريم مراجعة التفاسير وكتب المتشابه اللفظي، وسيجد آراءً توافق أو تخالف ما نقلته هنا.

(2) "البرهان في توجيه متشابه القرآن..." للكرماني: 220.

التصريح بمتعلق فعل القول تحقيق لوقوع القول وتثبيت له وتقوية، والداعي لذلك أنه أهمل العمل به... ألا ترى أن اللام لم يحتج لذكره في جوابه أول مرة ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾، فكان التقرير والإنكار مع ذكر لام تعدية القول أقوى وأشد "[1].

ثم قال الناظم رحمه الله:

16 .... **وَيَحْسُنُ التَّبْدِيلُ بِالأغيارِ**

هذا هو المطلب الثاني المتعلق بمبحث أضرب الخبر وهو: **إجراء أضرب الخبر على خلاف مقتضى الظاهر**, وقد اكتفى الناظم في إشارته إلى هذا المطلب بقوله: (**ويحسن التبديل بالأغيار**)، ومراده أنه يحسن عند البلاغيين تبديل ما يقتضيه الظاهر من أضرب الخبر بغير ما يقتضيه الظاهر من تلك الأضرب, فقوله :(**الأغيار**) جمع غير؛ لأن هذا الإجراء لأضرب الحصر يحصل فيه إبدال الشيء **بغير** ما يناسبه في الظاهر.

والصور المشهورة عند البلاغيين لإجراء أضرب الخبر على خلاف مقتضى الظاهر ثلاثة:

1 – مخاطبة خالي الذهن وكأنه متردد –وبالتالي يحسن التوكيد له–، وذلك إذا سبق في الكلام ما يشعر بالخبر فينزل خالي الذهن -بسبب ما سبق الخبر من كلام- منزلة المتردد, مثل أن تقول لشخص يريد الذهاب إلى السوق: " لا تذهب إلى السوق؛ إن المحلات مغلقة"؛ فقولك لا تذهب إلى السوق يشعر بوجود سبب يلغي فائدة الذهاب- مثلاً- فيصبح السامع كالمتردد الذي يبحث عن سبب النهي

(1) التحرير والتنوير : 16/ 1.

عن الذهاب فينزل منزلة المتردد لذلك، ومن أمثلته قوله تعالى في سورة هود: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ ﴾ فقوله تعالى يشعر بهلاكهم فصار السامع – وهو نبي الله نوح عليه السلام - كالمتطلع إلى معرفة مصيرهم تحديداً فجاءه الخطاب مؤكداً، **وهذه الصورة مطردة في القرآن بعد الأمر والنهي.**

2 - تنزيل غير المنكر للخبر منزلة المنكر لأن تصرفات هذا الشخص تشبه تصرفات المنكرين –رغم أنه في واقع الأمر ليس كذلك – مثل أن تقول لإنسان مسلم مسرف في الذنوب: " والله إن بعد الموت لحسابا ", فتؤكد له الكلام بعدة مؤكدات رغم أنه لا ينكر الحساب تنزيلاً له منزلة المنكِر لأن تصرفاته تشبه تصرفاته، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ﴾ المؤمنون: ١٥؛ فالموت أمر لا ينكره أحدٌ لكن تصرفات أغلب البشر تشبه تصرفات من ينكر الموت فنُزِّلوا منزلةَ المنكر لذلك.

3 – تنزيل المنكر منزلة غير المنكر لأن حوله من الدلائل ما لو تأمله لارتدع عن إنكاره، مثل أن يقال لملحد: " الله موجود " دون توكيد تنبيها له على وجود دلائل لو تأملها لارتدع عن إنكاره، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٢٢ ﴾ النحل: ٢٢؛ فقد جاءت الآية دون توكيد رغم أن السورة مكية ، لكن الآيات من أول السورة ذكرت من الدلائل على وحدانية الله واستحقاقه أن يفرد بالعبادة ما يزيل إنكار كل منكر، قال تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ

وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ النحل: ١ – ٢٢ .

ومن أعظم من اعتنى بهاتين الصورتين – تنزيل غير المنكر منزلة المنكر وعكسها– من المفسرين العلامة البقاعي في " نظم الدرر" ، مع ملاحظة أن

إشاراته قد تكون خفية نوعاً ما لمن لم يطلع على تفسيره من قبل، أو قرأ فيه دون قصدٍ إلى استخراج الإشارت البلاغية.

ومما يمكن أن يدخل في كلام الناظم ما ذكره البلاغيون عند كلامهم على القصد من إلقاء الخبر من أن العالم بفائدة الخبر أو لازم الفائدة قد يعامل **بغير** ما يناسبه في الظاهر فيعامَلُ مُعاملةَ الجاهل إن كان غير عامل بما يقتضيه علمه؛ فيخبر بالحكم وكأنه جاهل به ، ويكون الخبر في هذه الحالة جاريًا على خلاف مقتضى الظاهر ؛ فمثلاً قد تقول لمهمل يشاهد الكرة ليلة الاختبار : " الاختبار غداً"؛ فتعامله وكأنه يجهل الخبر رغم أنه يعلمه لكن لما كان غير عامل بمقتضى علمه نزلته منزلة الجاهل، ومنه قوله تعالى ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾ البقرة: ٢٩ ، قال ابن عاشور في تفسيرها:" وجملة: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم** ﴾ صيغة قصر[1]، وهو قصر حقيقي سيق للمخاطبين من المشركين الذين لا شك عندهم في أن الله خالق ما في الأرض ولكنهم نُزِّلوا منزلة الجاهل بذلك فسيق لهم الخبر المحصور لأنهم في كفرهم وانصرافهم عن شكره والنظر في دعوته وعبادته كحال من يجهل أن الله خالق جميع الموجودات".

فائدة:

كثيرا ما يؤكَّد الخبر لمجرد الاهتمام, والاهتمام له أسباب متعددة منها: غرابة الأمر، أو أن المقام مقام وعيد إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتأمل[2].

---

(1) القصر من طرق التوكيد.

(2) انظر موجز البلاغة للعلامة ابن عاشور: 11 -12.

وختاماً:

هذه بعض

الفوائد والطرق

المقترحة

لتكوين الملكة فيما درسناه

فائدة:القواعد البلاغية قواعد هادية لا قواعد حاكم:

يقول الدكتور محمود توفيق سعد في كتابه " المنهج إلى التذوق البلاغي للقصيدة العربية ص : 14 " حيث قال : " فقه الشعر وتذوقه ونقده ليس فعلاً إنسانياً تمارسه الدهماء بل هو عمل آدمى **يعالجه الصفوة.**

وإذا ما كان عملا لا فعلا فهو قائم على علم وقصد واحتشاد ، حتى **يستحيل بالخبرة والدربة وطول المراس صناعة.**

وهو لا يستحيل من كونه فعلا إلى كونه عملا ثم صناعة إلا إذا كان هنالك منهاج يُنتهج **يضبط الحركة** ، **ويرصد الغاية.**

وهو إذ يضبط إنما يضبط ضبطا متآخيا مع واقع ما ينتهج فيه وإليه ، **فلا يتعبد برسومه** ، ولكن **يسترشد بمعالمه**؛ومن ثم **لا تكون إقامة معالمه للتطبيق** ، بل **للاستهداء به** في التحليل..... ".

تمرين (1):

حدد الفقرات التي جرى فيها الخبر على خلاف مقتضى الظاهر، ثم حدد الصورة التي تدخل فيها كل فقرة ؟

1-تقول لمن أكثر من شرب الدخان حتى أنهكته الأمراض بسببه و حذره الأطباء من شربه : " التدخين مضر".

2-تقول لغائب عن الدرس: " اختبار البلاغة غداً ".

3- تقول لمن يظن سماع المعازف مباحا : " المعازف محرمة بنص الحديث"

4 - تقول لضيف انشغل بالحديث عن شرب الشاي " الشاي إن تأخر الإنسان في شربه يبرد"

5 – تقول لمتكبر على غيره : " آدم هو أبو البشر جميعا "

تمرين(2)

قارن بين الآيات الآتية من جهة جريانها على مقتضى الظاهر:

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ ﴾

وانظر إن شئت: العنكبوت: 46 – طه: 88 – 98 – الكهف: 110- الأنبياء:108- الحج: 34 – فصلت: 6.

طريقتان مقترحتان لتكوين الملكة في هذا الباب:

<u>الطريقة الأولى : النظر إلى كل آية على حدة:</u>

وسأذكر الطريقة أولاً بطريق الإجمال :

الخطوة الأولى: التحديد لـ :

مستوى التوكيد - حال المخاطب - طريقة جريان الكلام.

ومن ثم محاولة الكلام على التوكيد في الآية.

الخطوة الثانية: مراجعة كلام أهل العلم في نفس الآية للحكم على رأيك الذي وصلت إليه.

هذا على سبيل الإجمال وأما على سبيل التفصيل فهي على النحو التالي:

الخطوة الأولى : حاول تحديد كل من:

1 - مستوى التوكيد الموجود في الآية

2 – حال المخاطب من خلال:

أ - الرجوع إلى كتب التفسير وخاصة التفسير بالأثر ، و لكتاب السيرة الذهبية لمحمد بن رزق طرهوني وكتب أسباب النزول أهمية كبيرة هنا.

ب –التأمل في السياق ، و مما يعين هنا :"التحرير والتنوير"، و"نظم الدرر"، و"الظلال"، ثم كل كتاب يهتم بتناسب الآيات ومقاصد السور.

3 – طريقة جريان الكلام ، هل جرى على مقتضى الظاهر أم على خلافه ؟

وبناء على كل هذا حاول أن تحدد وجه التوكيد في الآية.

ثانيا: ارجع إلى كتب التفسير المعتنية بالبلاغة ، ومن أحسنها في الاهتمام بأضرب الخبر : "نظم الدرر" ، و"التحرير والتنوير" ، لتقيم وتقوم ما توصلت إليه.

<u>تمرين (3):</u>

طبق الطريقة المذكورة على ما يلي:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[الأنبياء: 51]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾[البقرة 168]

﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الدخان:23]

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾[غافر: 2]

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأعراف: 52]

الطريقة الثانية : جمع المتشابهات[1] :

هناك آيات كثيرة متشابهة مع وجود اختلاف كبير بينها، وقد اصطلح علماء علوم القرآن على تسميتها بالمتشابه اللفظي، و من تلك الآيات ما يرجع الاختلاف فيها إلى التوكيد وعدمه أو إلى اختلاف درجة التوكيد، وطريقة جمع المتشابهات – وهي أصعب من الأولى لكنها أكثر نفعاً – مبنيةٌ على جمع هذه المتشابهات ثم محاولة معرفة سر التغاير وربط ذلك بالقاعدة البلاغية.

مع ملاحظة أنه لا بد في هذه الطريقة من جمع كل الآيات التي بينها تشابه ، مع مراعاة كل القراءات المتواترة، والاكتفاء ببعض الآيات دون البعض الآخر، وكذا الاقتصار على بعض القراءات دون بعضٍ خللٌ في منهج النظر يسبب خطأً في التوجيه البلاغي[2].

---

(1) يلاحظ أنه لا بد في هذه الطريقة من تنفيذ خطوات الطريقة الأولى.

(2) وقد وقع في هذا الخلل جمع من السابقين والمعاصرين فعلى طالب العلم أن يتنبه لهذا الأمر أثناء الإفادة من كلامهم .

تمرين (4):

حاول أن توجه الآيات التالية بلاغياً:

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ طه: ١٥

﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الحجر: ٨٥

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ الحج: ٧

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ غافر: ٥٩

ثم قال الناظم رحمه الله:

17 وَالْفِعْلُ أَوْ مَعْناهُ إنْ أَسْنَدَهُ لمـا لَـهُ فـي ظـاهرٍ ذا عِنْـدَهُ

18 حقيقـةٌ عَقْليَّـةٌ ، وَإنْ إلـى غَيْـــرِ مُلابِـــسٍ مَجـــازٌ أُوِّلا

هذا هو **المبحث الثالث** -من مباحث الباب- وهو: **الإسناد الحقيقي والإسناد المجازي:**

ويحتوي هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الحقيقة العقلية- الإسناد الحقيقي -.

المطلب الثاني: تعريف المجاز العقلي- الإسناد المجازي- .

وقبل الكلام على المطلبين لا بد من تمهيد وتنبيهات:

التمهيد[1]:

لاحظ العلماء وهم يتحدثون عن الإسناد أن الفعل قد يسند إلى فاعله الحقيقي، وقد يسند إلى غير فاعله الحقيقي مما يلابسه ويصاحبه، وبناء على هذا قسموا الإسناد إلى حقيقي وغير حقيقي – مجازي -؛ فإذا قال قائل: " سالت دموعي " فالإسناد حقيقي لأن الفعل (سال) أُسند إلى من صدر منه السيلان، وإذا قال: " سالت عيوني " فالإسناد غير حقيقي لأن الفعل (سال) أُسند إلى غير من صدر منه السيلان، لكن هذا الذي أسند إليه الفعل يلابس الفعل ويصاحبه فالعيون تلابس سيلان الدموع كما هو ظاهر.

التنبيهات:

تنبيه (1): العبرة عند البلاغيين في كون الإسناد حقيقيا أو مجازيا هو الحال الظاهرة للمتكلم؛ ويبدو أن فائدة هذا القيد لا تظهر إلا إذا اختلف اعتقاد

([1]) في مثل هذا التمهيد أحرص على سهولة العرض أكثر من حرصي على دقة العبارة، وأظن أن هذا هو الأنسب في مثل هذا المقام.

شخصين –مثلاً– بحيث اعتقد أحدهما أن الإماتة بيد الله لأنه مسلم، واعتقد الآخر أن الأمراض تميت بنفسها لأنه ملحد لا يعتقد وجود الخالق؛ فإذا قال قائل:" أمات المرضُ زيداً" فإننا نحكم أن الإسناد حقيقي أو مجازي بحسب ظاهر حال المتكلم فإن صدر هذا القول من المسلم فإننا سنعدُّ الإسناد مجازياً ، وإن صدر من الملحد فسنعد الإسناد حقيقياً[2].

تنبيه (2): المقصود بالملابس للفعل أيُّ أمرٍ يصاحب الحدث وله علاقة به[3]؛ فمثلاً الصوم يصاحب زمان الصوم – وهو النهار– وله علاقة به، والبناء حدث يصاحب الآمر بالبناء وله علاقة به.

التنبيه (3): لا بد من وجود قرينة في الكلام تصرفه عن الحقيقة إلى المجاز, وهذه القرينة على نوعين:

أ – قرينة لفظية: كقول القائل:"أمات المرضُ الخليفةَ؛ فسبحان الواحد القهار"؛ فالجملة الثانية بينت لنا أن المتكلم لا يريد بالإسناد في الجملة الأولى الإسناد الحقيقى.

ب – قرينة عقلية: وذلك بأن يوجد ما يستحيل معه قيام الفعل بالفاعل عقلاً مثل: " بيتُ زيدٍ سعيدٌ "؛ لأنه يستحيل عقلاً تعلق السعادة بالجمادات – في الدنيا[4]–، أو يوجد ما يمنع منه بحسب العادة كقولك " بنى الأمير الغرفة".

---

(2) اضطررت لذكر هذا التنبيه مع قلة فائدته وصعوبة التمثيل له لتوقف تعريف الإسناد الحقيقي و المجازي بالتعريف المشهور عند المتأخرين عليه، هذا؛ وللخلاف العقدي بين الأشاعرة والمعتزلة أثر في كلام البلاغيين في هذه المسألة، انظر: إصلاح الإيضاح للعسكر.

(3) مع ملاحظة أن ما يسند إليه الفعل إسناداً حقيقياً ملابسٌ – أيضاً– ، ولذلك سيأتي في تعريف المجاز العقلي قيدٌ يخرجه.

(4) أما أمور الآخرة فلا يمكن صرفها عن الحقيقة إلى المجاز بمثل هذا المانع العقلي، وسيأتي مزيد بيان لهذا الأمر – بإذن الله – .

ومسألة القرينة مهمة جداً لتعلقها بمسألة القول بالمجاز في القرآن، وسيأتي مزيد من البيان لأمر القرينة في التطبيقات بإذن الله.

ومما ذُكر في التنبيهين الثاني والثالث يتضح لنا أن **للمجاز العقلي شرطين** : **الملابسة – العلاقة –** ، و**القرينة**، وإذا فقد أحدهما فلا يصح حمل الكلام على المجاز.

وبعد هذا التمهيد والتنبيهات فلنتكلم على المطلبين اللذين ذكرهما الناظم تحت هذا المبحث:

أما المطلب الأول –وهو تعريف الحقيقة العقلية– فالمعتمد[5]أن الحقيقة العقلية هي: إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر.

والمقصود بـ: (**ما في معنى الفعل**) المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل وغيرها[6].

و (**ما هوله**) أي: ما هو قائم به وحقه أن يسند إليه.

و(**عند المتكلم**) قيدٌ ينبهنا أن العبرة بمراد المتكلم.

و (**في الظاهر**) أي: فيما يفهم من ظاهر حال ذلك المتكلم.

وهذا التعريف هو ما عبر عنه الناظم بقوله: (**والفعل... حقيقة عقلية**)

فقوله: (**والفعل**) مبتدأ (**أو معناه**) أي: ما في معنى الفعل (**إن أسنده**) أي: إن أسنده المتكلمُ (**لما له**) أي: لما حقه أن يسند إليه(**في ظاهر ذا**) مبتدأ ثان (**عنده**)أي: في ظاهر حال المتكلم (**حقيقة عقلية**)خبر للمبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره في محل رفع خبر للمبتدأ الأول.

---

(5)عند القزويني ومن تابعه.

(6) انظر للتوسع حاشية الدسوقي على مختصر المعاني.

و أما المطلب الثاني -وهو تعريف المجاز العقلي- فالمعتمد[7] أن المجاز العقلي هو: إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ملابس له غيرِ ما هو له بتأول.

وهذا هو ما عبر عنه الناظم بقوله:

(.....وإن إلى غيرٍ مُلابس مجازٌ أوِّلا)

أي: وإن أسند الفعل او ما في معناه إلى غير ما هوله - وصفة هذا الغير أنه ملابس للفعل- فإنه يحكم عليه بأنه مجاز عقلي بشرط أن يوجد ما يدل على أن المتكلم متأولٌ .

فائدة:

ملابسات الفعل –وما في معنى الفعل- كثيرة منها:الزمان، والمكان، والسبب، والمسبَّب، والفاعل، والمفعول وغيرها.

فإذا أسند الفعل إلى زمن وقوعه فالعلاقة هي الزمانية كقولك:"نهار زيد صائم".

وإذا أسند الفعل إلى مكان وقوعه فالعلاقة هي المكانية كقولك: "سال الميزاب".

وإذا أسند الفعل إلى سببه فالعلاقة هي السببية كقولك: "بنى الأمير المدينة".

وإذا أسند الفعل المبني للمعلوم إلى المفعول- وكذا إذا أسند اسم الفاعل إلى المفعول- فالعلاقة هي المفعولية كقولك: "رَضِيَتْ عيشتي" و "عيشتي راضية"[8].

وإذا أسند الفعل المبني لما لم يسم فاعله إلى الفاعل- وكذا إذا أسند اسم المفعول إلى الفاعل- فالعلاقة هي الفاعلية كقولك : "سُتر الحجابُ"، و"الحجاب مستور"[9].

والعلاقات متعددة لكن البلاغيين يطيلون الكلام عليها عند كلامهم على المجاز المرسل في علم البيان، فلعل الكلام عليها بالتفصيل يكون هناك – بإذن الله –.

([7])عند القزويني ومن تابعه.

([8])لو أردتَ الإسناد الحقيقي لقلتَ:"رضيتُ عيشتي"، و"أنا راضٍ بعيشتي".

([9])لو أردتَ الإسناد الحقيقي لقلتَ – مثلاً- :" ستر الحجاب المرأة"، و"المرأة مستورة بالحجاب".

إشارة موجزة

إلى

مسألة دار حولها الجدل:

وقوع المجاز في القرآن

الخلاف حول وقوع المجاز في القرآن :

مسألة وقوع المجاز العقلي والمجاز -عمومًا - في القرآن من المسائل التي طال حولها الجدل ، والتحرير فيها أن يقال[10] : إن المجاز واقع في القرآن شريطة وجود شرطه- وهو القرينة اللفظية أو العقلية- ، مع ملاحظة أن القرينة العقلية إنما تعتبر إذا كان الحديث عن أمر تدركه العقول في عالم الشهادة ،أما عالم الغيب فهو مما لا يمكن للعقول أن تدركه في الحياة الدنيا حتى تقضي بإمكان شئ أوامتناعه،

والطريقة المقترحة للنظر في الآيات التي قيل فيها بالمجاز[11]:

1 – معرفة دلالة التركيب الموجود في الآية عند العرب وقت نزول القرآن ، وهل هي دلالة مبنية على الحقيقة أو على المجاز.

2 — حمل الكلام على هذه الدلالة سواء كانت حقيقة أو مجازاً ما لم توجد قرينة صارفة.

2 — البحث عن القرائن المؤكدة لتلك الدلالة أو الصارفة عنها، وهي:

أولا : القرائن اللفظية في:

أ- القرآن سواء كانت في نفس الآية القرآنية أو في آية اخرى.

ب — السنة الصحيحة، وقد يستأنس بغيرها كما هو معروف عند أهل التفسير.

ج — أقوال السلف وخصوصاً الصحابة -رضي الله عنهم-.

ثانيا : القرينة العقلية : و إنما تستخدم فيما يمكن للعقل أن يدركه من عالم الغيب —كما مر –

تمرين(1) [12]:

---

(10) أما بسط المسألة فيطول،ودون إنهاء النزاع فيها خرط القتاد، لا لخفاء المسألة فهي كالشمس، لكن لأسباب أخرى إثارتها تثير جدلاً أكبر، والله أعلم.

(11)انظر كتاب :" المدخل إلى بلاغة أهل السنة" للدكتور محمد الصامل.

(12)لا بد عند الإجابة من التوثيق من كتب التفسير وشروح الحديث .

تحديد الإسناد الحقيقي والمجازي في الحديث أسهل منه في القرآن ، وخاصة إن كان الكلام وصفا لحدث حاضر ، تأمل في الحديثين التاليين وكلاهما في البخاري محاولاً تحديد المجاز العقلي والقرينة في كل منهما:

65 – ...عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال : كتب النبي صلى الله عليه و سلم كتابا – أو أراد أن يكتب – فقيل له إنهم لا يقرؤون كتابا إلا مختوما فاتخذ خاتما من فضة نقشه محمد رسول الله كأني أنظر إلى بياضه في يده . فقلت لقتادة: من قال: نقشه محمد رسول الله ؟ قال أنس .

169 – عن أنس – رضي الله عنه– : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره.

تمرين(2):

في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته" أو قال:" فأوقصته"، قال النبي صلى الله عليه و سلم :" اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً"

قالَ في الفتح : قوْله : (فَوَقَصَتْهُ ، أَوْ قَالَ فَأَوْقَصَتْهُ)

شَكّ مِنْ الرَّاوِي ، وَالْمَعْرُوف عِنْد أَهْل اللُّغَة الْأَوَّل وَالَّذِي بِالْهَمْزِ شَاذّ ، وَالْوَقْص كَسْر الْعُنُق ، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون فَاعِل وَقَصَتْهُ الْوَقْعَة أَوْ الرَّاحِلَة بِأَنْ تَكُون أَصَابَتْهُ بَعْد أَنْ وَقَعَ وَالأَوَّل أَظْهَر ، وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ فَوَقَصَتْهُ أَيْ رَاحِلَته فَإِنْ كَانَ الْكَسْر حَصَلَ بِسَبَبِ الْوُقُوع فَهُوَ مَجَاز ،وَإِنْ حَصَلَ مِنْ الرَّاحِلَة بَعْد الْوُقُوع فَحَقِيقَة.

يلاحظ أن الحافظ رجح الاحتمال المجازي فما السبب؟ ماذا تلاحظ؟

تمرين (3) :

ما رأيك في قول من حمل هذه الآيات على المجاز – بين بالتفصيل –؟

أ- ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزلة: ٢].

ب- ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق: ٤].

ج- ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [المزمل: ١٧].

د- ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [القصص: ٤].

هـ - ﴿ مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٦١]

و- ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٢١]

ز- ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الكهف: ٧٧]

ح- ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٧]

أحوال المسند إليه:

هذا هو **الباب الثاني من أبواب علم المعاني**, وهو من أهم أبواب علم المعاني وأعظمها شأنا، وذلك للحاجة إليه في إدراك بلاغة أيِّ جملة عربية، وينحصر كلام الناظم في هذا الباب في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أحوال المسند إليه في ذاته.

المبحث الثاني: أحوال المسند إليه بالنظر إلى ما يتعلق به.

المبحث الثالث: خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر.

قال الناظم رحمه الله:

19 الْحَـــذْفُ لِلصَّـــوْنِ وِ وَالاحْتِـــرازِ أوْ لِلاخْتِبـــارِ

هذا هو المبحث الأول من باب أحوال المسند إليه وهو: أحوال المسند إليه في ذاته, ويتضمن هذا المبحث خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحذف.

المطلب الثاني: الذكر.

المطلب الثالث: التعريف .

المطلب الرابع: التنكير.

المطلب الخامس: التقديم.

تنبيه: سيتكلم الناظم على المطالب الأربعة الأولى من المبحث الأول ثم سينتقل إلى المبحث الثاني وبعد الانتهاء منه سيختم الباب بالمطلب الخامس, **وهو في كل هذا متابع للقزويني**[1] .

([1]) إذ هو أول من سلك هذا الترتيب مخالفاً من سبقه – السكاكي وابن مالك [ابن الناظم]- .

أما المطلب الأول من مطالب هذا المبحث –وهو الحذف– فقد تكلم عليه الناظم في هذا البيت حيث أشار إلى أربعة من دواعي حذف المسند إليه وهي:

الداعي الأول: إرادة الصون –و الصون هو الوقاية –:

و إرادة الصون لها أسباب منها:

أ– تعظيم المسند إليه عن أن يذكر في مقامٍ لا يليق بتعظيمه، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ حيث حذف لفظ الجلالة وجاء الفعل (أريد) مبنيًا لما لم يسم فاعله, تعظيمًا لاسم الله عن نسبة إرادة الشر إليه سبحانه وتعالى.

ب – الخوف على المسند إليه فيحذفه المتكلم خوفا من إصابته بأذى – مثلاً–, وذلك مثل أن تقول الأم للأب خوفا على ابنها الذي كسر الإناء: "كُسِر الإناء فاشترِ لنا غيره".

تنبيه:

كثيرا ما يمثل البلاغيون لغرض من أغراض حذف المسند إليه –مثلا– بمثال من حذف المسند وكذلك الحال في كثير من الأغراض, وذلك لأن أغراض الحذف والذكر والتعريف والتنكير مشتركة –غالباً– بين أجزاء الجملة المختلفة، والمثالان المذكوران في الفقرتين : (أ) و (ب) من هذا القبيل.

الداعي الثاني: تأتي الإنكار:

أي إمكانية الإنكار عند وجود الحاجة إليه كأن يقول موظف عن مديره –وهو يخاف من الوشاة –: "مراوغ محتال" فيحذف اسمه ليمكنه التهرب من المؤاخذة على ما قاله.

الداعي الثالث:الاحتراز عن العبث:

وذلك عندما تدل القرينة على المحذوف فيصبح ذكره في هذه الحالة عبثاً، كأن يقول لك قائل: " ما اسمك؟" فتجيبه:"محمد"، لأنك لو ذكرت المسند إليه فقلت : "اسمي محمد " لطال الكلام دون فائدة، وهذا معدود عند العرب –قديماً[1]– من العبث.

الداعي الرابع: اختبار المستمع

هل يتنبه للقرائن الدالة على المحذوف أم لا ؟

كأن تقول لطالب علم مختبراً لمستواه العلمي: أَلَّف (إرواء الغليل) فنفع الأمة ، فقد حذفت المسند إليه – الألباني– لتختبر مدى معرفة هذا الطالب بالكتب ومؤلفيها.

تنبيه:

لايقصد البلاغيون من ذكر الدواعي والأغراض الحصر، بل الحصر في مثل هذا متعذر؛ فعلى الدارس التنبه لهذا كي لا يكون همه حفظ الأغراض ومحاولة الاستكثار منها بمطالعة المتون البلاغية المختلفة [الجوهر – العقود – التبيان – المفتاح...إلخ]، وعليه أن يديم التأمل ليدرك الأصل الجامع لأكثر تلك الأغراض، ومن أكثر من يتعرض لتلك الأصول الجامعة – في حدود علمي -: النورسي وابن عاشور والدكتور محمد أبو موسى .

فائدة[2]:

من أهم أغراض الحذف عموماً:

1- الإيجاز 2- إثارة فكر السامع 3- البعد عن الثقل بإطالة الكلام.

---

(1) أما حديثاً فقد تغيرت الأحوال كما لا يخفى .

(2) انظر:خصائص التراكيب: 161.

ثم قال الناظم – رحمه الله-:

20 **وَالـذِّكْرُ للتَّعْظـيمِ وَالإهانَـةِ وَالْبَسْــطِ والتَّنْبِيــهِ والْقَرينَــةِ**

هذا هو ثاني مطالب المبحث الأول وهو: الذكر,وقد ذكر الناظم خمسة من دواعي ذكر المسند إليه وهي:

الداعي الأول: تعظيم المسند إليه:

بأن يكون المسند إليه دالاً على التعظيم(1)، وذلك مثل أن يسألك شخص: ما فعل زيد ؟ فتجيب: المجتهد حصل على الدرجة الكاملة.

الداعي الثاني: تحقير المسند إليه:

بأن يكون المسند إليه دالاً على الإهانة(2)،،وذلك مثل أن يسألك شخص: ما فعل زيد ؟ فتجيب: السارق قطعت يده.

الداعي الثالث: إرادة البَسْطُ للكلامِ:

و ذلك إذا كان المقام يقتضي البسط –كمقام الأنس بالأحباب ومقام الفخر وغيرهما-, ومن أمثلة هذا الغرض المشهورة عند البلاغيين قوله تعالى:﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [طه: ١٧ – ١٨] , فكان الأصل أن يكتفي موسى بقوله: ﴿ عَصَايَ ﴾ ، ولكنه ذكر المسند إليه ﴿هِيَ ﴾ لأن المقامَ مقامُ أنسٍ، ولذلك زاد على الجواب بقوله:﴿ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.

الداعي الرابع: التنبيه على غباوة السامع:

وكأن الذكر ينبه أن المخاطب بلغ من ضعف الفهم ما يجعله لا يتفطن

(1) هذا ما ذكره شراح التلخيص في بيان هذا الغرض ، و المقام مقام تقرير لما ذكروه وليس مقام تحرير للمسألة.

(2) هذا ما ذكره شراح التلخيص في بيان هذا الغرض ، و المقام مقام تقرير لما ذكروه وليس مقام تحرير للمسألة.

للمحذوف مهما كانت القرينة ظاهرة الدلالة عليه, ومما يصلح للتمثيل به في هذا الموضع قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣ ﴾ [الأنبياء: ٦٢ – ٦٣]،قال الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني " فأجابهم عليه السلام جواباً فيه تعريض بغباوتهم، إذْ ذَكَرَ في كلامه ما يُمْكن فَهْمُه لو حذفه... لَقَدْ كَان يكفي أن يقول لهم: "بل فعله كبيرهم" أو يقول لهم: "بل فعله هذا" لكنّه شعر أنّهم أغبياء إذْ يُدَافِعونَ عن آلهتهم من الأصنام التي حُطِّمَتْ ولم تستطعْ أن تُدَافع عن أَنْفُسِها، ولم يُقْنِعهم تحطيمها بأنّها لو كانت تملك لأنفسها أو لغيرها نفعاً أو ضرّاً لحمت أنفسها من التحطيم، ولمَنَعتْ مُحَطِّمَها من أن يجعلَهَا جُذاذاً.

ومن كان بمثل هذا الغباء فإنّه يُناسبُه أن لا يُحْذَفَ له من الكلام ما يُمْكن أن يفهمه أَقَلُّ النَاس ذكاءً وإدراكاً لدلالات القول "[1].

وقريب منه من غير باب المسند إليه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٦٧ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ۝٦٨ ﴾ [البقرة: ٦٧–٦٨]، قال ابن عاشور في تفسيره: " وجاء في جوابهم بهذا الإطناب دون أن يقول من أول الجواب إنها عوان تعريضًا بغباوتهم واحتياجهم إلى تكثير التوصيف حتى لا يترك لهم مجالا لإعادة السؤال"[2].

الداعي الخامس: الاحتياط لضعف التعويل على القرينة: إما لضعفها، أو لضعف فهم المخاطب لها, كأن تقول لطالب علمٍ مبتدئٍ:" ألف **الألباني** إرواء الغليل فانتفعت به الأمة"[3].

---

(1) البلاغة العربية – أسسها وعلومها وفنونها– : 321/1.

(2) التحرير والتنوير: 551/1.

(3) قارن بما مضى في الداعي الرابع من دواعي الحذف.

تنبيه:

الأصل في المسند إليه أن يذكر, ولذلك فإن البلاغيين –غالباً– لا يهتمون بالسر البلاغي لذكره إلا إذا أمكن حذفه عند دلالة القرينة عليه.

فائدة:

" والمهم في موضوع ذكر المسند إليه هو الرغبة في التقرير والإيضاح ؛ فإن هناك بعض المعاني تكون أشد علقةً بالنفس فيحرص المتكلم على إبرازها وإشاعتها في جو كلامه"[1].

(1) خصائص التراكيب: 181، وقد ساق بعد ذلك أمثلة لطيفة فانظرها – إن شئت– .

تمارين وأفكار لتكوين الملكة

تمرين(1):صل بين الغرض والحالة التي تناسبه في نظرك:

الحذف للصون

الحذف لاختبار المستمع

الحذف لصحة الإنكار   غرض واسع يكثر في كلام البلغاء

الحذف للاحتراز عن العبث

غرض متوسط قد يقع في كلام البلغاء

الذكر للتعظيم

غرض ضيق لايكاد يوجد في كلام البلغاء

الذكر للإهانة

الذكر لإرادة بسط الكلام

الذكر للتنبيه على غباوة السامع

الذكر لضعف الاعتماد على القرينة

هل تستطيع أن تعلل لاختياراتك السابقة؟

تمرين (2)[1] بيّن أسباب ذكر وحذف المسند إليه في الأمثله الآتية :

1- قال الشاعر مفتخراً :

(1) التمرين مأخوذ من كتاب: (البلاغة) لعمر الكاف.

وقد علم القبائل من مـعد 		إذا قبب بأبطـحها بنينا

بأنا المطـعون إذا قدرنا 		و**أنا** المهلكون إذا ابتلينا

و**أنا** المانـعون لما أردنا 		و**أنا** النازلون بحيث شينا

و**أنا** التاركون إذا سـخطنا 		و**أنا** الآخذون إذا رضينا

2- **زيد** نعم الصديق[**تقوله إذا سبق لك ذكر زيد وطال عهد السامع به ، أو ذكر كلام في شأن غيره]** .

3- **زيد** عندي [**إذا قلته جوابا لمن قال : أين زيدٌ** ؟]

4- المديركلمني في أمرك ، و**المـدير** أمرني بمقابلتك، و**المـدير** يحذرك من تكرار أخطائك .

5- قال الشاعر :

فعباس يصد الخطب عنا 		و**عباس** يجير من استجارا

6- محتال مراوغ [**تقوله بعد ذكر إنسان**] .

7- يستمد النورَ من الشمس[**تريد القمر**] .

فائدة – غرض للحذف لم يذكره الناظم –:

قال العلامة الطاهر ابن عاشور في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ ﴾ يس: ٥ – متحدثا عن قراءة من رفع (تنزيلُ) على أنه خبر لمبتدأ محذوف – : "

وهذا من مواقع حذف المسند إليه الذي سماه السكاكي **الحذف الجاري على متابعة الاستعمال** في أمثاله؛ وذلك أنهم إذا أجروا حديثاً على شيء ثم أخبروا عنه التزموا حذف ضميره الذي هو مسند إليه إشارة إلى التنويه به كأنه لا يخفى كقول إبراهيم الصّولي ، أو عبد الله بن الزَّبير الأَسدي أو محمد بن سعيد الكاتب ، وهي من أبيات الحماسة في باب الأضياف :

سأشكر عَمْراً إن تراختْ منيتي ... أيَادِيَ لم تمنن وإن هي جَلّتِ

فتىً غيرُ محجوب الغنى عن صديقه ... ولاَ مظهرِ الشكوى إذ النعل زلَّتِ

تقديره : هو فتى" .

تنبيه:

لا يعد بناءِ الفعل لما لم يسم فاعله عند جمهور البلاغيين[1] من باب حذف المسند إليه، بل يعدون المسند إليه في قولك : "أكل الطعام" مذكوراً وهو الطعام، وعليه فما سيذكر من أمثلة في التمرين(3) من باب التساهل في المثال.

تمرين(3) حدد المحذوف ثم اختر الغرض المناسب للحذف:

1 - ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ البقرة: ٢١٢

(1) ويرى الدكتور محمد أبو موسى أنه من باب حذف المسند إليه.

2 - ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾ النساء: ١٤٠

3 - ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) ﴾ الأنعام: ٩٥

4 - ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾ هود: ٤٤

5 – جاء في الحديث الضعيف في المسند وغيره : "إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه و لا يرد القدر إلا الدعاء و لا يزيد في العمر إلا البر"

أ – حُذف الفاعل ليصلح التمثّل به في كلّ مقام.

ب – حُذِف الفاعل لاستهجان ذكره.

ج – حذف الفاعل لأن الفاعلين أصناف متعددة.

د – لتتأتّى بحذف الفاعل صلاحية إسناد الفعلين إلى الكافرين والمنافقين .

هـ – حذف الفاعل لدقته بحيث يحتاج ذكره إلى تفصيل.

فكرتان لتكوين الملكة في مبحثي الحذف والذكر:

الفكرة الأولى – عند عدم وجود نصوص مشابهة –:

عندما تبحث عن سر الحذف حاول ذكر المحذوف ووازن بين الأسلوبين، وعندما تبحث عن سر الذكر حاول حذف المذكور ووازن بين الأسلوبين.

مثال (1) : قال تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ ﴾ لو كان المحذوف المقدر مذكوراً لقيل : عبست وتوليت فما الفرق بين الأسلوبين ؟ هل أدركت سر الحذف؟

مثال (2): قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ البقرة: ٦٥، لو كان فاعل علمتم محذوفاً لقيل : ولقد عُلِمَ الذين اعتدوا ... فما الفرق بين الأسلوبين ؟ هل أدركت سر الذكر؟

الفكرة الثانية – عند وجود نصوص مشابهة -:

مرت معنا في أضرب الخبر طريقة لتكوين الملكة سميتها جمع المتشابه ، وهي المقصودة هنا مع كون الآيات المرادة بالدراسة هنا هي الآيات التي حذف فيها شيء في موضع و ذكر في موضع آخر .

مثال:

قال الطاهر ابن عاشور في تفسيره لأول سورة إبراهيم مقارناً لها بأول سورة الأعراف: " الكلام على تركيب : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ ﴾ إبراهيم: ١ كالكلام على قوله تعالى : ﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ الأعراف: ١ – ٢ ، عدا أن هذه الآية ذكر فيها فاعل الإنزال وهو معلوم من مادة الإنزال المشعرة بأنه وارد من قبل العالم العلوي ، فللعلم بمُنْزِلِهِ حُذِفَ الفاعل في آية سورة الأعراف ، وهو مقتضى الظاهر

والإيجاز؛ ولكنه ذكر هنا[1] لأن المقام مقام الامتنان على الناس المستفاد من التعليل بقوله : ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ، ومن ذكر صفة الربوبية بقوله : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ ، بخلاف آية سورة الأعراف فإنها في مقام الطمأنة والتصبير للنبيء عليه الصلاة والسلام المنزل إليه الكتاب ، فكان التعرض لذكر المنزل إليه والاقتصار عليه أهم في ذلك المقام مع ما فيه من قضاء حق الإيجاز .

أما التعرض للمنزل إليه هنا فللتنويه بشأنه ، وليجعل له حظ في هذه المنة وهو حظ الوساطة ، كما دل عليه قوله : { لتخرج الناس من الظلمات إلى النور } ، ولما فيه من غم المعاندين والمبغضين للنبيء صلى الله عليه وسلم

ولأجل هذا المقصد وقع إظهار صفات فاعل الإنزال ثلاث مرات في قوله : ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ﴾ بعد أن كان المقام للإضمار تبعاً لقوله : ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ "

يلاحظ أن هناك آيات أخرى كثيرة تشبه الآيتين اللتين تعرض لهما الطاهر ابن عاشور حاول جمع تلك الآيات ودراستها دراسة بلاغية متأنية.

(1) أي في سورة إبراهيم.

قال الناظم رحمه الله:

21 وَإِنْ بِإِضْمارٍ يَكُنْ مُعَرَّفا فَلِلْمَقاماتِ الثَّلاثِ فاعْرِفا

22 وَالأَصْلُ في الْخطابِ لِلْمُعَيَّنِ وَالتَّرْكُ فِيْهِ لِلْعُموم الْبَيِّنِ

هذا هو ثالث مطالب المبحث الأول وهو: التعريف, و قد ذكر الناظم فيه المعارف الستة المشهورة, ولذلك فسيندرج كلامه حول التعريف تحت ستة عناصر:

العنصر الأول: التعريف بالضمير.

العنصر الثاني: التعريف بالعلم.

العنصر الثالث: التعريف بالاسم الموصول.

العنصر الرابع: التعريف باسم الإشارة.

العنصر الخامس: التعريف باللام.

العنصر السادس: التعريف بالإضافة.

أما العنصر الأول -وهو: التعريف بالضمير- فهو الذي تكلم عليه الناظم في هذين البيتين, واشتمل كلامه على مسألتين:

المسألة الأولى: التنبيه على أن معرفة الضمير المناسب للمقام راجع إلى المقامات الثلاثة المعروفة —وهي التكلم والخطاب والغيبة-, وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله:

وَإِنْ بِإِضْمارٍ يَكُنْ مُعَرَّفا فَلِلْمَقاماتِ الثَّلاثِ فاعْرِفا

الثاني: التنبيه على أن الأصل أن المخاطب يكون معينا وقد يترك تعيينه ليعمَّ كل مخاطب, ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [السجدة: ١٢] ؛ "أي تناهت حالهم في الظهور فلا يختص بها مخاطب"[1]، وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله:(والأصل في الخطاب...إلى قوله: البين).

ثمَّ قال الناظم رحمه الله:

23 وَعَلَمِيَّةٌ فَلِلإِحْضارِ وَقَصْدِ تَعْظيمٍ أوِ احْتقارِ

هذا هو العنصر الثاني من عناصر تعريف المسند إليه -وهو: التعريف بالعلَم -، وقد ذكر الناظم في البيت ثلاثة من دواعي التعريف بالعلمية وهي:

الداعي الأول: إحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسمه الخاص به, فإذا قلت: "الصِّديقُ

---

(1) تلخيص المفتاح : 25.

ثبت المسلمين عند وفاة النبي ε " فقد أحضرته بعينه في ذهن السامع ابتداء، بخلاف ما إذا قلت: "رفيق النبي ε في هجرته ثبت المسلمين عند وفاته" -مثلاً-.

الداعي الثاني: **تعظيمه**: وذلك لكونه من الأعلام المحمودة, كأن يقال: "ماذا كان رأي عمر بن الخطاب في أسارى بدر؟" فتجيب: " **الفاروق** رأى أن يقتل أسارى بدر ".

الداعي الثالث: **إهانته**: وذلك لكونه من الأعلام المذمومة, كأن يقال: "ما فعل عمرو بن هشام في بدر؟" فتجيب: "**أبو جهل** قُتِل شر قتلة".

ثم قال الناظم رحمه الله:

24 وَصِلَةٌ لِلْجَهْلِ والتَّعْظِيمِ — للشَّأْنِ وَالإيماءِ والتَّفْخيمِ

هذا هو العنصر الثالث من مطلب تعريف المسند إليه -وهو: التعريف بالاسم الموصول-, وقد ذكر الناظم في البيت أربعة من دواعي التعريف بالموصولية, وهي[1]:

الداعي الأول: **جهل المخاطب بأحوال المسند إليه كلها غير الصلة,** كقولك: "الذي كان معنا أمسِ رجل عالم".

الداعي الثاني: **الإيماء والإشارة إلى وجه بناء الخبر المحكوم به على المسند إليه**: وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠ ، فإن مضمون الصلة – الاستكبار – يشير إلى أن الخبر المترتب عليه من جنس الإذلال، ثم إن هذا الإيماء قد يكون وسيلة لتحقيق غرض آخر هو:

الداعي الثالث: **التعظيم** : فمن ذلك قول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا

بيتاً دعائمه أعز وأطول

فإن الصلة أومأت إلى أن الكلام من جنس البناء والرفعة، ومع ذلك فقد جعلت الصلة وسيلة إلى تعظيم الخبر لأن الذي سمك السماء وهي أعظم بناء يبني الأمور العظيمة.

الداعي الرابع: **التفخيم** هو التعظيم مع التهويل نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ ﴾ طه: ٧٨، ففي الموصول : إبهامٌ أشعر بأن ما غشيهم أمر لا يدرك كنهه بخلاف ما لو حُدِّد الأمر الذي غشيهم فقيل : (غشيهم موج عالٍ) – مثلاً-.

---

[1] تحتمل ألفاظ البيت أكثر من معنى لكني شرحته بما يناسب ما في تلخيص المفتاح ولذلك غيرت ترتيب الدواعي عن ترتيب ذكرها في البيت.

ثم قال الناظم – رحمه الله –:

25 وَبإشـارَةٍ لِـذي فَهْـمٍ بَطِـي في الْقُرْبِ والْبُعْدِ أوِ التَّوسُّطِ

هذا هو العنصر الرابع من مطلب تعريف المسند إليه –وهو: التعريف باسم الإشارة–، وقبل شرح البيت لا بد من التذكير **بأن الأصل في اسم الإشارة** ألا يشار به إلا إلى محسوس مشاهد قريب أو بعيد ، فإن أشير به إلى محسوس غير مشاهد أو إلى ما لا يقبل الإحساس والمشاهدة فإن ذلك لتصييره كالمشاهد ولتنزيل الإشارة العقلية منزلة الحسية[1]، وكثير من دواعي التعريف باسم الإشارة تنبني على هذا الأصل، و قد ذكر الناظم اثنين من دواعي التعريف باسم الإشارة وهي:

الداعي الأول: التعريض ببلاده المخاطب وغباوته حتى إنه لا يُمَيِّزُ الشيء المعقول مهما كانت آثاره ظاهرة؛ إذ الغبي البليد لا يؤمن إلا بالمحسوسات المشاهدة التي يشار إليها ، ومن أمثلته عند البلاغيين[2] قول الفرزدق يخاطب جريرًا:

أولئـــك آبـــائي فجئـــني بمـــثلهم إذا جمعتنـــا يـــا جريـــرُ المجـــامعُ

وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله

وَبإشـــارَةٍ لِـــذي فَهْـــمٍ بَطِـــيْ ....

الداعي الثاني: بيان حال المشار إليه من القرب أو التوسط أو البعد، كقولك في الإشارة للقريب: هذا زيد، وللمتوسط: ذاك زيد, وللبعيد: ذلك زيد، وتستتبع هذا البيان للحال نكات متعددة – انظر ما سيأتي في التمرين–.

---

(1) انظر المطول: 77.

(2) والمثال يحتمل غير ما ذكروه كما نبه بعضهم.

تمارين وأفكار لتكوين الملكة

أولاً: فيما يتعلق بالضمير:

تمرين (1):

يكتفي البلاغيون في كلامهم على مقامات الضمائر بالإحالة على ما في علم النحو[1]، وهي إحالة قليلة الفائدة للباحث عن الأسرار البلاغية، والمتأمل يجد أن هناك مقامات تستدعي الخطاب أو التكلم أوالغيبة، حاول أن تحدد الأسلوب الأنسب من الأساليب الثلاثة – الخطاب ، الغيبة ، التكلم– للمقامات الآتية[2]:

1/ الثقة بالنفس. 2/ شدة التأنيب.

3/ الحياء من المخاطب. 4/ الإعراض وعدم الاكتراث بالمخاطب.

تمرين(2):

1/ قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب" رواه البخاري: (2864)، ومسلم(1776).

2/ قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ" فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ...الحديث رواه البخاري (3904) وغيره.

لماذا استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب التكلم في الحديث الأول دون الثاني؟

تمرين(3): **تحتمل بعض الآيات أن يكون الخطاب فيها لمعين وتحتمل أن تكون لغير معين وبعضها لايحتمل سوى أحدهما** ، بين الآيات التي يجب أن يكون فيها الخطاب لغير معين ولا يصح أن يكون الخطاب موجهًا للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يلي :

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٨].

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الإسراء:٣٧].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الزخرف: ٩].

للاستزادة :

تتبع آيات سورة الإسراء (23 – 39) محاولاً تحديد ما يحتمل أن يكون فيه الخطاب لغير معين وما لا يحتمل.

---

(1) مع إشارات يسيرة غير مباشرة تذكر عند الحديث عن الالتفات .

(2) كما يمكنك أن تتنبه لمقامات أخرى كثيرة تقتضي أسلوباً من الأساليب الثلاثة.

تمرين (4) – اختياري–:

راجع الآيات التالية في خطاب غير المعين ، واستخرج ما فيها من قواعد ولطائف في كتب التفسير:

المائدة 75 – الأنعام : 114 – الأعراف : 198 – الأنفال : 51 – الحاقة : 7.

فائدة (1):

قال الدكتورعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه " البلاغة العربية : أسسها وعلومها وفنونها " (411/1) :" أنواع ضمائر التكلّم والخطاب والغيبة المفصّلة عند النحويين، قد يُخْتَار للكلام منها، لأنّ المقام يدعو إلى ذلك، وهي ألفاظ مختصرة موجزة يُستغنى بها ظاهرةً أو مضمرة عن ألفاظ تحتاج عند النطق أزماناً وجهداً أطول وأكثر . ".

فائدة (2):

وقال أيضاً : 1 / 412 – :" ... لا يُتْرَكُ الضمير إلى استخدام معرفة أخرى في مقام التكلّم أو الخطاب أو الحديث عن الغائب الذي يُلائمه الكناية عنه بالضمير للإيجاز والربط بين الكلام إلاّ لداعٍ من الدواعي البلاغية التي تستدعي ذلك، وسيأتي إن شاء الله بيان هذا في بحث: "الخروج عن مقتضى الظاهر" .... ".

تمرين(5):

قال تعالى :

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾ الضحى: ١ – ١١

وقال تعالى :

﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨ ﴾ الشرح: ١ – ٨

قارن بين الضمائر العائدة إلى الرب جل جلاله فيما تحته خط ، ماذا تلاحظ ؟ علل للاختلاف بين السورتين[1]،ماذا تستفيد من مثل هذا المثال – اذكر فائدتين على الأقل – ؟

---

(1) راجع ما كتبه الدكتور عبد الرحمن حبنكة في تفسيره –إن شئتَ –.

ثانياً:فيما يتعلق بالعَلَـم:

فائدة(1) :

تظهر المزية في العلم إذا كان للمتحدث عنه أكثر من علم يدل عليه كأن يكون له اكثر من اسم أو كأن يكون له اسم وكنية ولقب فيختار البليغ الأنسب ويحاول البلاغي – الدارس للبلاغة – أن يعرف سر ذلك الاختيار،ثم إن لأكثر الناس اسما وكنية وقد يكون لهم مع ذلك لقب ، فيأتي البليغ بالعلم الأنسب للمقام ففي مقام الإكرام – مثلا – يأتي بالكنية وفي مقام الإهانة يأتي باللقب الدال عليها ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك : أبو جهل – أبو الحكم – عمرو بن هشام فكل متكلم يطلق عليه ما يمثل نظرته إليه .

فائدة(2):

يلاحظ المتأمل مجيء أسماء الله الحسنى مناسبة للسياق الذي ذكرت فيه في القرآن ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الفرقان: ٢٥ –26، قال الشيخ السعدي في تفسيره : "ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس وينشرح له الصدر أن أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه " الرحمن " الذي وسعت رحمته كل شيء وعمت كل حي وملأت الكائنات وعمرت بها الدنيا والآخرة، وتم بها كل ناقص وزال بها كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة على الغضب وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها السبق والغلبة، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرفه وكرمه ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم وما يجري عليهم وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم فما ظنك بما يعاملهم به، ولا يهلك على الله إلا هالك ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة وحقت عليه كلمة العذاب".

تمرين(1) :

قال الله تعالى:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرحمن: ١ – ١٣]، ما سر التعبير بـ(الرحمن) دون غيره من أسماء الله الحسنى في مطلع السورة؟

للاستزادة :

تتبع اسم الرحمن في إحدى السور الآتية :

مريم – يس – الملك محاولا معرفة كيفية مطابقة الاسم للمقام.

تمرين(2):

روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتْ : " قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – « إِنِّى لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّى رَاضِيَةً ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَىَّ غَضْبَى » . قَالَتْ فَقُلْتُ مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ فَقَالَ « أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّى رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ، وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى قُلْتِ لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ » . قَالَتْ قُلْتُ أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَهْجُرُ إِلاَّ اسْمَكَ" ، اكتب تعليقا على الحديث في ثلاثة أسطر مشيرا إلى دقة ملاحظة النبي صلى الله عليه وسلم لكلمات زوجه –رضي الله عنها–.

تمرين (3):

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ الصف: ٦، لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم إلا في هذه السورة حاول معرفة السر في ذلك؟

تمرين (4):

حاول تحديد سبب العدول عن الاسم المشهور للشخص إلى غيره مما تحته خط :

1 – روى البخاري عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ – رضى الله عنه – قَالَ كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – « أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ » . فَسَلَّمَ ، وَقَالَ : يا رسول الله إِنِّى كَانَ بَيْنِى وَبَيْنَ **ابْنِ الْخَطَّابِ** شَىْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ ..."الحديث.

2 – روى ابن ماجه عن أبي ذر قال : مر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع على بطني فركضني برجله وقال : " يا **جنيدب** إنما هذه ضجعة أهل النار"[1] .

للاستزادة:

تتبع اسمَ صحابيٍّ خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم بعدد من الأعلام الدالة عليه(اسم –كنية – لقب) محاولا تحديد كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

---

(1)اختلف في صحة هذا الحديث وخاصة بهذا اللفظ وإنما الغرض التمثيل لا نسبة القول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً : فيما يتعلق بالاسم الموصول:

فائدة:

قال الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : " فاسم الموصول هو اسم مُبْهَمُ الدلالة لولا صلته الكاشفة للمراد به، والمعرَّفةُ حقّاً بما يرادُ الدلالة به عليه.

وهذا الإبهَامُ الأوَّليُّ في اسم الموصول يُحْدِثُ في نَفْسِ المتلَقِّي تشَوُّفاً وَتَشَوُّقاً لمعرفة المراد به عن طريق صِلَته.

فهو بسبب استثارته للدّاعي النفسيّ إلى المعرفة يُعْتَبَر من أدوات البيان التي تنفتح لها أبواب النفس انفتاحاً تلقائياً فتتلقَّفُهَا بالدافع الذّاتي إلى المعرفة.

ومن هنا تَبْدُو لنا ميزةٌ خاصّةٌ لاسم الموصول لا تُوجَد في غيره، ويُضاف إلى هذه الميزة أنّ صلة الموصول قد تتضمَّن مع التعريف بالمدلول عليه به بياناً لمعانٍ مُهمَّةٍ تُؤَدَّى بكلام تامّ يَقْصِدُ المتكلّم بيانها، مع صياغتها في إطار مفردٍ هو جزء جملة، ويَقْصِدُ توصيلَها إلى من يُوجِّه له الكلام"

تمرين(1)

اختر الغرض المنسب للأسماء الموصولة فيما يلي:

1 - ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾

2 - ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ ﴾

3 - ﴿ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ ﴾

4 – قال النبي صلى الله عليه وسلم:"مَنْ يَضْمَنْ لِي ما بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّة" [1].

5 – إنَّ الّذِينَ تَرَوْنَهُمُ إخْوَانَكُمْ   يَشْفِي غَليلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

6 – عن الضحاك بن سفيان الكلابي أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له : يا ضحاك ما طعامك؟ قال: يا رسول الله اللحم واللبن، قال: ثم يصير إلى ماذا؟ قال: إلى ما قد علمت قال فإن الله تبارك وتعالى ضرب ما يخرج من بن آدم مثلا للدنيا " [2].

أ– التهكم   ب – استهجان التصريح بالاسم

ج – تقرير الغرض المسوق له الكلام.

د – تنبيه المخاطب على اعتقاده الخاطيء .   هـ– التهويل.

---

(1)رواه البخاري(6474).

(2)رواه أحمد(452/3) بإسناد ضعيف مرفوعاً، وصححه الألباني بشواهده في الصحيحة(382)، وصححه محققو المسند بشواهده(25/25).

تمرين(2):

قال تعالى : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

قال البقاعي في " نظم الدرر " : " ولما أخبر تعالى أن سبب النعمة عليه إحسانه ، أتبعه دليله فقال : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ﴾ أي راجعته الخطاب ودارت عليه بالحيل ، فهو كناية عن المخادعة التي هي لازم معنى راد يرود – إذا جاء وذهب ﴿ ٱلَّتِي ﴾ هي متمكنة منه غاية المكنة بكونه ﴿ هُوَ فِي بَيۡتِهَا ﴾ "

وقال الألوسي في روح المعاني : " والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر ما أمكن ، أو للاستهجان بذكره ، وإيراد الموصول دون امرأة العزيز مع أنه أحصر وأظهر لتقرير المراودة فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك ولإظهار كمال نزاهته عليه السلام فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه تحت يدها ينادي بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة "

وفي التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : " والتعبير عن امرأة العزيز بطريق الموصولية في قوله :﴿ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا ﴾ لقصد ما تؤذن به الصلة من تقرير عصمة يوسف عليه السّلام لأن كونه في بيتها من شأنه أن يطوّعه لمرادها " .

عدد الأغراض التي ذكرها هؤلاء العلماء للتعبير بالاسم الموصول في الآية ، هل تلاحظ أغراضاً أخرى؟

تمرين(3):

وردت ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ تسعاً وثلاثين مرة ، بينما وردت ﴿ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ اثنتي عشرة مرة، وتحديد سر التغاير في كل هذه المواضع يحتاج إلى بحث دقيق و طويل نوعاً ما مما لا يجعله مناسبا لهذه المادة ، من باب التدريب حاول المقارنة بين التعبيرين في الآيات الواردة في سورة يونس : 55 – 66 – 68.

للاستزادة:

لكل اسم من الأسماء الموصولة(الذي – ما – من ...إلخ) خصوصية تجعله أليق ببعض المقامات من غيره ، ولم يول البلاغيون – فيما أعلم – هذا الأمر أهمية كبيرة ،وقد اعتنى بهذه الخصوصيات والفروق الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو، حاول ترتيب ما ذكره الدكتور فاضل في شكل جدول.

رابعاً : فيما يتعلق باسم الإشارة :

فائدة (1):

اسم الإشارة يحدد المشار إليه تحديداً ظاهراً، ويميزه تمييزا كاشفاً؛ فإذا كان المتكلم مهتماً بأمر ما فأنه قد يشير إلى ذلك المهم عنده ليبرزه بجلاء ويلفت إليه أنظار السامعين.

تمرين(1):

مثِّل من القرآن أو السنة أو الشعر للقاعدة المذكورة في الفائدة (2) بثلاثة أمثلة على الأقل.

فائدة(2) :

إن معنى البعد والقرب الكامن في أسماء الإشارة معنى طيع خاضع لسياق الكلام ما دام الذي يصوغ الأسلوب من ذوي البصر في رياضة التراكيب، فالبعد يدل على علو المكانة ورفعة الشأن كما يدل في سياق آخر على البعد عن الرشد والخير، والقرب يدل في سياق أن المشار إليه قريب من القلب، ويدل في سياق آخر على الاستخفاف بالمشار إليه " **وإدراك ذلك في تحليل الأسلوب عمل دقيق لايهتدي إليه من يهمل نفسه"** [1].

تمرين(2) :

حاول تحديد النكتة في التعبير بإشارة القريب أو البعيد فيما يلي:

1/ ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الفرقان: ٤١]

2/ ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف: ٣١ – ٣٢].

3/ ﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٣ – ٤٤].

4/ ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ [مريم: ٦٣].

5/ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

---

[1] خصائص التراكيب: 204، وأصل الفكرة مع كثير من العبارة مأخوذ من نفس المصدر.

6/﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر: ٢١].

7/ ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: ٤٠].

8/ أبيني أفي يمنى يديَّ جعلتِني فأفرحَ أم صيرتِني في شمالكِ

أبيت كأني بين شقين من عصا حِذار الردى أو خيفة من زيالك[1]

تعاللتِ كي أشجى وما بك علةٌ تريدين قتلي؟ قد ظَفِرتِ بذلكِ

فكرة لتكوين الملكة:

إذا رأيت اسم إشارة فسل نفسك:

1/ هل المشار إليه محسوس بالعين أم لا ؟

2/ هل المشار إليه قريب أم بعيد؟

3/ هل تنوعت الإشارة إلى المشار إليه – في القرآن – مثلاً– – فأشير إليه مرة باسم الإشارة الموضوع للقريب ومرة بالبعيد؟

ومن الإجابة على هذه الأسئلة مع مقارنتها باسم الإشارة الذي استخدم في الآية يبدأ الانطلاق لادراك الأسرار البلاغية.

مثال:

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ البقرة: ٢

س: هل المشار إليه محسوس بالعين أم لا ؟

ج:لا بل هو أمر معقول؛ فينشأ عن الإجابة سؤال هو :

س: لماذا استخدم مع المعقول الإشارة الحسية؟

ج : يجيبنا النورسي بقوله: " ثم أمعن النظر في الإشارة الحسية إلى الأمر المعقول لترى أنها:
كما تفيد التعظيم والأهمية، كذلك تشير إلى أن القرآن كالمغناطيس المنجذب إليه الأذهان ، والمتزاحم عليه الأنظار المجبر لخيال كلٍ على الإشتغال به فتظاهربدرجة – تراه العيون من خلفها إذا راجعت الخيال – يرمز بلسان الحال إلى وثوقه بصدقه وتبريه عن الضعف والحيلة الداعيين إلى التستر"[1]

---

(1) زيالك : فراقك .

2/ هل المشار إليه قريب أم بعيد؟

بل هو قريب من المخاطبين يقرأونه ليلاً ونهاراً؛ فينشأ عن الإجابة سؤال هو :

س: لماذا استخدم مع القريب الإشارة للبعيد؟

ج : يجيبنا النورسي أيضاً بقوله: " ثم تفكر في البُعدية المستفادة من﴿ ذَٰلِكَ ﴾؛ إذ أنها كما تفيد علو الرتبة المفيد لكماله =كذلك تومئ إلى دليله بأنه بعيد عما سلك عليه أمثاله؛ فإما تحت كلٍّ وهو باطل بالاتفاق؛ فهو فوق الكل "[2].

3/ هل تنوعت الإشارة إلى المشار إليه – وهو هنا القرآن- فأشير إليه مرة باسم الإشارة الموضوع للقريب ومرة بالبعيد؟

ج: نعم تنوعت الإشارة إليه فالآية التي معنا من الآيات التي أشارت إليه بإشارة البعيد، ومن الإشارة إليه بإشارة القريب قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩ ، والنكتة فيه : " إرادة بيان أنّ المتحدَّثَ عنه واضح جليّ حاضرٌ قريب التناول لا يحتاج إلى بَحْثٍ وَجَهْدٍ للوصول إليه "[3]

للاستزادة:

اجمع الآيات التي أشارت إلى القرآن باسم الإشارة وقارن بينها واستجلِ أسرارها بالنظر إلى سياقها.

([1]) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: 46، وكلامه عميق يحتاج إلى تأمل ، وكذا يقال في النقل الآتي عنه.

([2]) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: 46.

([3]) البلاغة العربية للدكتور – أسسها وعلومها وفنونها -: 426.

ثم قال الناظم رحمه الله :

26 – و أل لعهد أو حقيقة وقد تفيد الاستغراق أو لما انفرد

هذا هو المطلب الخامس من مبحث تعريف المسند إليه – وهو التعريف بأل – .

وقد أشار الناظم إلى بعض معاني (أل) ، وانحصر كلامه في أمرين :

الأمر الأول : بيان نوعي (أل) .

الأمر الثاني : الإشارة إلى أقسام النوع الثاني.

أما الأمر الأول – وهو بيان نوعي أل – فقد أشار إلى أن (أل) نوعان :

النوع الأول: (أل) التي للعهد ، وهي التي : تدخل على معهود للسامع.

النوع الثاني : (أل) التي للحقيقة ، وهي التي : تدخل على ماهية الشيء و حقيقته مما لم يسبق للسامع عهد به.

و أما الأمر الثاني – وهو الإشارة إلى أقسام النوع الثاني ، فقد أشار إلى تلك الأقسام بقوله: (وقد تفيد ..) البيت ، وفي كلامه شيء من الاختصار ولذا رأيت أن أتكلم على الأقسام ثم أربطَ كل قسم بكلام الناظم ،فأقول:

لام[1] الحقيقة– عند البلاغيين [2]– على ثلاثة أقسام :

الأول: اللام التي لبيان الحقيقة من حيث هي ،و تسمى لام الحقيقة أو لام الجنس، نحو : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾، وهذا القسم هو الأصل في لام الحقيقة، ولا يعدل عنه إلا بقرينة.

الثاني: لام العهد الذهني[3] وهي التي لبيان الحقيقة ضمن فرد واحد مبهم ، نحو قوله تعالى – حكايةً عن يعقوب– : ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٣].

---

(1) التعبير بـ: (أل) أو اللام بناء على الخلاف في ما هي أداة التعريف، وسأعبر باللام لأنه اسهل في العبارة لا لترجيح قول على آخر.

(2) للنحاة تقسيمات واصطلاحات تختلف عن تقسيمات واصطلاحات البلاغيين فينبغي التنبه لذلك ، انظر تقسيمات النحاة في : مغني اللبيب:1/104–105، وانظر تفصيل الفرق بين البلاغيين والنحاة في هذه التقسيمات والاصطلاحات في : حاشية الدسوقي على مغني اللبيب:1/52–53، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للتفتازاني:1/320–321.

(3) وهي غير لام العهد الذهني عند النحاة فتنبه، راجع إن شئت – ما سبق ذكره من مراجع في الهامش السابق.

الثالث: لام الاستغراق وهي – عند البلاغيين- التي يراد بها استغراق أفراد الجنس، وهي عندهم على قسمين[1]:

أ– لام الاستغراق الحقيقي وهي التي يراد بها استغراق جميع أفراد الجنس بحسب وضع اللغة، نحو :﴿ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾.

ب–لام الاستغراق العرفي وهي التي يراد بها استغراق جميع أفراد الجنس بحسب عرفٍ ما، نحو قولك : " نجح الطلاب" ؛ فـ: (أل) في المثال تستغرق طلاب الفصل أو المدرسة أو الكلية – مثلاً- ، ولا يمكن أن يكون الاستغراق فيها حقيقياً.

إذا تبينت الأقسام بما سبق ذكره فقول الناظم: (أو حقيقة) إشارة منه إلى القسم الأول الذي هو الأصل في هذه اللام؛ ولذلك قال بعدها (وقد تفيد) إشارة منه إلى أن ما سيذكره خارج عن الأصل (الاستغراق) يشير به إلى القسم الثالث، وقوله (أو لما انفرد) يشير به إلى القسم الثاني – لام العهد الذهني –، والله أعلم .

تنبيه :

لم يتكلم الناظم على أقسام أل العهدية وهي – عند البلاغيين[2] – على ثلاثة أقسام :

أ– لام العهدالصريحي ، وهي ما تقدم لمدخولها ذكر صريح ،نحو : ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ ﴾.

ب – لام العهد الكنائي ، وهي ما تقدم لمدخولها ذكرٌ غيرُ صريح ، نحو : ﴿ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ ﴾ حيث لم يتقدم ذكر(الذكر) صراحة ، لكنه مفهوم من الكلام السابق لأنها قالت﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا ﴾ [آل عمران: ٣٥]،لأن الذي يحرر – على ما ذكروه– هو الذَّكَر[3].

ج – لام العهد العلمي، وهي ما لم يتقدم لمدخولها ذكرٌ صريحٌ ولا كنائي، ولكن للمخاطب علمٌ بذلك المدخول ، سواء كان هذا المدخولُ المعلومُ حاضراً أم غيرَ حاضر، نحو : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣].

---

(1) وللنحاة تقسيم آخر،انظر حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: 320/1.

(2) وللنحاة تقسيم مغاير،انظر ما سبق من مراجع عند الحديث عن أقسام أل الجنسية.

(3) قال الإمام الطبري:" مَعْنَاهُ : إِنِّي جَعَلْتُ لَكَ يَا رَبِّ نَذْرًا أَنَّ لَكَ الَّذِي فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا لِعِبَادَتِكَ ، يَعْنِي بِذَلِكَ : حَبَسْتُهُ عَلَى خِدْمَتِكَ وَخِدْمَةِ قُدُسِكَ فِي الْكَنِيسَةِ عَتِيقَةً مِنْ خِدْمَةِ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاكَ ، مُفَرَّغَةً لَكَ خَاصَّةً ".

ثم قال الناظم رحمه الله:

27 وَبِإِضَــــافَةٍ فَلِاخْتِصَـــــارِ يَعُــــمْ وَلِلـــذَّمِّ أَوِ احْتِقَـــارِ

هذا هو العنصر السادس من مبحث تعريف المسند إليه -وهو: التعريف بالإضافة-, وقد ذكر الناظم ثلاثة من دواعيه, وهي:

الداعي الأول: أن تكون الإضافة أخصر طريقة للتعبير عن المسند إليه، والمقام يقتضي الاختصار، كقولك: "أولاد زيد سافروا" بدلا من تعداد أسمائهم, ومن أمثلته الشهيرة عند البلاغيين قول جعفر بن علبة:

هواي مع الركب اليمانين مُصْعِدٌ جَنيبٌ وجثماني بمكةَ موثَق[1]

فإن قوله (هواي) أخصر من قوله: الذي أهواه، أو الذي قلبي إليه مائل، والمقام مقتض لذلك، فإن الشاعر قاله حين حُبِسَ بمكة، وحال المحبوس ضَيِّقٌ.

وأما قول الناظم (يعم) فقد وقعت في عدد نسخ النظم (نعم)، وعليه فتكون الكلمة حشواً في البيت لا فائدة فيها، ووقعت في بعض النسخ (يعم) أو[2] (تعم) صفة لـ: (إضافة)؛ فبالإضافة يحصل الاختصار مع الاستغراق للأفراد، والإضافة من صيغ الاستغراق[3] -كما نص عليه السيوطي في عقود الجمان -.

الداعي الثاني: الذم, كقولك: "عبد الدرهم لئيم".

الداعي الثالث: التحقير، كقولك: "عبد الحجام حضر".

تنبيه:

لم يشر الناظم إلى الإضافة للتشريف والمدح وهما واضحان مشهوران في كلام أهل العلم.

(1)(مصعد): من أصعد إذا ذهب في الأرض وأبعد, و: (جنيب): فعيل بمعنى مفعول والجنيب: المستتبع أي: الذي يتبعه قومه ويقدمونه أمامهم, موثق: مقيد

(2) الشك مني والنسخة ليست بين يدي للتأكد.

(3) كما نص عليه السيوطي في عقود الجمان.

تمارين وأفكار
لتكوين الملكة:

أولاً: فيما يتعلق بـ: (أل) :

تمرين (1) :

حاول الربط بين أنواع اللام والمقامات التي تقتضيها

لام العهد الصريحي	الإشارة إلى ثبوت وشهرة ما دخلت عليه (أل).
لام العهد الكنائي	
لام العهد العلمي	استحضار طبيعة الجنس.
لام الحقيقة	الإيجاز
لام الاستغراق الحقيقي	الاعتماد على ذكاء المخاطب وإعطائه فرصة للتفكير.
لام الاستغراق العرفي	
لام العهد الذهني	الإطناب لزيادة الإيضاح.

تمرين (2) :

قال ابن عاشور في قوله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] : " واحتج أهل السنة بأن أل في "الجنة" للعهد الخارجي ولا معهود غيرها، وإنما تعين كونها للعهد الخارجي لعدم صحة الحمل على الجنس بأنواعه الثلاثة، إذ لا معنى للحمل على أنها لام الحقيقة لأنها قد نيط بها فعل السكنى ولا معنى لتعلقه بالحقيقة بخلاف نحو الرجل خير من المرأة، ولا معنى للحمل على العهد الذهني إذ الفرد من الحقيقة هنا مقصود معين لأن الأمر بالإسكان جزاء وإكرام فلا بد أن يكون متعلقا بجنة معروفة، ولا معنى للحمل على الاستغراق لظهور ذلك. ولما كان المقصود هو الجزاء تعين أن يكون متعلقا بأمر معين معهود ولا معهود إلا الجنة المعروفة لا سيما وهو اصطلاح الشرع".

اشرح عبارة ابن عاشور مبيناً ما خالف فيه المصطلحات البلاغية التي عرفتها لأقسام (أل).

تمرين (3) :

روى الإمام البخاري عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ." قال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري " فإن قلتَ: ما الألف واللام في العشير؟ قلتُ: للعهدِ إن فُسِّرَ العشير بالزوج، وللجنس أو الاستغراق إن فسر بالمُعاشِر مطلقاً؛ فإن قلتَ: أيها الأصل في اللام؟ قلتُ: قال الكرماني: الجنس هو الحقيقة فيحمل عليها إلا إذا دلت قرينة على التخصيص والتعميم فتتبع القرينة حينئذ، وهذا حكم عام لهذه في جميع المواضع"، والذي عليه المحققون أن أصل اللام للعهد وقد عرف في موضعه".

اكتب في حدود صفحة بحثاً في بيان الخلاف بين العلماء في كون الأصل في (أل) هل هو الجنس أم العهد؟

فائدة:

قال تعالى: ﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ ﴾ [البقرة: ٤].

قال النورسي : "واما الألف واللام فللعهد؛ أي إشارة الى المعهود بالدوران على ألسنة كل الكتب السماوية.. وفي العهد لمحٌ إلى أنها حق وإشارة إلى الحقيقة المعهودة الحاضرة بين أهداب العقول بسبب الدلائل الفطرية المذكورة..."[1]

ثانياً : فيما يتعلق بالإضافة :

فكرة لتكوين الملكة:

مما يعين على إدراك سر الإضافة:

أولاً: النظر في العلاقة بين المضاف والمضاف إليه.

ثانياً: ملاحظة السياق ومدى تأثره بتلك العلاقة.

ثالثاً: التأمل في حرف الجر المقدر بين المضاف والمضاف إليه، وأكثر ما يقدر من حروف الجر ثلاثة: اللام ، من ، في .

تمرين (1):

حدد – من بين الأغراض المذكورة بعد الآيات– الغرض البلاغي المناسب للتعريف بالإضافة فيما تحته خط :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴾

﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾

---

[1] إشارات الإعجاز : 67

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾

﴿ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴾

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾

﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴾

التشريف

التطمين والإيناس

التخويف

التعظيم

التبشير

حصول البركة

التحقير

التعليل

التزهيد فيما سواه

تمرين(2):

حاول تحديد السر البلاغي في إضافة الصلاة فيما يلي:

1/﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥ ﴾ الأنفال: ٣٥

2/﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾ التوبة: ١٠٣

3/﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ ﴾ هود: ٨٧

4/﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ ﴾ المؤمنون: ١ – ٢

ﷲﷻ / ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الماعون: ٥

ماذا تلاحظ؟

للاستزادة:

حدد الغرض البلاغي من كل تعريف بالإضافة في الآيات :

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ الفجر: ٢١ – ٣٠

قال الناظم رحمه الله:

28 وَإنْ مُنَكَّــــراً فَلِلتَّحْقيــــرِ   وَالضِّـــــدِّ وَالإِفْـــرادِ والتَّكْثيــــرِ

29 وَضِـــــــــــدِّهِ ،   ....

هذا هو المطلب الرابع من مبحث أحوال المسند إليه في ذاته وهو: التنكير, وقد ذكر الناظم خمسة من دواعيه هي:

الداعي الأول: التحقير، بمعنى انحطاط شأنه إلى " درجة لا يعتد بها ولا يلتفت إليها"[1], كقولك: "ما زيد إلا طالب" -في مقام عدم الاكتراث برأيه-, ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [المائدة : 42]

الداعي الثاني: تعظيمه، يعني أنه " بلغ في رفعة الشأن حداً فوق متناول الإدراك"[2], ومنه قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢﴾ [البينة: 1-2]، والتعظيم هو ما عبر عنه الناظم بقوله (والضد) أي: ضد ما سبق ذكره من التحقير.

الداعي الثالث الإفراد، نحو: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾ [القصص:]أي: رجل واحد، وهذا من المعاني الوضعية للنكرة كما سيأتي في الفوائد.

الداعي الرابع: التكثير، بمعنى أنه بلغ من الكثرة بحيث لا يمكن الإحاطة به والوقوف على تعداده[3]، نحو: إن له لإبلاً، وإن له لغنمًا, ومنه قوله تعالى: ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: 8].

---

(1) المنهاج الواضح للبلاغة: 125/4.

(2) المنهاج الواضح للبلاغة: 125/4.

(3) المنهاج الواضح للبلاغة : 127/4- بتصرف يسير- .

الداعي الخامس: التقليل، بمعنى أن ذلك الشيء أقل من أن يعدَّ، نحو: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٣]؛"أي أقل قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى"[1].

تنبيه :

يراعى في التعظيم والتحقير الحال والشأن بينما يراعى في التكثير والتقليل المعدودات ونحوها.

(1) التحرير والتنوير.

تمارين وأفكار لتكوين الملكة

أولاً: فيما يتعلق بالنكرة:

فائدة(1):

يراد بالنكرة في أصل الوضع أحد أمرين[1]:

الأول: إرادة الوحدة – وهو ما عبر عنه الناظم بالإفراد، وقد مرَّ شرحه – .

الثاني: إرادة النوع – ويعبر عنه بإرادة الجنس أيضًا–،نحو: ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٌۖ ﴾ [البقرة: ٧]؛ أي: جنس من الأغطية ونوع منها غير ما يتعارفه الناس ويعهدونه – عياذاً بالله –.

فائدة(2):

قال الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني:" فترك المعرفة واختيار النكرة في الكلام ممّا تتشعّب فيه أغراض البلغاء، وقد تنفتقُ قرائح الّلاحقين منهم عن أشياء لم يتنبّه إليها السابقون، إذ الأمر ليس اصطلاحاً لغويّاً حتّى ينحصر فيما اصطلح عليه الأولون، بل هي أغراضٌ تُقْصَدُ بلاغياً من خلال استعمالٍ لغويّ قابل لدلالات كثيرة، ولا سيما حينما نلاحظ أنّ ذكر النكرة غير موصوفة قد يوحي بطيّ الصفة في اللّفظ مع ملاحظة معناها ذهناً، والنكرة قابلة لأن توصف بأشياء كثيرة جدّاً، فقد توصف بالشيء وقد توصف بضدّه، وعند حذف الصفة يبقى لفظها محتملاً، لكنّ قرائن الحال أو قرائن المقال قد تشعر بطيّ صفة مع إرادة معناها، وقد تُشعر أحياناً أخرى بطيّ نقيضها مع إرادة معناه، ومن هنا تتنوع الدواعي والأغراض"[2].

تمرين (1):

التكثير والتقليل والتعظيم والتحقير من أشهر أغراض التنكير، اختر المناسب منها فيما يلي:

---

(1) انظر : خصائص التراكيب: ،معاني النحو:1/39-40، والذي يحدد لنا المراد النظرُ في السياق والقرائن، وانظر تقسيماً آخر للنكرة في: "البلاغة العربية..." للميداني: 1/398.

(2) البلاغة العربية...للميداني : 1/400.

1/﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴾ [الرعد: ٢٦]

2/﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [الأعراف: ١٣٠]

3/﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ ﴾ [يونس: ٣٦]

4/﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠ ﴾ [الأنبياء: ١٠]

5/﴿ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا ﴾ [الجاثية: ١٠]

6/﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ ﴾ [البقرة: ١٠]

7/﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ ﴾ [النازعات: ٦ – ٨]

فائدة (3):

" ... ثم إنَّ التنكير – أعني **<u>كون الشيء مجهولاً ومنكوراً</u>**– معنى شامل وعميق وصالح لأن يتولد منه معاني كثيرة ، وذلك إذا أجره في التعبير بصير بأحوال الكلمات خبير بسياسة التراكيب، وقد أكد عبد القاهر على أن المهارة والبراعة في إشباع هذه الخصوصيات بالمعاني والإشارات هي التي يستحق بها الشاعر الفضل "[1]

تمرين(2):

اختلف العلماء في سر تنكير نصيباً في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ﴾ [آل عمران: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤ ﴾ [النساء: ٤٤]، وقولُه تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١ ﴾ [النساء: ٥١] بيِّن الأنسب من تلك الأقوال بالنظر إلى السياق، وهل تستوي المواضع الثلاثة في سياقاتها؟

---

(1) خصائص التراكيب:214.

فائدة (3) :

قال ابن عاشور في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١]: "وإذ قد كان السُرَى خاصاً بسير الليل كان قوله: {ليلاً} إشارة إلى أن السير به إلى المسجد الأقصى كان في جزء ليلة، و إلا لم يكن ذكره إلا تأكيدًا، على أن الإفادة كما يقولون خير من الإعادة.

وفي ذلك إيماء إلى أنه إسراء خارق للعادة لقطع المسافة التي بين مبدأ السير ونهايته في بعض ليلة، وأيضا ليتوسل بذكر الليل إلى تنكيره المفيد للتعظيم.

فتنكير {ليلا} للتعظيم، بقرينة الاعتناء بذكره مع علمه من فعل {أسرى} ، وبقرينة عدم تعريفه، أي هو ليل عظيم باعتبار جعله زمنا لذلك السري العظيم، فقام التنكير هنا مقام ما يدل على التعظيم. ألا ترى كيف احتيج إلى الدلالة على التعظيم بصيغة خاصة في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ [القدر: 2.1] إذ وقعت ليلة القدر غير منكرة".

تمرين(3):

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ البقرة: ٩٦

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾ البقرة: ١٧٩

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ النحل: ٩٧

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ [الفرقان: ٣].

قارن بين دلالة التنكير لكلمة (حياة) في الآيات السابقة.

للاستزادة:

كتب الدكتور عبد الرحمن حبنكة في كتابه "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها"(1/400 –409) صفحاتٍ نفيسةً تحت عنوان: "تفصيل دواعي النكرة" فراجعها إن شئت.

ثانياً: فيما يتعلق بطرق التعريف عموماً:

فائدة (1):

قال الطاهر ابن عاشور : " والأصل في المسند إليه التعريف لأن الحكم إنما يكون على معروف فيكون المسند إليه معرفة من المعارف الستة المذكورة في النحو، فإذا تعين طريق من تلك الطرق الستة وجب الاقتصار عليه، وإن أمكن الإتيان في تعريفه بطريقين فصاعداً كما إذا أمكن التعبير عنه باسمه العلم أو بالموصول وصلته أو بالضمير تخير البليغ في ذلك وهو يراعي ما هو أنسب فقد يختار تعريفه باسمه العلم لأن في الاسم تعظيماً مثل معز الدين والرضا أو فيه إهانة نحو بولان ويسير فيقصد المتكلم الإشارة إلى أن المسمى له حظ من اسمه فلذلك قال الشاعر:

وفضل يسير في البلاد يسير

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "عُصَيَّة عصت الله ورسوله "[1] أو لأن في الاسم محبة وابتهاجا بذكره كما قال:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

فلم يقل أم هي من البشر ليعيد اسمها.

---

(1) متفق عليه .

وقد يختار الموصول لأن الصلة تشعر بمعنى لا يمكن أن يؤدَّى بغير الجملة مثل معنى إشعار الصلة بالتفخيم في قوله تعالى:﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ [طه: 78] ، وكاختيار الموصول على المعرف بـ:(ال) في قول زهير:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يُهدَّم ومن لا يظلم الناس يظلم

فإنه لم يقل: المستسلم مهضوم مثلاً بل أتى بالموصول ليشير بالصلة إلى علة الحكم وكاختيار المضاف على الاسم العلم في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾[البقرة: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ] [1].

تمرين (1):

حاول تحديد السر البلاغي لتعريف ثلاثة مما تحته خط مستضيئاً بالفائدة السابقة:

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الملك :12 -19].

(1) موجز البلاغة: 14.

أحوال

المسند إليه

بالنظر إلى

ما يتعلق به

-التوابع

-ضمير الفصل

ثم شرع الناظم في المبحث الثاني من أقسام باب المسند إليه –وهو: أحوال المسند إليه بالنظر إلى ما يتعلق به–, ويتضمن هذا المبحث مطلبين:

المطلب الأول: أحوال توابع المسند إليه.

المطلب الثاني: تعقيب المسند إليه بضمير الفصل.

أما المطلب الأول -وهو أحوال توابع المسند إليه- فقد ذكر الناظم تحته خمسة عناصر:

العنصر الأول: الوصف

العنصر الثاني: التوكيد

العنصر الثالث: عطف البيان

العنصر الرابع: البدل

العنصر الخامس: عطف النسق.

فقال رحمه الله:

29 .... وَالْوَصْــــفُ وَالْمَدْحِ والتَّخْصيصِ والتَّعْيينِ

هذا هو العنصر الأول –وهو الوصف– , وقد ذكر الناظم في هذا البيت أربعة من دواعي الوصف وهي[1]:

الداعي الأول: تبيينه وكشفه: بأن يكون محتاجاً إلى كشف معناه، كقولنا – لمن لا يعرف معنى الهلوع– : "الهلوع الذي إذا مسه الشر جزع، وإذا مسه الخير منع مذموم في الشرع"، أو قولنا – لمن لا يعرف معنى المحرِّر–: " المحررُ الذي يعمل في

---

(1) هذا من المواضع القليلة التي خالف فيها الناظم صاحب التلخيص؛ فقد ذكر هنا : التعيين بينما ذكر القزويني : التوكيد، ثم إن البيت محتمل لعدة معانٍ اكتفيت بواحد منها رغبة في عدم التشويش على المبتدئ.

الصحف دخلُه جيد"،ويسمى الوصف في هذه الحالة عند بعض البلاغيين (وصفاً كاشفاً)[1].

الداعي الثاني: مدحه، نحو: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، قال ابن عاشور معللاً لكون الوصف في الآية للمدح: " لأن كونها حسنة قد علم من سياق ما قبله وما بعده ".

الداعي الثالث: تخصيصه بصفة تميزه، وله عند البلاغيين[2] صورتان:

1/ تقليل الاشتراك: بأن يكون المسند إليه نكرة فتقلل تلك الصفة الاشتراك – كقولك: صحابي مبشر بالجنة قاد المسلمين في القادسية".

2/ رفع الاحتمال: بأن يكون المسند إليه معرفة فترفع تلك الصفة الاحتمال كقولك: سعدٌ المبشر بالجنة قاد المسلمين في القادسية.

ويسمى الوصف في هذه الحالة عند بعض البلاغيين (وصفاً مخصصاًً).

الداعي الرابع: تعيينه ؛ بأن يكون محتملاً لمعنيين فيؤتى بالوصف لبيان المراد، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ فدابة نكرة جاءت في سياق النفي فتفيد الاستغراق لكنها تحتمل الاستغراق الحقيقي كما تحتمل الاستغراق العرفي فجاء الوصف (فى الأرض) فدلنا على أن المراد الاستغراق الحقيقي.

ويسمى الوصف في هذه الحالة عند بعض البلاغيين (وصفاً مبيِّناًً).

فائدة(1):

---

(1) انظر الفائدة (1)الآتية في آخر شرح هذا البيت، مع ملاحظة أن الوصف الكاشف قد يطلق عند بعض أهل العلم ويراد به ما يقابل الوصف المقيِّد .

(2) بخلاف اصطلاح النحاة ، انظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني: 3/91-92،مختصر المعاني: 364/1، وحاشية الدسوقي عليه.

الفرق بين الوصف الكاشف والوصف المبيِّن والوصف المخصص هو أنَّ:

الوصف الكاشف غرضه إيضاح المعنى، و**الوصفُ المبيِّن** غرضه بيان أحد المحتمليْن أو المحتملات للفظ ورفع غيره من المحتملات، و**الوصف المخصِّص** غرضُه بيان أحد أفراد المعنى ورفع غيره من الأفراد(1).

فائدة(2):

كما أن الوصف يأتي لإرادة المدح فإنه يأتي لإرادة الذم كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]؛ فالمراد بالشيطان متعين قبل ورود الوصف فيحمل حينئذٍ على إرادة الذم.

تنبيه:

لا يقال إن الغرض الأساسي من الوصف هو المدح أو الذم إلا إذا كان الموصوف معلوماً لا يحتاج إلى وصف يكشفه أو يخصصه أو يعيينه ويبينه.

ثم قال الناظم رحمه الله:

30	**وَكَوْنُـهُ مُؤَكَّـداً فَيَحْصُـلُ**	**لِـدَفْعِ وَهْـمِ كَوْنِـهِ لا يَشْـمَلُ**
31	**والسَّهْوِ والتَّجَوُّزِ الْمُباحِ**	....

هذا هو العنصر الثاني من مطلب أحوال توابع المسند إليه – وهو التوكيد –,وقد ذكر الناظم في هذا البيت ثلاثة من دواعيه وهي:

الداعي الأول: دفع توهم عدم الشمول: نحو قولك: نجح الطلاب كلهم – لمن خفت أن يظن أنك قصدت الأغلب –.

الداعي الثاني: دفع توهم السهو، نحو قولك : جاء السلطان نفسه –لمن خفت أن يظن أنك سهوت في كلامك–.

الداعي الثالث: دفع توهم المجاز,نحو قولك: جاء الجيش نفسه – لمن

---

(1) انظر حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: 1/ 365.

خفت أن يظن أنك تقصد المجاز-، ومنه من غير باب المسند إليه قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: 164].

ثم قال الناظم رحمه الله:

31 .... **ثُـــــمَّ بَيانُــــــهُ فَلِلإيضـــــاحِ**

32 **بِاسْـمٍ بِـهِ يَخْـتَصُّ** ، ....

هذا هو العنصر الثالث من مطلب أحوال توابع المسند إليه -وهو عطف البيان- وقد ذكر الناظم أن العطف على المسند إليه عطف بيان يكون لكشفه وإيضاحه باسم مختص به، نحو: "أقسم بالله أبو حفص عمر"، و:"قدم صديقك خالد".

ثم قال الناظم رحمه الله:

32 .... ، **يَزيـــدُ تَقْريـــراً لمـــا يُقـــالُ**

هذا هو العنصر الرابع من مطلب أحوال توابع المسند إليه -وهو البدل-

.

والداعي إليه كما ذكر الناظم التقرير في ذهن السامع زيادةً على مجرد النسبة الحاصلة بأصل الإسناد, نحو: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾ الفاتحة: ٦ - ٧ فقد حصل بالإبدال إجمال معقب بتفصيل ليتمكن معنى الصراط فضل تمكن في نفوس المؤمنين الذين لقنوا هذا الدعاء [1].

ثم قال الناظم رحمه الله:

33 **وَالْعَطْــفُ: تفصـــيلٌ مـــعَ أوْ رَدُّ سـامعِ إلـى الصَّـوابِ**

---

(1) ليست هذه هي النكتة الوحيدة للإبدال في الآية كما يظهر بجلاء لمن تأمل وراجع التفاسير.

هذا هو العنصر الخامس من مطلب أحوال توابع المسند إليه –وهو عطف النسق–، والأصل فيه أن يؤتي بحروف العطف المختلفة للدلالة على المعاني التي تقتضيها سائر تلك الحروف إذا كان المقام يقتضيها،وقد ذكر الناظم اثنين من تلك المعاني وهي:

1/ **التفصيل مع الاختصار**، فقول الناظم (اقتراب) أي اختصار ، والتفصيل قد يكون للمسند إليه وقد يكون للمسند؛ أما تفصيل المسند إليه فيكون بالواو خاصةً كقولك: "جاء زيد وعمرو",فقد فصل العطف بالواو في المسند إليه – الجائي– مع الاختصار إذ الجملة أخصر مما لو قيل: "جاء زيد جاء عمرو".

وأما تفصيل المسند فيكون بالواو وثم وحتى كقولك: "جاءني زيد فعمرو"؛ فقد فصل العطف بالفاء في المسند– المجيء– فدلَّ على الترتيب والتعقيب مع الاختصار إذ الجملة أخصر مما لو قيل: " جاءني زيد وعمرو بعده بيوم "،وكقولك: "جاءني زيد ثمّ عمرو"؛ فقد فصل العطف بثم في المسند– المجيء– فدلَّ على الترتيب والتراخي مع الاختصار إذ الجملة أخصر مما لو قيل: "جاءني زيد وعمرو بعده بِسَنة"، وكقولك: "جاءني القوم حتى الأمير"؛ فقد فصل العطف بحتى في المسند– المجيء– فدلَّ على الترتيب الذهني مع الاختصار إذ الجملة أخصر مما لو قيل: "جاءني القوم وجاءني الأمير كذلك".

2/ **رد السامع إلى الصواب**, بإن يعتقد اعتقادا خاطئاً وتريد تنبيهه على الصواب ورده إليه, وذلك في العطف بلا ولكن ، نحو: "جاء زيد لا عمرو" — لمن اعتقد أن عمراً جاءك دون زيد، أو أنهما جاءاك جميعاً – ،و:" ما جاء زيد لكن عمرو" — لمن اعتقد أن عمراً جاءك دون زيد – [1].

ثم قال الناظم رحمه الله:

34 والفَصْـــلُ للتَّخْصـــيصِ ، ....

---

(1) يأتي مزيد بيان لهاتين الأداتين في الكلام على طرق القصر – بإذن الله –.

ما زال الناظم في القسم الثاني من باب المسند إليه -وهو أحوال المسند إليه بالنظر إلى ما يتعلق به- **و هذا هو المطلب الثاني في هذا المبحث وهو: تعقيب المسند إليه بضمير الفصل**, والغرض من تعقيب المسند إليه بضمير الفصل -كما ذكر الناظم- إرادةُ التخصيص نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القلم: ٧].

تنبيه:

يشترط في إفادة ضمير الفصل التخصيص ألا يوجد مخصِّصٌ آخر في الجملة؛ فإن وجد كان ضمير الفصل لمجرد التوكيد نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات : 58] .

فوائد وتمارين لتكوين الملكة

فائدة(1) – تتعلق بالوصف –:

قال الكرماني – رحمه الله –: " قوله في هذه السورة[1] ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٣] وفي هود ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [هود: ٦٤] وفي الشعراء: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٥٦]لأنه في هذه السورة بالغ في الوعظ فبالغ في الوعيد فقال: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، وفي هود لما اتصل بقوله: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ﴾ [هود: ٦٥] وصفه بالقرب فقال: ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾، وزاد في الشعراء ذكر اليوم لأنه قبله ﴿لَّهَا شِرۡبٌ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ﴾ [الشعراء: ١٥٥] ؛فالتقدير لها شرب يوم معلوم فختم الآية بذكر اليوم فقال: ﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾ "

تمرين(1):

ناقش ما قاله الكرماني مستضيئاً بكلام أهل العلم.

فكرة لتكوين الملكة:

لا ينبغي عند البحث عن السر البلاغي للصفة أن نركز على الوظيفة العامة لها باعتبارها صفة (التخصيص– التعيين – المدح...إلخ) ، بل لا بد من التأمل في نفس الصفة التي عبر بها وملاءمتها للسياق، أما إذا اتحد الموصوف وتعددت أوصافه في المواضع المختلفة –كما في الفائدة السابقة– فإن مجال التأمل يكون أرحب وأعون على إظهار بلاغة القرآن لقيامه على المقارنة.

للاستزادة:

(1) أي الأعراف.

اجمع آيات وصف العذاب في القرآن﴿ أَلِيمٌ ﴾ ، ﴿ قَرِيبٌ ﴾ ﴿ شَدِيدٍ ﴾...إلخ، وقارن بينها بلاغياً.

فائدة(2) – تتعلق بالتوكيد– :

"قد يُؤتَى بالتوكيد لأغراضٍ بلاغيةٍ غير ما سبَقَ بيانُهُ، كالرَّدَ على اعتقاد غير صحيح، وادّعاءٍ باطل، والتعريض بغباوة المخاطب، وتنزيل المخاطب منزلة منكرٍ ما دَلَّ عليه التوكيد، والافتخار، والمدح، والذّمّ، والترحُّم، والتشنيع، والإشعار بهَوْل الحدث وفظاعته، إلى غير ذلك من أغراض يُلْمِحُ إليها البليغ إلماحاً بأسلوب التوكيد"[1].

تمرين(2):

مثِّل لثلاثة من الأغراض المذكورة في الفائدة السابقة بأمثلة من الكلام البليغ.

فائدة(3) –تتعلق بعطف البيان –:

قال الشيخ عبد المتعال الصعيدي –معلقاً على الداعي المذكور في النظم لعطف البيان – : "هذا معنى نحوي لعطف البيان، وإنما يعد من البلاغة إذا كان للمسند إليه شأن يقتضي العناية بأمره كعظم شأنه أو حقارته؛ فيكون عطف البيان لمدحه أو ذمه أو نحو ذلك ، كقوله تعالى:﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧]،وقوله:﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ١٦]، وقال ابن عاشور: "وقوله: ﴿ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ بيان للكعبة؛ قصد من هذا البيان التنويه والتعظيم؛ إذ شأن البيان أن يكون موضحاً للمبيَّن بأن يكون أشهر من المبيَّن، ولما كان اسم الكعبة مساوياً للبيت الحرام في الدلالة على هذا البيت فقد عبر به عن الكعبة في قوله تعالى:﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ [المائدة:2] فتعين أن ذكر البيان

---

(1) البلاغة العربية..." للميداني 466/1- 467.

للتعظيم، فإن البيان يجيء لما يجيء له النعت من توضيح ومدح ونحو ذلك،ووجه دلالة هذا العلم على التعظيم هو ما فيه من لمح معنى الوصف بالحرام قبل التغليب،وذكر البيت هنا لأن هذا الموصوف مع هذا الوصف صارا علماً بالغلبة على الكعبة".

فائدة(4) – تتعلق بالبدل –:

تميز الدكتور عبد الرحمن حبنكة الميداني بذكر فوائد بلاغية للبدل – خلافاً لعامة البلاغيين – فقال:

" منها التفسير والتوضيح بعد الإجمال، أو الإبهام أو التعميم، لتثبيت المعنى في نفس المتلَقّي، وهذا يظهر في بدل الكُلّ من الكُلّ.

ومنها الإشعار بأنّ البعض قد تبلُغُ أهميَّتُه حتّى يكون هو بمثابة الكلّ، فجاء التعبير بالكُلّ أوّلاً، ثُمَّ أُبدلَ منه بعضُه، وهذا يظهر في بدل البعض من الكُلّ.

ومنها تثبيت الأصل أوّلاً اهتماماً به، ثمّ التوجيه للمقصود بالبيان، فتتحقَّق بذلك فائدتان، وهذا يظهر في بدل الاشتمال.

ومنها زيادة التقرير بالتفسير والتوضيح، أو بالتكرير المؤكّد.

وقد تظهر فوائد بلاغيّة في بدل الغلط، وذلك حينما يكون التوجيه غير الصحيح أوّلاً مقصوداً، ثمّ يأتي بعده التصحيح التداركيّ للإيهام بأنّ الفكر أو اللّسان لم يُخْطِئ إلاَّ وفي النَّفْسِ عوامل تدعو إلى هذا الغلط، إذْ من المعروف أنَّ فلتات اللّسان قد تدلُّ على ما في الجنان.

وقد يُقْصَدُ بالبدل التركيزُ على مواطن المدح أو الذّمّ، أو ماله الأهميَّةُ سواءٌ عند المتكلّم أو المخاطَب...إلى غير ذلك من فوائد"[1].

تمرين(3):

ناقش ما ذكر في الفائدة من أغراض، هل يمكنك أن تضيف غيرها؟

---

(1)البلاغة العربية..." للميداني 468/1- 469.

فائدة(5)- تتعلق بعطف النسق-:

قال ابن الأثير في قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [عبس: ١٧ - ٢٢]:" ألا ترى أنه لما قال (من نطفة خلقه) كيف قال (فقدره) ولم يقل ثم قدره لأن التقدير لما كان تابعاً للخلقة وملازماً لها عطفه عليها بالفاءِ وذلك بخلاف قوله (ثم السبيل يسره) لأن بين خلقته وتقديره في بطن أمه وبين إخراجه منه وتسهيل سبيله مهلة وزماناً فلذلك عطفه بثمِ وعلى هذا جاء قوله تعالى (ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره) لأن بين إخراجه من بطن أمه وبين موته تراخياً وفسحةً وكذلك بين موته ونشوره أيضاً ولذلك عطفهما بثُمَّ، ولما لم يكن بين موت الإنسان وإقباره تراخٍ ولا مهلة عطفه بالفاءِ و**هذا موضع من علم البيان شريف، وقلما يُتفطن لاستعماله كما ينبغي**"[1].

للاستزادة:

اجمع آيات خلق الإنسان في القرآن، وابحث عن الأسرار البلاغية لحروف العطف فيها.

فائدة(6) – تتعلق بضمير الفصل:

لاينبغي للبلاغي أن يكتفي بالقول إن ضمير الفصل للتوكيد أو التخصيص بل لابد له من بيان الأمر الذي اقتضى التوكيد أو التخصيص بالنظر إلى السياق.

تمرين (4):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [لقمان: ٣٠].

---

(1) المثل السائر: 46 -47.

ذكر ضمير الفصل في آية الحج مرتين بينما ذكر في آية لقمان مرة واحدة فقط فما السر في ذلك؟

تمرين(5):

قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾ [الصافات: ١ - ١٠]، أعرب ما تحته خطٌ في الآيات ثم تكلم عليه بلاغياً.

تتمة

أحوال المسند إليه

في ذاته

التقديم

ثم بعد أن انتهى الناظم من المبحث الثاني -أحوال المسند إليه بالنظر إلى ما يتعلق به- عاد ليتمم المبحث الأول – الذي هو أحوال المسند إليه في ذاته-, وكان قد انتهى من قبل من أربعة مطالب في هذا المبحث, وبقي له المطلب الخامس والأخير

فقال رحمه الله:

34	...................،	**فلاهْتمـــامٍ يَحْصُـــلُ التَّقْســـيمُ**
35	**كالأصْـــلِ ، والتَّمْكـــينِ**	**وَقَـــدْ يُفيـــدُ الاخْتصـــاصَ إنْ وَلِـــيْ**
36	**نَفْيـــــــــــــاً** ،	....

هذا هو المطلب الخامس من المبحث الأول: أحوال المسند إليه في ذاته, -وهو: التقديم – وقد ذكر الناظم داعيين أساسيين للتقديم:

الداعي الأول: الاهتمام بالمسند إليه: وهذا الداعي مطرد في كل تقديم لما حقه التأخير, ولما كان الاكتفاء بالقول بأن التقديم للاهتمام غيرَ كاف عند البلاغيين بل لا بد من بيان سبب هذا الاهتمام أشار الناظم إلى **ثلاثة من أسباب الاهتمام** وهي:

أ- كونه **الأصل** في استعمال العرب ولا مقتضى للعدول عنه, كأن يقدم المبتدأ على الخبر والفاعل على المفعول.

ب – كونه يحتوي على ما يشوق للخبر فيؤدي تقديمه إلى **تمكين** الخبر في ذهن السامع,و يزداد حسنا إذا كان في المسند إليه طول نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١ ﴾[المؤمنون: 57 - 60].

ج – تعجيل المسرّة أو المساءة، **فمن تعجيل المسرة** أن يكون في لفظ المسند إليه تفاؤل، نحو: "سعد في دارك"، **ومن تعجيل المساءة** أن يكون المقام مقام وعيد

وتخويف- مثلاً – نحو قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [التوبة: 17].

و قد عبر الناظم عن هذه الأسباب الثلاثة بقوله:

.... فلاهْتمــامٍ يَحْصُــلُ التَّقْسِــيمُ

...إلخ

أي: يحصل تفصيل أسباب الاهتمام بأنه الأصل...إلخ.

الداعي الثاني: **إرادة الحصر**: ولا يفيد تقديم المسند إليه الحصر إلا بشرطين[1]:

الشرط الأول: أن تسبق المسند إليه أداةُ نفي، وقد أشار الناظم إلى هذا الشرط بقوله: (... يفيد الاختصاص **إن ولي نفيا**).

الشطر الثاني: مجيء المسند جملة فعلية, ولم يشر الناظم إلى هذا الشرط.

ومن أمثلة ما توفَّر فيه الشرطان قول المتنبي:

وما أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ ولا أنـا أضـرمتُ في القلـب نَـارَا

فقد سبق المسند إليه (أنا) بأداة نفي، وجاء المسند (أسقمت) جملة فعلية؛ فدل التقديم على الحصر.

أما إذا لم يتحقق الشرط الأول فإن تقديم المسند إليه يكون **لتقوية الحكم**.

تنبيه:

دلالة التقديم على الحصر أغلبية، ولعل ذلك هو ما دعا الناظم إلى أن يقول: (**وقد** يفيد)، وسيأتي لهذه المسألة مزيد بيان في باب القصر – بإذن الله –.

---

(1) اشترط هذين الشرطين عبد القاهر الجرجاني، وفي المسألة خلاف طويل يراجع له التلخيص وشروحه.

تمارين وأفكار لتكوين الملكة

فائدة(1):

أهم ما يبحثه البلاغيون في تقديم المسند إليه هو تقديمه على الخبر الفعلي لأنه تقديمٌ لما حقه التأخير، أما إذا كان التقديم جارياً على الأصل فإنهم لا يولونه عناية كبيرة.

تمرين (1)[1]:

حاول تحديد مقامٍ مناسب لكل تعبيرين متشابهين مما يلي:

العشاءُ جاهز — جهز العَشاء

المجد ضاع – ضاع المجد

ما سافرت – ما أنا سافرت

الله يبسط الرزق لمن يشاء – يبسط الله الرزق لمن يشاء

أبوك سيصل من السفر – سيصل أبوك من السفر

فائدة (2) :

" ... هو يعطي أوكد في الدلالة من قولنا: يعطي؛ ولذلك تجري هذه الصياغة في المقامات التي تدعو إلى التوكيد والتقرير؛ **مثل** مواجهة الشك في نفس المخاطب والرغبة في إقناعه، و**مثل** رد الدعوى التي يدعيها المخاطَب، و**مثل** أن يكون المتكلم معنياً بكلامه مقتنعاً به فهو يريد أن يثبته في القلوب قوياً مقرراً كما هو مقرر في نفسه ، وغير ذلك من مقامات التقوية والتقرير، وهي كثيرة لا تحصى ، وراقب نفسك ساعة واحدة لترى كم تنزع نفسك إلى التوكيد في هذه الساعة، ولهذا كثر في الكلام جداً"

تمرين (2) :

---

(1) فكرة التمرين وبعض أمثلته مأخوذة من " البلاغة العربية فنونها وأفنانها ".

" وراقب نفسك ساعة واحدة لترى كم تنزع نفسك إلى التوكيد في هذه الساعة" هذه العبارة تعطينا منهجاً في معرفة المقامات التي تقتضي أسلوباً ما من أساليب الكلام – التوكيد أو غيره–، طبق ما طلبه الشيخ لمعرفة مقامين آخرين يقتضيان التوكيد.

تمرين (3) :

حاول تحديد سر تقديم المسند إليه فيما تحته خط مستعيناً بالنظر في السياق:

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٣– ١٣٤].

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر: ١].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

للاستزادة:

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ [النور: ٤٥].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٩].تقدم لفظ الجلالة – المسند إليه – على الفعل الماضي(خلق) – المسند – في هذين الموضعين بينما تأخر في مواضع أخرى متعددة في القرآن ، حاول معرفة السر البلاغي لذلك[1].

---

(1) يمكن توسيع دائرة البحث بإدخال أسماء الله وصفاته –كالرب – مثلاً– – ، وبإدخال الفعل المضارع (يخلق) .

خروج
المسند إليه
على
خلاف مقتضى الظاهر

تمهيد:

مقتضى الظاهر – ويسمى مقتضى ظاهر حال المخاطب - : هو الأمر الظاهري الثابت في الواقع الذي يستدعي صياغة الكلام بطريقة معينة.

مقتضى الحال : هو الأمر الذي يستدعي صياغة الكلام بطريقة معينة بغض النظر عن ثبوته في الواقع فقد يوافقه وقد يخالفه؛ فإن وافقه فإن الكلام يُعدَّ جارياً على مقتضى الظاهر، وإن خالفه فإن الكلام يكون جارياً على خلاف مقتضى الظاهر.

الشرح:

بعد أن انتهى الناظم من المبحثين الأولين في هذا الباب تكلم على المبحث الثالث فقال

رحمه الله:

36– ...، وقد على خلاف الظاهرِ

يأتي كأولى، والتفاتٍ دائرِ

هذا هو المبحث الثالث في هذا الباب وهو: خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر, و قد أشار الناظم في هذا البيت إلى صورتين من صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

الصورة الأولى: الأسلوب الحكيم[1]:

وهو محادثة المخاطب أو السائل بغير ما يترقبان مراعاةً للأولى بحالهما.

ومن خلال تعريف الأسلوب الحكيم يتضح أن له صورتين:

الصورة الأولى: محادثة المخاطب بغير ما يترقب.

الصورة الثانية: محادثة السائل بغير ما يترقب.

و قد اجتمعت الصورتان في قصة واحدة فقد : " قالوا: كان الحُطيئة يرعَى

---

(1) أفرد الدكتور: محمد بن على الصامل الأسلوب الحكيم بدراسة بلاغية مستقلة، كما حقق رسالة لابن كمال باشا حول نفس الموضوع وطبعهما معاً في دار كنوز إشبيليا.

غنماً وفي يده عصا، فمرّ به رجلٌ فقال: يا راعيَ الغنم، ماعندك؟ قال: عجراءُ من سَلَمٍ[1] — يعني عصاه-، قال: إنّي ضيف، قال: للضِّيفان أعددتُها"[2].

كما يتضح من التعريف أن الغرض من الأسلوب الحكيم: تنبيه السامع إلى ما هو الأولى بحاله[3].

وقد كانت إشارة الناظم إلى هذه الصورة موجزة حيث قال (وقد على خلاف الظاهر يأتي **كأولى**) أي: قد يأتي المسند إليه على خلاف الظاهر كأن تكون الصورة التي أتى بها منبهةً للسامع على ما هو **أولى** بالقصد والإرادة.

الصورة الثانية: الالتفات:

وهو التعبير بواحد من الأساليب الثلاثة - التكلم, الخطاب, الغيبة- بعد التعبير بأسلوب آخر منها, و هذا الأسلوب كثيرٌ جداً في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ الكوثر: ١ - ٢ ، فقد انتقل الكلام من التكلم في:(أَعۡطَيۡنَٰكَ) إلى الغيبة[4] في: (لِرَبِّكَ)،وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا

---

(1) العجراء: العصا ذات الأُبَن، و الأبن: جمع أبنة وهي: العقدة في العود، انظر : القاموس المحيط(ع ج ر) (أ ب ن)، وأما السلم فهو شجر من العضاه، انظر : تاج العروس ، وفي تفسير العضاه أقوال منها ما في الصحاح ونقله عنه في تاج العروس: "كلُّ شجرٍ يَعْظُمُ وله شَوْكٌ ".

(2) البيان والتبيين – طبعة غير محققة - : 73/2 – 74.

(3) ليس هذا هو الغرض الوحيد للأسلوب الحكيم لكنه هو الذي اهتم البلاغيون بالتنصيص عليه في التعريف، وإلا فقصة الحطيئة – مثلاً- لا يمكن أن تحمل على الغرض الذي ذكروه.

(4)يعد ذكر الاسم الظاهر من أسلوب الغيبة, فقول الله متحدثاً عن نفسه : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) يعد من أسلوب الغيبة.

جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ يونس: ٢٢ ، فقد انتقل الكلام من الخطاب في:(كنتم) إلى الغيبة في: (بهم).

هذا وللالتفات غرضان بلاغيان:

الغرض الأول: غرض عام في كل التفات وهو تنشيط السامع وجذب انتباهه.

الغرض الثاني: غرض تختص به بعض المواضع, وهذا الغرض ليس محددا بل يلمح من النظر في السياق ومقتضيات الأحوال؛ومن أمثلة الالتفات التي اشتهرت عند البلاغيين بغرضها الخاص قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ الفاتحة: ٢ – ٥ فقد انتقل الكلام من الغيبة[1] في:(مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) إلى الخطاب في: (بهم)، والنكتة عند البلاغيين أن العبد إذا ذكر الله، وَحَمِدَه من بداية سورة الفاتحة و ذكر صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدّة الإقبال, خاصة الصفة الأخيرة منها المفيدة أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء، شعر بعظمة الله فأقبل عليه بالخطاب.

وقد أشار الناظم إلى الالتفات بقوله (و التفات دائر) أي: دائر بين الأساليب الثلاثة.

ثم إن الناظم رحمه الله قد اكتفى بصورتين من صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وهذا مناسب للمبتدئ في طلب هذا العلم، لكن لما كان بعض الإخوة – وخاصة من غير المتخصصين- لا يرغبون في دراسة أكثر من كتاب في هذا العلم ، مع كون بعض الأمور التي أغفلها الناظم تكثر في كتب التفسير وشروح الحديث بحيث تمس الحاجة لمعرفتها رأيتُ أن أشير باختصار إلى ثلاث صور لم يتعرض لها الناظم:

---

(1)مر قبل قليل أن ذكر الاسم الظاهر يُعدُّ من أسلوب الغيبة, فقول الله: (مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) يعد من أسلوب الغيبة.

الصورة الأولى: الإضمار في مقام الإظهار:

هو أن يأتي المتكلم بالضمير في بداية الكلام عن شيء، رغم أن ظاهر المقام يستدعي الاسم الظاهر حتى يُعرف المتحدث عنه، وغرضه الأشهر عند البلاغيين تشويق السامع إلى معرفة الخبر, ومن أشهر صوره ضمير الشأن[1] نحو قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، فـ(هو) ضمير الشأن ، وقد جاء الضمير فشوق السامع إلى معرفة الخبر.

الصورة الثانية: الإظهار في مقام الإضمار:

وهو أن يأتي المتكلم باسم ظاهر لشيء ذكر من قبل فكان مقتضى الظاهر أن يكتفى فيه بالضمير لأنه صار معلوماً، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾، فقد ذكر لفظ الجلالة في الآية الثانية رغم أنه ذكر في الآية الأولى فكان مقتضى الظاهر أن يقال: (هو الصمد) ، لكن جاء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وصرح بالاسم رغم العِلْمِ به مما سبق لنكتة وهي ترسيخ هذا الاسم العظيم في نفس السامع،وأغراض الإظهار في مقام الإضمار متعددة[2]، ووقوعه في القرآن كثير .

الصورة الثالثة: التناوب بين صيغ الأفعال :

وله صورتان:

1- التعبير بالماضي عن المستقبل لنكتة كالإشعار بتحقق وقوع الأمر كقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠ ﴾.

2- التعبير بالفعل المضارع عن أمر ماض لنكتة كاستحضار صورة الحدث

---

(1) ضمير الشأن – أو القصة- : ضمير يقع في صدر الجملة و تفسره جملة بعده، انظر للتوسع : مغني اللبيب- الباب الرابع (عند المواضع التي يعود الضمير فيها على متأخر لفظاً و رتبة):2/138- 140.

(2) تأتي الإشارة إلى بعضها في الفوائد- بإذن الله- .

وكأنه ماثل أمام المخاطب. كقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾[1] .

([1]) سورة الأعراف, آية (27).

تمارين

و

أفكار

لتكوين الملكة

أولاً: الأسلوب الحكيم :

تمرين(1):

إلى أي صورتي الأسلوب الحكيم تنتمي الأحاديث التالية، مع محاولة تحديد الغرض منها:

1/ روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا سأله ما يلبس المحرم ؟ فقال : "لا يلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوبا مسه الورس أو الزعفران فإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين".

2/مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري ، قالت : إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي – ولم تعرفه – ، فقيل لها إنه النبي صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين فقالت : لم أعرفك فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما الصبر عند الصدمة الأولى" متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

3/ روى البخاري أن رجلا من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة ؟ قال:ويلك وما أعددت لها ؟ قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال: إنك مع من أحببت، فقلنا: ونحن كذلك ؟ قال:نعم، ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً

تمرين(2):

استخدم الأسلوب الحكيم للإجابة على الأسئلة التالية :

س : كم راتبك ؟

س : بكم اشتريت هذا الكتاب؟

س : ما جنسية هذا الشيخ الذي تجمع حوله الطلاب؟

س : من أين تتكلم – السائل يحدثك بالهاتف– ؟

ثانياً: الالتفات :

فائدة(1):

للالتفات[1] ست صور:

الصورة الأولى: الالتفات من التكلم إلى الخطاب.

الصورة الثانية: الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

الصورة الثالثة: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

الصورة الرابعة: الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

الصورة الخامسة: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

الصورة السادسة: الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

تمرين(1):

حدد صورة الالتفات فيما يلي :

﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يس: ٢٢.

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ ﴾ الكوثر: ١ – ٢.

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ ﴾ التين: ٤ – ٧ .

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ الفجر: ٢٧ – ٣٠.

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾ القيامة: ٣١ – ٣٥.

فكرة لتكوين الملكة لإدراك سر الالتفات:

يلاحظ المتأمل فيما يذكره العلماء من نكت الالتفات الخاصة[2] أن أعظم

([1]) هذا على رأي الجمهور في تعريف الالتفات – خلافاً للسكاكي –.

([2]) راجع ما سبق من أن للالتفات نكتة عامة، وقد تكون له في بعض المواضع نكتة خاصة.

مؤثِّر فيما يذكرونه من نكات هو النظر إلى الأسلوب المنتقَل إليه والمقامات المناسبة له فمثلاً من المقامات المناسبة لأسلوب الغَيْبة الإعراضُ، ومن المقامات المناسبة لأسلوب الخطاب التهديد...إلخ.

تمرين(2):

اختر آيتين من الآيات المذكورة في التمرين السابق وارجع إلى تفسيرين – على الأقل – من التفاسير التالية لمعرفة نكتة الالتفات في كل آية:

التحرير والتنوير لابن عاشور – نظم الدرر للبقاعي – روح المعاني للألوسي – (مع ضرورة الرجوع إلى تفسير الطبري لمعرفة أقوال السلف في الآيتين).

ثالثاً ورابعاً: الإظهار في مقام الإضمار وعكسه :

فائدة(1) :

الإضمار في مقام الإظهار يرجع – غالباً- إلى أحد نكتتين :

1 - الإحالة إلى مجهول لتتشوق النفس إليه .

2 - تنزيل غير المعلوم منزلة المعلوم .

فائدة(2):

للإضمار في مقام الإظهار صورتان:

1 - أن يكون الاسم الظاهر اسم إشارة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

2 - أن يكون الاسم الظاهر غير اسم الإشارة, نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾

و تختلف أغراض الإظهار في مقام الإضمار باختلاف صورته:

فإن كان الاسم المظهر اسم إشارة فالغرض الأشهر والأكثر: كمال تمييز المسند إليه إظهاراً لعناية المتكلم به .

و إن كان الاسم المظهر غير اسم الإشارة, فالغرض يرجع غالباً إلى أحد أمرين:

1/تأكيد المسند إليه, وترسيخه في قلب السامع نحو:

نفس عصام سودت عصاما وعلمتـــهُ الكـــرَّ والإقدامـــا

2/خصوصية في الاسم تستدعي ذكره في مقام ما,نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[النساء:٥٨][1].

تمرين(1):

اختر الغرض البلاغي المناسب لإظهار أو إضمار ما تحته خط:

1 - ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج: ٤٦

3 - ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩

4 – "اللهم ارحم العبد العاصي، ذا القلب القاسي" -متحدثا عن نفسك-.

5 - نفس عصام سودت عصاما

وعلمته الكر والإقداما

6- زارَتْ عليها للظّلامِ رِواق

ومِنَ النّجومِ قَلائِدٌ ونِطاقُ

[ما تحته خط في هذا البيت محذوف]

([1]) انظر خصائص التراكيب: 244-248.

7 – ترى الشرطي أمامك وتقطع الإشارة– إذا قالها شرطي لقاطع إشارة–.

8 – ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ المؤمنون: ٥٧ – ٦١

الأغراض :

أ – بعث السامع على التشوق للخبر .

ب – ادعاء كمال ظهور المسند إليه .

ج – بعث السامع وحثه على الامتثال للأمر.

د – كمال الاعتناء بتمييز المسند إليه لكونه محكوما عليه بأمر بديع

هـ – زيادة تمكين المسند إليه في نفس السامع

و – طلب العطف من السامع

ز – تخويف السامع

تمرين(2):

بين بلاغة الإظهار في موضع الإضمار وعكسه فيما يلي :

1/﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ﴾ القارعة: ١ – ٣

2/﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنعام: ٦٨

3/﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ ﴾ الملك: ١٥ – ١٦

4/﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ الكهف: ٩ – ١٠

5/ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ الفرقان: ٥٨

6/هو الموت لا منجى من الموت والذي

نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

للاستزادة:

قال تعالى في سورة النمل : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ النمل: ٩ ، ورد ذكر نفس الموقف في طه14 والقصص 30 لكن دون ذكر ضمير الشأن ، فما السر البلاغي وراء هذا التغاير في الأسلوب ؟

انظر كلا من : " معاني النحو " و " لمسات بيانية " للدكتور فاضل السامرائي للإجابة على هذا السؤال:

خامساً: تناوب صيغ الأفعال:

فائدة:

أضاف السيوطي في منظومته عقود الجمان نكتتين للتعبير بالماضي عن المستقبل لم يذكرها القزويني في التلخيص فقال:

ومنه ماض عن مضارع وُضِعْ لكونه مُحقَّقًا نحوُ فزِعْ .

قلتُ: **وللإشراف** أو **إبرازِكَا** **في مَعْرَضِ الحاصل غير ذلكا**

باب

أحوال

المسند

هذا هو الباب الثالث من أبواب علم المعاني -وهو أحوال المسند- وينحصر كلام الناظم في هذا الباب في مبحثين:

المبحث الأول: أحوال المسند في ذاته.

المبحث الثاني: أحوال المسند بالنظر إلى ما يتعلق به.

ويتضمن المبحث الأول تسعة مطالب:

المطلب الأول: الترك.

المطلب الثاني: الذكر.

المطلب الثالث: مجيء المسند فعلاً.

المطلب الخامس: مجيء المسند مفردًا.

المطلب السادس: التعريف.

المطلب السابع: التأخير.

المطلب الثامن: التقديم.

المطلب التاسع: التنكير.

وسيتكلم الناظم على المطالب الخمسة الأولى من المبحث الأول ثم سينتقل إلى المبحث الثاني وبعد الانتهاء منه سيختم الباب بالمطالب الباقية من المبحث الأول.

أحوال المسند في ذاته

الترك

الذكر

كونه فعلاً

كونه اسما

كونه مفرداً

قال الناظم رحمه الله:

37 لِمَا مَضَى التَّرْكُ معَ الْقَرِينهْ

هذا هو أول مطالب المبحث الأول –وهو: ترك المسند –

أشار الناظم إلى أن ترك المسند لا يختلف عن حذف[1] المسند إليه، وقد مرَّ الكلام على حذف المسند إليه في قوله:

الحذف للصون وللإنكار والاحتراز أو للاختبار

ومن أمثلة حذف المسند قوله تعالى:﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الرعد: ٣٣ ؛ فالاسم الموصول مبتدأ خبره محذوف تقديره :كمن ليس كذلك، والغرض من هذا الحذف هو تعظيم وصون الرب الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت من أن تذكر في مقابله الآلهةُ العاجزة، وفي حذفهم – مع ذلك- ازدراء وتحقير لهم[2].

ثمَّ نبه الناظم على مسألة وهي أنه:يشترط في ترك المسند وجود قرينة تدل على المتروك, وهذا وإن كان مطلوبا في حذف المسند إليه لكن قرينة ترك المسند تختص بتفصيل ليس موجوداً في قرينة حذف المسند إليه؛ فلذلك نص عليها[3].

ثم قال الناظم رحمه الله:

37 .... والــذِّكْرُ أوْ يُفيــدُنا تَعْيينــهْ

هذا هو ثاني مطالب المبحث الأول –وهو: ذكر المسند–

---

(1) تعبير الناظم في المسند إليه بالحذف وهنا بالترك متابعةٌ منه لصاحب التلخيص، وانظر في سر المغايرة في التعبير عند صاحب التلخيص: مختصر المعاني: 274/1، حاشية الدسوقي عليه.

(2) وانظر خصائص التراكيب: 275-276.

(3) والناظم متابع في هذا لصاحب التلخيص الذي نصَّ على القرينة ليبني عليها بعض التفصيل المختص بقرينة المسند، وثمة وجوه أخرى لبيان وجه هذا التنصيص على القرينة، انظر : حاشية الدسوقي: 12/2.

أشار الناظم إلى أنَّ ذكر المسند لا يختلف عن ذكر المسند إليه، وقد مرَّ الكلام على ذكر المسند إليه في قوله:

والذكر للتعظيم والإهانة والبسط و التنبيه والقرينة

ومن أمثلة ذكر المسند قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ﴾ يس: ٧٨ – ٧٩، والغرض من ذكره "...تقرير الكلام وتثبيت معناه وتوضيحه حين يتعلق الغرض بهذا ... وفيه إشارة أخرى هي أنه لا يُسأل عن الإحياء بعد الموت – أعني إمكانه– سؤال مستبعد منكر إلا من في عقله غشاوة تحجبه عن الإدراك النافذ والرؤية الصادقة، ومثله لا يعول في خطابه على ذكاء"[1].

ثم نبه الناظم على غرض يختص به ذكر المسند عن ذكر المسند إليه، وهو أن ذكر المسند يفيدنا تعيين كون المسند اسماً أو فعلا, وهذه الخصوصية لها أهميتها عند البلاغيين لأن لكل من الاسم والفعل دلالته الخاصة وهو ما بينه في البيتين التاليين فقال رحمه الله:

38 وَكَونُـــهُ فِعْـــلاً فَللتَّقْيُّـــدِ بالوَقْـتِ مـعْ إفـادَةِ التَّجَـدُّدِ

هذا هو ثالث مطالب المبحث الأول –وهو: مجيء المسند فعلاً– وقد انحصر كلامه في التنبيه على الدلالتين الوضعيتين للفعل, وهما:

الدلالة الأولى: التقييد بزمن من الأزمنة الثلاثة (الماضي – الحاضر – المستقبل).

الدلالة الثانية: التجدد، ومعناه: حصول الشيء بعد أن لم يكن.

فإذا قلت:" اجتهد محمد" فإن لـ: (اجتهد) هنا دلالتان وضعيتان:

1– تقييد الاجتهاد بالزمن الماضي.

---

(1) خصائص التراكيب: 290 -291.

2 – حدوث الاجتهاد بعد أن لم يكن.

وإذا قلت:" يجتهد محمد" فإن لـ: (يجتهد) هنا دلالتان وضعيتان:

1- تقييد الاجتهاد بالزمن الحاضر.

2 – حدوث الاجتهاد بعد أن لم يكن.

وإذا قلت لشخص:" اجتهد" فإن لـ: (اجتهد) هنا دلالتان وضعيتان:

1- تقييد طلب الاجتهاد بالزمن المستقبل.

2 – الدلالة على أن الاجتهاد لم يحدث بعد.

تنبيه(1): قد يعبر بعض أهل العلم عن التجدد بعدة مصطلحات لا بد من تنبه طالب العلم لها, وهي: التجدد, التجدد والحدوث, التجدد الحدوثي.

فائدة: يختص الفعل المضارع بدلالة ثالثة لايشترك معه فيه الماضي والأمر وهي دلالة تستفاد من القرائن وهي التجدد الاستمراري, والتجدد الاستمراري هو حصول الشيء مرة بعد أخرى بحيث يكون استمراره غير متصل(2)، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ يونس: ٢٥

تنبيه: قد يطلق بعض أهل العلم على التجدد الاستمراري مصطلحات أخرى لا بد من تنبه طالب العلم لها وهي: التجدد(3), التجدد والاستمرار.

---

(1) ذكرت هذا التنبيه والذي سيأتي بعد قليل لأن بعض المعاصرين يخلطون بين دلالة الفعل –عموماً- على التجدد الحدوثي بأصل الوضع، ودلالة الفعل المضارع – خصوصاً- على التجدد الاستمراري بالقرائن والسياق.

(2) بخلاف دلالة الاسم على الدوام – الآتية بعد قليل- فإنه دوام متصل عرفاً- .

(3) وهذا المصطلح من أكبر أسباب الالتباس بين التجدد الحدوثي والتجدد الاستمراري فليتنبه له.

ثم قال الناظم رحمه الله:

39 وَاسْــــماً فَلِانْعِــــدامِ ذا

هذا هو رابع مطالب المبحث الأول -وهو: مجيء المسند اسماً- وقد انحصر كلامه في الإشارة إلى الدلالة الوضعية للاسم, ولم ينص عليها صراحة بل اكتفى بالقول أن المسند يكون اسماً لانعدام دلالته على التقييد بزمن وعدم دلالته على الحدوث[1]، ويفهم من هذا أن دلالته الوضعية هي: مجرد إثبات الشيء للشيء, ويعبر البلاغيون عن هذه الدلالة بـ(الثبوت)؛ فإذا قلت : " الجدار أبيض" فإن هذا يفيد مجرد إثبات البياض للجدار دون تعرض لشيءٍ آخر.

فائدة[2]: يدل الاسم بالقرينة ودلالة السياق على: الدوام, والدوام: هو إثبات الشيء للشيء إثباتا دائماً متصلاً[3], ومنه قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ ﴾ المؤمنون: ١ – ٢؛فإن مجيء المسند اسماً دل على دوام خشوعهم بقرينة المقام – وهو المدح–، ومنه قول الشاعر:

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا

لكن يمر عليه وهو منطلق

فدل الاسم هنا بقرينة المقام - وهو الفخر- على استمرار الدرهم في الانطلاق دون توقف مما يدل على شدة الكرم.

---

(1) وهو في هذا متابعٌ لصاحب التلخيص حيث قال بعد ذكره لدلالتي الفعل : " وأما كونه اسماً فلإفادة عدمهما"، التلخيص: 41.

(2) بهذه الفائدة يتضح أن (الثبوت) و(الدوام) مصطلحان غير مترادفين خلافاً لما قد يتوهمه البعض فيظن أن قولهم : "الاسم يفيد الثبوت والدوام" من باب عطف التفسير ونحوه.

(3) على القارئ أن يتنبه إلى الفرق بين هذا الدوام والدوام المستفاد من الفعل المضارع وهو المعبر عنه بالتجدد الاستمراري – وقد مرَّ الحديث عنه قبل قليل –.

ثم قال الناظم رحمه الله:

39 ....ومفـــردا لأنَّ نَفْسَ الحُكْمِ فيهِ قُصِدَا

هذا هو خامس مطالب أحوال المسند في ذاته وهو: مجيئه مفرداً, وقد بين الناظم هنا أن المسند يجيء مفرداً إن أريد نفس الحكم و لم يقصد معه أمر آخر, فتقول إن أردت إثبات الاجتهاد لزيد دون أمر آخر: زيد مجتهد.

فائدة: يفهم من الكلام على مجيء المسند مفرداً أن هناك **حالة أخرى من أحوال المسند وهي مجيئه جملة** وذلك إذا قصد مع نفس الحكم أمر آخر زائد, والمقصود بالأمر الزائد[1]: **التوكيد**, فتقول إن أردت إثبات الاجتهاد لزيد مع أمر آخر هو التوكيد: زيد يجتهد.

(1) ذكر صاحب التلخيص أمراً قد يُقصد عند مجيء المسند جملة وهو : **السببية**, والمراد بالسببية -و يطلق عليه المسند السببي-: جملة مربوطة بمبتدأ والرابط ليس مسندا إليه في تلك الجملة مثل: "زيد قام أبوه"؛ فجملة: "قام أبوه" عائدةٌ على المبتدأ بالضمير المضاف إلى أبو، وهذا الضمير العائد ليس مسندا إليه في تلك الجملة، وإنما تركت ذكره في أصل الشرح لقلة فائدته وكثرة الخلاف حوله.

أحوال

المسند

بالنظر

إلى ما يتعلق به

هنا يبدأ المبحث الثاني في هذا الباب -**وهو: أحوال المسند بالنظر إلى ما يتعلق به[قيوده]**- ويتضمن هذا المبحث أربعة مطالب:

المطلب الأول: تقييده بالمفاعيل ونحوها.

المطلب الثاني: عدم تقييده بها.

المطلب الثالث: التقييد بأدوات الشرط.

المطلب الرابع: وصف المسند.

قال الناظم رحمه الله:

40 والفِعْـــلُ بـــالمَفْعُولِ إنْ وَنَحْـــوِهِ فَلِيُفيـــدَ زائـــدَا

41 وَتَرْكُهُ لِمانِعٍ منْهُ ....

هذان هما المطلبان الأولان في هذا المبحث, **أما المطلب الأول – وهو تقييد المسند بالمفاعيل ونحوها –** فقد أشار الناظم إلى الغرض منه وهو زيادة الفائدة -– ويسميه عامة البلاغيين تربية الفائدة–, فالجُمَلُ: (أَكَلَ مُحَمَّدٌ, أَكَلَ مُحَمَّدٌ اللحمَ, أَكَلَ مُحَمَّدٌ اللحمَ أكلاً, أَكَلَ مُحَمَّدٌ اللحمَ أكلاً أمسِ) زادَ بعضُها على بعض في القيود فزادت بتلك القيود الفائدةُ للسامع، وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله (والفعل) إلى قوله (زائدا), وقولُهُ (بالمفعول) يشمل المفعول به ومعه وله والمفعول المطلق و المفعول فيه – الظرف –, وقولُهُ (ونحوه) يقصدبه الحال والتمييز والاستثناء.

ومن أمثلة التقييد لزيادة الفائدة قوله تعالى :﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾الحجرات: ١٢ يقول النورسي – رحمه الله – في كلام نفيس له حول هذه الآية: " تنهى هذه الآية الكريمة عن الغيبة بست مراتب وتزجر عنها بشدة وعنف، وحيث إنَّ خطاب الآية موجه إلى المغتابين، فيكون المعنى كالآتي:

إن الهمزة الموجودة في البداية، للاستفهام الإنكاري حيث يسري حكمه ويسيل كالماء الى جميع كلمات الآية، فكل كلمة منها تتضمن حكماً.

ففي الكلمة الأولى تخاطب الآية الكريمة بالهمزة: أليس لكم عقل. وهو محل السؤال والجواب. ليعي هذا الأمر القبيح؟

وفي الكلمة الثانية: "يحب" تخاطب الآية بالهمزة: هل فسد قلبكم. وهو محل الحب والبغض. حتى أصبح يحب أكره الاشياء وأشدها تنفيراً.

وفي الكلمة الثالثة: "أحدكم" تخاطب بالهمزة: ماذا جرى لحياتكم الاجتماعية. التي تستمد حيويتها من حيوية الجماعة. وما بال مدنيتكم وحضارتكم حتى أصبحت ترضى بما يسمم حياتكم ويعكر صفوكم.

وفي الكلمة الرابعة: "أن يأكل لحم" تخاطب بالهمزة: ماذا أصاب انسانيتكم؟ حتى أصبحتم تفترسون صديقكم الحميم.

وفي الكلمة الخامسة: "أخيه" تخاطب بالهمزة: أليس بكم رأفة ببني جنسكم، أليس لكم صلة رحم تربطكم معهم، حتى أصبحتم تفتكون بمن هو أخوكم من عدة جهات، وتنهشون شخصه المعنوي المظلوم نهشاً قاسياً ، أيملك عقلاً من يعض عضواً من جسمه؟ أوَليس هو بمجنون؟.

وفي الكملة السادسة: "ميتاً" تخاطب بالهمزة: أين وجدانكم؟ أفسدت فطرتكم حتى أصبحتم تجترحون أبغض الاشياء وأفسدها. وهو أكل لحم أخيكم. في الوقت الذي هو جدير بكل احترام وتوقير.

يفهم من هذه الآية الكريمة. وبما ذكرناه من دلائل مختلفة في كلماتها. أن الغيبة مذمومة عقلاً وقلباً وانسانية ووجداناً وفطرة وملةً؛ فتدبر في هذه الآية الكريمة، وانظر كيف أنها تزجر عن جريمة الغيبة بإعجاز بالغ وبإيجاز شديد في ست مراتب"[1].

---

(1) المكتوبات – المكتوب الثاني والعشرين -: 357 – 358.

وأما **المطلب الثاني –وهو ترك تقييد المسند بالمفاعيل و نحوها–**, وذلك لمانع من زيادة الفائدة كاستقباح الذكر وضيق المقام ، ومن أمثلة حذف المفعول به لاستقباح الذكر قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾البقرة: ٥١، قال ابن عاشور –رحمه الله– :"وحذف المفعول الثاني لاتخذتم لظهوره وعلمهم به ولشناعة ذكره وتقديره معبودا أو إلها"[1].

ثم قال الناظم رحمه الله:

41 ....، وَإِنْ بالشَّـرْطِ باعْتبـارِ مـا يَجـيءُ

42– أداتِهِ، والجزم أصلٌ في (إذا)

لا(إن) و(لوْ)، ولا لِذَاكَ مَنْعُ ذا

هذا هو **المطلب الثالث من المبحث الثاني المتعلق بأحوال المسند بالنظر إلى قيوده –وهو:**

تقييده بأدوات الشرط–, و يشتمل كلام الناظم في هذا المطلب على عنصرين:

العنصر الأول: بيان الغرض من التقييد بأدوات الشرط: وهو إفادة معنى تلك الأداة, إذ لكل أداة معنى خاص بها,وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله (وإن... أداته).

العنصر الثاني: بيان دلالة بعض أدوات الشرط –وهي إذا وإن ولو–، وقد أشار الناظم في هذا العنصر إلى **أربع نقاط:**

النقطة الأولى: الأصلُ في استخدام (إذا) الجزمُ بوقوع الشرط في الاستقبال، وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله (والجزم أصل في (إذا)).

(1) التحرير والتنوير: 499/1.

النقطة الثانية: الأصلُ في استخدام (إن) عدمُ الجزم بوقوع الشرط في الاستقبال, وبالتالي فإنها بعكس إن, وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله (لا (إنْ)).

ومن الأمثلة الدالة على الفرق بين إن وإذا[1] قوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾** ﴾ فقد أتت أداة الشرط "إذا" مع الأمر المتيقن –وهو حضور الموت– وأتت أداة الشرط "إن" مع الأمر المشكوك فيه –وهو ترك المال عند الموت–.

المسألة الثالثة: الأصلُ في استخدام (لو) الجزمُ بعدم وقوع الشرط وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله (ولو) أي أن الجزم ليس أصلا في لو.

المسألة الرابعة: الرد على من قال إنَّ (لو) لامتناع الشرط لامتناع الجزاء؛ إذ الصواب – وهو رأي الجمهور– أنها لامتناع الجزاء لامتناع الشرط، وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله: (ولا لذاك منع ذا) أي وليس للشرط نفس الامتناع الموجود في الجواب فكأن[2] قوله(ذاك) إشارة إلى الشرط المذكور في قوله (بالشرط)، وكأن (ذا) إشارة إلى الجواب المفهوم من الكلام، والله تعالى أعلم.

ثم قال الناظم رحمه الله:

43– والوصف....... **............يعرفُ.......**

هذا هو المطلب الرابع من مطالب أحوال المسند بالنظر إلى قيوده – وهو: وصف المسند–, وقد اكتفي فيه الناظم بالإحالة على ما سبق في باب المسند إليه وهو قوله:

---

(1) للدكتور فاضل السامرائي كلام جيد وفيه أمثلة مفيدة تجلي الفروق بين هاتين الأداتين في كتابه القيِّم : معاني النحو: 4/69-79.

(2) في نظم البيت نوع إشكال في تحديد المشار إليه في (ذاك) و (ذا)، كما أن للبيت روايتين: (كذاك)، و(لذاك)، ولم أستطع الترجيح بينهما، لكن ما قررته في معنى الشطر – عموماً– هو ما قرره أكثر شراح المنظومة – في حدود اطلاعي–.

29 ....، وَالْوَصْفُ للتَّبْيِينِ وَالْمَدْحِ والتَّخْصِيصِ والتَّعْيِينِ

فأغراض وصف المسند هي نفس أغراض وصف المسند إليه التي مرت في باب المسند إليه.

تنبيه: يسمى تقييد المسند بالوصف – وكذا تقييده بالإضافة – عند بعض البلاغيين بالتخصيص، وقد جاء التقييد للمسند بالإضافة والوصف معاً في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ ﴾الهمزة: ٤ – ٧ ، فنار الله مسند لأنه خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير: هي نارالله، وقد قُيِّدَ المسندُ بالإضافة، وهذا التقييد: " للترويع بها بأنها نار خلقها القادر على خلق الأمور العظيمة"[1]، ثم قُيِّدَ المسند بالوصف (ٱلۡمُوقَدَةُ) ، و" والتوقد: ابتداء التهاب النار"[2]،وهذا التقييد: " يفيد أنها لا تزال تلتهب ولا يزول لهيبها... فليس الوصف بالموقدة هنا تأكيدًا"[3]، ثم قُيِّدَ المسند بوصف آخر هو جملة (ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ)"وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف ما في الجسد وأشده تألما بأدنى أذى يمسه ، أو لأنه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة والملكات القبيحة ومنشأ الأعمال السيئة فهو أنسب بما تقدم من جميع أجزاء الجسد"[4].

(1) التحرير والتنوير: 540/30.

(2) التحرير والتنوير: 540/30.

(3) التحرير والتنوير: 540/30.

(4) روح المعاني: 296/30.

تابع

أحوال

المسند

في ذاته

بعد أن انتهى الناظم من المبحث الثاني -أحوال المسند بالنظر إلى ما يتعلق به[قيوده]– عاد ليتمم المبحث الأول –الذي هو أحوال المسند في ذاته - **فقال:**

43 ....والتَّعْرِيفُ والتَّأخيرُ وَعَكْسُـــهُ يُعْـرَفُ والتَّنْكيـــرُ

كان الناظم قد انتهى من قبل من خمسة مطالب في هذا القسم, وبقيت له أربعة مطالبٍ, وهي:

المطلب السادس: التعريف

المطلب السابع: التأخير

المطلب الثامن: التقديم

المطلب التاسع: التنكير

وقد اكتفى بالإحالة على ما سبق من حديث عن هذه الأحوال في باب المسند إليه؛ إذ الأصل تساوي الأسلوب الواحد من تعريف وتنكير وغيرهما بغض النظر عن كون التعريف أو التنكير للمسند إليه أو المسند أو غيرهما من الفضلات.

تنبيهات:

التنبيه الأول: قد مضى الحديث صراحة في باب المسند إليه على كل من: التعريف, التقديم, التنكير. أما التأخير فلم يتكلم عليه الناظم من قبل لكنه مفهوم من كلامه عن التقديم.

التنبيه الثاني: تعريف المسند يدل على الحصر كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ الإخلاص: ٢ ،وهذه خصوصية لتعريف المسند ليست موجودة في المسند إليه، ولعل الناظمَ ترك التنبيهَ عليها تسهيلاً على المبتدئ.

التنبيه الثالث: تقديم المسند –إن كان حقه التأخير- يدل على الحصر كقوله تعالى: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾, وهذه خصوصية لتقديم المسند

ليست موجودة في المسند إليه –إلا في حالة خاصة سبق ذكرها–، وهذا وإن لم ينص عليه المؤلف هنا لكنه سيذكره في باب القصر.

الباب الرابع:

أحوال

متعلِّقات الفعل

هذا هو الباب الرابع من أبواب علم المعاني، وهو جزء من باب المسند أفرد لاختصاصه ببعض النكات, ويتكون كلام الناظم في هذا الباب من تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أعراض حذف المفعول به.

المبحث الثاني: أغراض تقديم المفعول به وشبه المفعول به.

المبحث الثالث: ترتيب معمولات الفعل.

قال الناظم رحمه الله:

44- ثمَّ مَعَ المفعولِ حالُ الفِعْلِ كَحَالِهِ مَعْ فَاعِلٍ مِنْ أَجْلِ

45- تلبسٍ لا كونِ ذاكَ قَدْ جَرَى

هذا تمهيد للحديث عن حذف المفعول به يأتي به البلاغيون عادة في هذا الموضع، وخلاصة ما ذكره الناظم أن الغرض من تعلق المفعول بالفعل هو نفس الغرض من إسناد الفعل إلى الفاعل وهو الإشعار بتلبسه به, فإذا قلت: " قَتَلَ محمدٌ" فالقصد تلبس محمد بالقتل -بغض النظر عن المقتول-, وإذا قلت: "قُتِل اللصُّ" فالقصد وقوع القتل على اللص -بغض النظر عن القاتل-، أما إذا كان الغرضُ مجردَ إثبات وقع الحدث دون قصد إلى تلبس بفاعل أو مفعول فإنهما لا يذكران كأن يقال : "وقع في البلدة قتلٌ".

تنبيه : المقصود بالمفعول في هذا التمهيد هو المفعول به؛ إذ سيُبني عليه الكلام في مبحث حذف المفعول به، وإن كانت كل المفاعيل بل جميع المتعلقات مشتركة معه في كون الغرض من ذكرها مع الفعل الإشعار بالتلبس كلٌ بحسبه، لكن خص البحث بالمفعول به لقربه من الفاعل، ولكثرة حذفه كثرة شائعة ، وسائر المتعلقات يعرف حكمها بالقياس عليه[1].

---

(1) انظر حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: 119/2.

ثم قال الناظم رحمه الله:

45	....	**وَإنْ يُرَدْ إنْ لم يكُنْ قدْ ذُكِرَا**
46	**النَّفْيُ مُطْلَقاً أوِ الْإثْباتُ لهْ**	**فذاكَ مِثْلُ لازمٍ في الْمَنْزِلهْ**
47	**مِنْ غَيْرِ تقْديرٍ وَإلا لَزِمَا**	**وَالحذْفُ للْبَيانِ فيما أُبْهِمَا**
48	**أوْ لِمَجِيءِ الذِّكرِ أوْ لِرَدِّ**	**تَوَهُّمِ السَّامِعِ غَيرَ الْقَصْدِ**
49	**أوْ هُوَ للتَّعْميمِ أوْ لِلْفاصِلهْ**	**أوْ هُوَ لِاسْتِهْجانِكَ الْمُقابَلهْ**

هذا هو المبحث الأول من مباحث الباب –وهو: حذف المفعول به– , وقد أشار الناظم أن للمفعولِ به المحذوفِ حالتين:

الحالة الأولى: أن يراد مجرد إثبات الفعل للفاعل أو نفيه عنه دون أي قصد للتعلق بمفعول أصلاً, وهنا يُنَزَّل الفعل المتعدي منزلة اللازم في عدم حاجته للمفعول,ومن أمثلته: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾," إذ ليس الغرض الذين يعلمون شيئاً مخصوصاً والذين لا يعلمون ذلك الشيء؛ بل المراد الذين وجدت لهم حقيقة العلم والذين لم توجد لهم إيماءً إلى أن من لا يفهم حقيقة الدين يعد ممن لا عقل له ولا علم له أصلاً كالجمادات أوكالبهائم بدليل: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] "[1]، وهذا هو ما عبر عنه الناظم بقوله (وإن يُرَدْ إن لم يَكُنْ قد ذكرا) إلى قوله: (من غير تقديرٍ), فقوله: (النفيُ) نائب فاعل لـ(يُرَد), وقوله (مطلقاً) أي من غير اعتبار تعلقه بمن وقع عليه أصلاً، وقوله (من غير تقدير) أي : لا يقدر مفعول في هذه الحالة .

الحالة الثانية: أن يحذف المفعول ويقصد تعلق الفعل بمفعول غير مذكور– عام أو خاص –, وهنا يلزم التقدير للمفعول, و هو ما أشار إليه الناظم بقوله (وإلا) أي: إن قصد تعلقه بمفعول غير مذكور (لزما) أي: لزم التقدير للمفعول

(1) مواهب الفتاح : 123/2.

بحسب القرائن، وأما قوله: (والحذف للبيان...) إلخ فهذا بيان لبعض دواعي حذف المفعول الذي قصد تعلق الفعل به،وقد ذكر الناظم ستة منها وهي:

الداعي الأول: الإيضاح بعد الإبهام، حذف مفعول المشيئة بعد لو كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٠ ، أصل الكلام : ولو شاء الله **إذهابَ** سمعهم...، لكن هذا الحذف سبب إبهاماً شوق السامع لمعرفة الجواب فلما جاء الإيضاح في قوله : ﴿ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ ﴾ تمكن ذلك الجواب في النفس.

الداعي الثاني: التصريح بإيقاع الفعل على المفعول إظهارا لكمال العناية بوقوع الفعل عليه حتى كأن المتكلم لا يرضى أن يوقعه على ضميره, وذلك كقول البحتري:

قد طلبنا فلم نجد لك في السُؤ   دُدِ والمجدِ والمكارمِ مِثْلا

فإنه حذف مفعول طلب -وهو (مِثلاً)- ليعلقه بالفعل (لم نجد) باسمه الصريح، وذلك لأن عدم وجدان المِثْلِ أشد في المدح من طلب المِثْلِ فكان التصريح بالمفعول مع الفعل الأدل على المدح مظهراً للعناية به وأنسب للمقام.

الداعي الثالث: منع توهم السامع -قبل إتمام الكلام- غير المراد، ومنه قول البحتري:

و كم ذدتَ عنِّي من تحاملِ حادثٍ   و سورةِ أيامٍ حززن إلى العظم[1]

فلو قال الشاعر حززن اللحم إلى العظم لتوهم السامع - قبل إتمام الكلام — أن المصيبة لم تصل إلى العظم، وهذا التوهم يخالف مقصود الشاعر من بيان عِظَمِ الشدة التي دفعها الممدوح عنه.

(1) تحامل حادث : ظلم حادث من حوادث الزمان، سورة أيام : شدتها.

الداعي الرابع: إرادة التعميم مع الاختصار, كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾؛ أي كل أحد.

الداعي الخامس: مراعاة الفاصلة, والفاصلة مصطلح له إطلاقات متعددة ، ويمكن أن يقال على سبيل التقريب : هو أخر الآية القرانية المقابل للسجع في النثر والقافية في الشعر[1]، ومن أمثلة تقديم المفعول لمراعاة الفاصلة قوله تعالى: ﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴿٣﴾ ﴾ فقد حذف مفعول قلى مراعاة للآيات في الفاصلة[2].

الداعي السادس: استهجان مقابلة السامع بالاسم الصريح للمفعول كقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ** ﴿٥١﴾ ﴾ حذف المفعول الثاني -وهو (إلهاً)- لشناعة ذكر اتخاذ العجل إلهاً.

ثم قال الناظم رحمه الله:

50 وَقَـدِّمِ الْمَفْعُـولَ أوْ شَـبيهَهُ   ردّاً علـى مَـنْ لم يُصِـبْ تَعْيينـهُ

هذا هو المبحث الثاني من مباحث الباب -وهو: أغراض تقديم المفعول به[3] وشبه المفعول به- وقد اكتفى الناظم بذكر غرض واحد من تلك الأغراض هو:

الرد على الخطأ في تعيين المفعول, كقولك زيدا عرفت لمن ظن أنك عرفت غيره

تنبيه:

---

(1) الخلاف طويل حول هذا المصطلح ، انظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 128/3 - 131، والفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي: 23- 30.

(2) التعليل بمراعاة الفاصلة مما دار حوله خلاف طويل بين أهل العلم, وليس هذا مقام بسطه.

(3) المراد بالمفعول عند الإطلاق المفعول به، انظر حاشية الدسوقي: 145/2.

يشمل شبيه المفعول المفاعيل الأخرى والجار والمجرور والظرف والحال و غيرها من معمولات الفعل.

فائدة:

كل ما ذكر من قبل من أغراض التقديم -سوى كون المقدم هو الأصل- تعد من أغراض تقديم المفعول, وكذلك ما سيأتي في باب القصر من دلالة التقديم لما حقه التأخير على التخصيص.

قال الناظم رحمه الله:

51- وَبَعْضَ مَعْمولٍ على بَعْضٍ كما

إذا اهْتمامٌ أوْ لِأصْلٍ عُلِمَا

هذا هو المبحث الثالث من مباحث الباب وهو: تقديم بعض المعمولات على بعض، وقد نبه الناظم على اثنين من دواعي تقديم بعض المعمولات على بعض:

الداعي الأول: كون الأصل تقديمه، كما لو قدم المفعول الأول على الثاني – مثلاً –.

الداعي الثاني: كون ذكره أهم,كقولك لضيفك الذي تحب أكله من صنف معين : " الثريدَ كل"، فأنت لا تقصد الحصر لأن المقام مقام ضيافة وإكرام لكنك تقصد الاهتمام بهذا الصنف للذته –مثلاً– .

فائدة (1):

الترتيب الأصلي في الجملة الفعلية[1]:

الفعل, الفاعل, المفعول به الأول, المفعول به الثاني, المفعول المطلق, ظرفا الزمان, الحال، المفعول لأجله.

---

(1) استفدت هذا الترتيب من " البلاغة العربية – أسسها وعلومها وفنونها- " : 1/ 352، وهناك آراء أخرى في الترتيب تنظر في كتب النحو.

الباب الخامس :

القصر

هذا هو الباب الخامس من أبواب علم المعاني, وهو أول الأبواب التي تعنى بالجملة عموماً, والقصر في اصطلاح البلاغيين هو: تخصيص شيءٍ بشيءٍ بطريق مخصوص[1], وقد انحصركلام الناظم في هذا الباب في ثلاث مسائل[2]:

المسألة الأولى : تقسيمات القصر.

المسألة الثانية: طرق القصر.

المسألة الثالثة: الإشارة إلى بعض مواضع وقوع القصر في الجملة.

52– الْقَصْرُ نَوْعانِ: حَقِيقيٌّ ، وذا

نَوْعانِ– والثَّانِيْ: إضافِيٌّ كَذَا

53–فَقَصْرُ صِفَةٍ على الموصوف

وَعَكْسُهُ مِنْ نَوْعِهِ المعروف

هذه هي المسألة الأولى من مسائل الباب وهي: تقسيمات القصر, وقد ذكر الناظم أن القصر نوعان:

الأول: قصر حقيقي: وهو ما اختص فيه المقصور بالمقصور عليه بحيث لايتجاوزه إلى غيره –أصلاً–، نحو: " لا يعلم الغيب إلا الله "؛ فقد خُصِّص علم الغيب بالله تعالى بحيث لا يتجاوزه إلى غيره كائناً من كان.

الثاني: قصر إضافي[3]: وهو ما اختص المقصور بالمقصور عليه بالإضافة[4] إلى شئ معين, نحو: "ما نجح من الطلاب إلا زيد"،فقد خُصِّصَ النجاح بزيد دون غيره

---

(1) مختصر المعاني:166/2،أما الدلالة على الحصر بغير الطرق التي ذكرها البلاغيون فلا تعد من الحصر عندهم فلا تدرس عندهم في هذا الباب، وسيأتي الكلام على طرق القصر عند البيت 54 – بإذن الله تعالى– .

(2) يلاحظ أن المسألتين الثانية والثالثة قد تداخلتا في كلام الناظم.

(3) يختلط هذا النوع عند الكثيرين بما يسمى القصر الادعائي– التنزيلي– وسيأتي الحديث في آخر الباب بإذن الله.

(4) هذا هو وجه تسميته بالإضافي.

من الطلاب، لكن هذا التخصيص لم يقصد به أنه لم ينجح أحدٌ سواه مطلقاً، بل المقصود تخصيصه بالنجاح من بين طلاب فصله أو مدرسته- مثلاً-؛ فالتخصيص في هذه الحالة تخصيص بالإضافة إلى شيء معين.

ثم أشار الناظم إلى أن كلاً من هذين النوعين ينقسم إلى قسمين:

1 – قصر صفة على موصوف بمعنى أن هذه الصفة لا توجد إلا في هذا الموصوف، نحو: "ما شاعر إلا زيد"؛ فصفة الشاعرية مقصورة على زيد منفية عن غيره.

2 - قصر موصوف على صفة بمعنى أن هذا الموصوف لايتصف إلا بهذه الصفة, نحو: "ما زيد إلا شاعر"، فالموصوف في المثال زيد، وقد أثبتت له صفة الشاعرية ونفيت عنه كل الصفات الأخرى.

تنبيه:

المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية أي المعنى القائم بالغير كالقيام والقعود ونحوهما لا الصفة المعروفة في علم النحو.

هذا، وقد أغفل الناظم تقسيمين من تقسيمات القصر، وهذا الإغفال مناسب للمبتدئ في طلب هذا العلم، لكن لما كان بعض الإخوة - وخاصة من غير المتخصصين- لا يرغبون في دراسة أكثر من كتاب في البلاغة ، مع كون هذين التقسيمين يذكران في كتب التفسير وشروح الحديث بحيث تمس الحاجة لمعرفتهما رأيتُ أن أشير إليهما باختصار:

التقسيم الأول:تقسيم القصر بالنظر إلى مطابقته للواقع:

ينقسم القصر بهذا الاعتبار إلى قسمين:

1/ قصر تحقيقي: وهو ما كان النفي فيه عما سوى المقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع.

2/ قصر ادعائي – ويسمى تنزيلياً –أيضاً– -: وهو ما كان النفي فيه عما سوى المقصور عليه على سبيل الادعاء والمبالغة[1]،وهو من باب تنزيل الموجود منزلة المعدوم[2] –.

ومن الأمثلة التي جمعت هذين النوعين من القصر- التحقيقي والتنزيلي- قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، قال ابن عاشور: " وأعيد لفظ ﴿إِيَّاكَ﴾ في الاستعانة دون أن يعطف فعل ﴿نَسْتَعِينُ﴾ على ﴿نَعْبُدُ﴾ مع أنهما مقصودان جميعاً كما أنبأ عنه عطف الجملة على الجملة لأن بين الحصرين فرقاً؛ فالحصر في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حقيقي، والقصر في ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ادعائي[3] فإن المسلم قد يستعين غيرَ الله تعالى؛كيف وقد قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]؟ ولكنه لا يستعين في عظائم الأمور إلا بالله ولا يعد الاستعانة حقيقة إلا الاستعانة بالله تعالى "[4].

التقسيم الثاني:تقسيم القصر بالنظر إلى حال المخاطب:

ينقسم القصر بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

1/ قصر قلب: وذلك إذا كان المخاطب يعتقد عكس الحكم الذي أثبته المتكلم، نحو قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٢٧﴾ [البقرة: ٢٧]، لأنهم اعتقدوا أنهم رابحون، فجاء القصر[5] بعكس ما يعتقدون[6].

---

(1)لذلك سمي ادعائياً.

(2)ولذلك سمي تنزيلياً.

(3) الأحسن تسميته تنزيلياً خاصة في القرآن.

(4) التحرير والتنوير : 186/1.

(5) القصر مستفاد في الآية من تعريف جزأي الجملة.

(6) انظرالتحرير والتنوير: 372/1.

2/ قصر إفراد: وذلك إذا كان المخاطب يعتقد الاشتراك في الحكم بين من أثبته له المتكلم وغيره، نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ص: ٦٥]باعتبار الخطاب للمشركين إذ القصر هنا مقابل لقول المشركين في أول السورة ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص: ٥][1] .

3/ قصر تعيين: وذلك إذا كان المخاطب متردداً فيمن ثبت له الحكم، نحو قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ يوسف: ٥١" وتقديم اسم الزمان للدلالة على الاختصاص[2]، أي الآن لا قبله للدلالة على أن ما قبل ذلك الزمان كان زمن باطل وهو زمن تهمة يوسف – عليه السلام – بالمراودة، فالقصر قصر تعيين إذ كان الملك لا يدري أي الوقتين وقت الصدق أهو وقت اعتراف النسوة بنزاهة يوسف – عليه السلام – أم هو وقت رمي امرأة العزيز إياه بالمراودة "[3]

ثم قال الناظم رحمه الله:

54– طُرُقُهُ النَّفْيُ والِاسْتِثْنَا هُما

وَالْعَطْفُ والتَّقْدِيمُ ثُمَّ إنما

55– دلالَةُ التَّقْدِيمِ بِالْفَحْوَى وما

عَدَاهُ بالْوَضْعِ،.........

هذه **ثاني المسائل** التي تكلم عليها الناظم وهي طرق القصر، وقد تضمن كلامه عليها مطلبين:

المطلب الأول: ذكر طرق القصر.

---

(1) انظر التحرير والتنوير: 295/23.

(2) فالقصر في الآية مستفاد من تقديم ما حقه التأخير.

(3) التحرير والتنوير: 291/12.

المطلب الثاني: الإشارة إلى بعض الفروق بين طرق القصر.

أما **المطلب الأول** فقد أشار الناظم فيه إلى أربعة من تلك الأدوات وهي:

1- النفي مع الاستثناء: وإليه أشار بقوله (النفي والاستثنا)، وقوله (هُما) أي هما معاً طريق واحد، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾[النمل: ٧٥].

2- العطف بِـ: (لا)،و(بل) و(لكن)[1]، فمثال العطف بلا: الذي حضر عمرو لا زيد، ومثال العطف ببل: ما حضر عمرو بل زيد، ومثال العطف بلكن: ما حضر عمرو لكن زيد.

3- تقديم ماحقه التأخير،نحو قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: ٥].

4- إنما، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النساء: ١٧].

تنبيه : اقتصر الناظم على ذكر أربعة من طرق القصر، وقد ذكر من قبل في باب المسند إليه أن ضمير الفصل يفيد الحصر، وذلك في قوله في البيت (34) : " والفصل للتخصيص"، ومر معنا عند شرح البيت (43) أن تعريف المسد يفيد الحصر؛ فصارت طرق القصر عند البلاغيين ستةً.

و أما **المطلب الثاني** – وهو الإشارة إلى بعض الفروق بين طرق القصر[2] –؛ فقد أشار الناظم إلى فرقين من هذه الفروق:

---

(1) ثمت فروق بين : (لا)، و(بل)، و(لكن) تنظر في شروح التلخيص وغيرها.

(2) ومسألة الفروق بين طرق القصر من أهم ما يطرقه البلاغيون في هذا الباب، ويحتاج إلى مزيد بحث وإضافة من الباحثين المعاصرين.

الفرق الأول: دلالةُ هذه الطرق على القصر دلالةٌ وضعية – أي بأصل الوضع- باستثناء التقديم فإن دلالته تستفاد من القرائن والسياق[1].

وأما الفرق الثاني فقد أخر الناظمُ الكلامَ عليه إلى آخر الباب.

55-..................

.............،وَأَيْضاً مِثْلَما

56-الْقَصْرُ بَيْنَ خَبَرٍ والمبتدا

يكونُ بينَ فاعلٍ وما بدا

57- منه،........

هذه هي **المسألة الثالثة في الباب** -وهي: الإشارة إلى بعض مواضع وقوع القصر في الجملة-, وقد ذكر الناظم موضعين من تلك المواضع، وهي:

الموضع الأول: بين الخبر والمبتدأ, نحو: "ما زيد إلا شاعر"، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[آل عمران: ١٤٤].

الموضع الثاني: بين الفعل و الفاعل, نحو: "ما قام إلا زيد"، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾[يونس: ٨٣].

فقول الناظم : (وأيضاً مثلما القصر بين خبرٍ والمبتدا) أي كما أن القصر يكون بين المبتدأ والخبر يكون:(بين فاعل وما بدا منه) أي بين الفاعل وما صدر من الفاعل وهو الفعل.

ثم قال الناظم رحمه الله:

57- ...، ومَعْلومٌ[2] وقَدْ يُنَزَّلُ

مَنزِلَةَ الْمَجْهولِ أوْ ذا يُبْدَلُ

(1) وما يستفاد بالوضع أصرح وأقوى مما يستفاد بالقرائن.

(2) في بعض نسخ المنظومة: (فمعلوم)، وما أثبتُّه أنسب من جهة المعنى وهو مثبت في نسخة.

هذا هوالفرق الثاني بين طرق القصر، وسأقسمه -تسهيلاً للفهم –إلى قاعدتين:

القاعدة الأولى:

الأصل في القصر بـ:(إنما) ان يكون لأمر يعلمه المخاطب ولا ينكره، نحو قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠], فأخوة المؤمنين معلومة خاصة وأن السورة مدنية، والأصل في القصر بالنفي والاستثناء أن يكون لأمر ينكره المخاطب أو يجهله ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الصافات: ٣٥]؛ فمن الواضح في الآية أن المخاطبين مشركون منكرون لهذه الحقيقة العظيمة.

القاعدة الثانية:

قد يُخرجُ عن الأصل المذكور في القاعدة الأولى **فينُزَّل المعلوم منزلة المجهول** لنكتة وعندها يكون القصر بالنفي والاستثناء، نحو قوله تعالى:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]،"نُزِّلَ استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه "[1]؛ فلذا استخدم معهم الطريق المناسب للأمر الذي ينكره المخاطب رغم أنه في الحقيقة أمرٌ معلوم؛ **وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم** لنكتة وعندها يكون القصر بـ:(إنما)، نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١]؛ فرغم أن دعواهم عدم

---

(1) تلخيص المفتاح : 51، والتمثيل بالآية مبني على ما روي من نزول الآية يوم أحد بعد إشاعة قتل النبي صلى الله عليه وسلم،وهي روايات معظمها شديدة الضعف وأصحها ما روي بسند صحيح عن قتادة مرسلاً، انظر تفسير الطبري: 252/7-259، الصحيح من أسباب النزول للحميدان: 97، الاستيعاب في بيان الأسباب: 302/1 -306.

الإفساد غير مسلمة عند المخاطبين من المؤمنين إلا أنهم استعملوا (إنما) لإظهار أن إصلاحهم أمر ظاهر لا ينكره أحد.

فقول الناظم (ومعلوم) [1] إشارة إلى أن الأمر الذي يراد إثباته عن طريق القصر قد يكون أمراً معلوماً للمخاطب – وعندها يستخدم معه طريق القصر المناسب للمعلوم وهو: (إنما) –،وقوله (وقد يُنزَّلُ منزلةَ المجهول) إشارة إلى أن هذا الأمر المعلوم قد ينزل منزلة المجهول، وقوله (أوذا يبدل) إشارة إلى تنزيل المجهول منزلة المعلوم.

---

(1) يلاحظ أن إشارة الناظم موجزة جداً حيث لم بين أن (إنما) للأمر المعلوم، وأن النفي مع الاستثناء للأمر المجهول.

الباب السادس

الإنشاء

الإنشاء عند البلاغيين هو: ما لا يحتمل الصدق والكذب؛ وضده الخبر وهو : ما يحتمل الصدق والكذب لذاته[1]،وقد انحصر كلام الناظم في هذا الباب في مقدمة ومسألتين:

المسألة الأولى: الكلام على الإنشاء الطلبي.

المسألة الثانية: مجيء كل من الخبر والإنشاء في موضع الآخر.

قال الناظم رحمه الله:

58- يَستدعي الانشاءُ إذا كان طلبْ

ما هو غيرُ حاصلٍ ،........

يين الناظم في هذا البيت أنَّ **الإنشاء الطلبي** يستدعي حصول شيء غير واقع وقت الطلب، والغرض من هذه المقدمة[2] " التمهيدُ لبيان المعاني المتولدة من صيغ الطلب المستعملة في مطلوب حاصل"[3]؛ لأن معظم مسائل الباب إنما تدور حول خروج الإنشاء الطلبي بصوره المختلفة عن معانية الأصلية.

تنبيه: ما ذكره الناظم هو **أحد قسمي الإنشاء** وهو الذي يعتني به البلاغيون في هذا الباب،وأما **القسم الثاني فهو الإنشاء غير الطلبي** وهو: الإنشاء الذي **لا**

---

(1) قد تعرض للخبر أمور تجعله صادقاً غير محتمل للكذب، كما قد تعرض له أمور تجعله كاذباً لا يحتمل الصدق، ولذلك زاد بعض البلاغيين قيداً في تعريف الخبر فقالوا (هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته)، وبعضهم لايذكر هذا القيد ويقول: الخبر من حيث هو يحتملهما، وإن خرج بعض أفراده لأمر خارج عنه، انظر: شرح عقود الجمان للسيوطي- عند الكلام في بداية علم المعاني على مسألة الصدق والكذب-:29/1.

(2) الناظم متابع للتلخيص في هذه المقدمة، انظر التلخيص: 52.

(3) حاشية الدسوقي: 237/2.

يتضمن طلب حصول شيء غير واقع وقت الطلب كالقسم وصيغ العقود، وليست للبلاغيين عناية به[1].

ثم قال الناظم رحمه الله:

58-........................

................، والمنتخب

59- فيْهِ التَّمَنِّيْ ولَهُ الموضوعُ

(ليت) ، وإن لم يكن الوقوعُ

60- وَ(لَوْ) وَ(هَلْ) مِثْلُ (لَعَلَّ) الداخلهْ

فيهِ،.................

بدأ المؤلف هنا **بالكلام على أنواع الإنشاء الطلبي**[2] **بالتفصيل**, وذكر في هذا المقطع النوع الأول -وهو التمنى-، والتمني: هو طلب المحبوب الذي لاطمع فيه بأن يكون غير ممكن أو بعيد الوقوع, وقد تضمن كلام الناظم حول التمني ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التنبيه على أنه لا يشترط في التمني إمكان المُتَمَنَّى وهو ما أشار إليه بقوله (و إن لم يكن الوقوع), وقد سبقت الإشارة إلى هذا في تعريف التمني

المبحث الثاني: الإشارة إلى الأداة الأصلية الوضعية للتمني وهي (ليت).

المبحث الثالث: الإشارة إلى أدوات أخرى تأتي للتمني, وهي:

---

(1) نبه الدكتور : عبد المحسن العسكر في رسالته للماجستير – وهي غير مطبوعة-: (أسلوب الإنشاء في سور المفصل)أنَّ من بين صور الإنشاء غير الطلبي ما يستحق العناية من الناحية البلاغية، وهو أسلوب القسم، وقد اعتنى به في الجانب التطبيقي من رسالته حفظه الله.

(2) وهي التمني ، والاستفهام ، والأمر، والنهي ، والدعاء وسيفصل فيها الناظم على هذا الترتيب.

1 – (لو)، وسر التمني بها بدلاً من الأداة الأصلية (ليت):"الإشعار بعزة متمناه حيث أبرز في صورة ما لا يوجد؛ لأن لو بحسب أصلها حرف امتناع لامتناع"[1] ،ومن أمثلتها: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾الشعراء: ١٠٢ ،

2 – (هل)، وسر التمني بها بدلاً من الأداة الأصلية (ليت) هو:" إبراز المتمنى لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لاجزم بانتفائه"[2]، ومن أمثلتها ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ الأعراف: ٥٣،

3 – لعل، وسر التمني بها بدلاً من الأداة الأصلية (ليت) هو: الأشعار بأن المرجو شبيه بالمتمنى في البعد[3] ،ومن أمثلتها: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ غافر: ٣٦ – ٣٧.

وقول الناظم (لعل الداخلهْ فيه)

أي الداخلة في حكم التمني -وهي في الأصل للترجي-.

ثم قال الناظم رحمه الله:

60–........................

..........، والاستفهامُ، والموضوعِ له

61–(هَلْ)(هَمْزَةٌ)(مَنْ)(ما)وَ(أيٌّ)(أينا)

(كم) ، (كيف)، (أيان)، (متى)، و(أنى)

---

(1) حاشية الدسوقي:241/2.

(2) مختصر المعاني: 240/2، وفي هذه النكتة ملاحظة للمعنى الأصلي لـ(هل) كما لا يخفى.

(3) انظر شروح التلخيص: 245/2، وانظر نكتة أخرى في دلالات التراكيب:302.

هذا هو النوع الثاني من أنواع الإنشاء الطلبي–وهو الاستفهام–

والاستفهام هو: طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة[1]،

وقد تضمن كلام الناظم حول الاستفهام ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ذكر الأدوات الموضوعة للاستفهام.

المبحث الثاني: الإشارة إلى ما يطلب بتلك الأدوات.

المبحث الثالث: الإشارة إلى بعض المعاني التي يخرج إليها الاستفهام.

أما المبحث الأول –وهو ذكر الأدوات الموضوعة في اللغة للاستفهام– , فقد عددها الناظم في هذا البيت، وسيأتي الحديث عن المراد بها.

ثم قال الناظم رحمه الله:

62– فَ(هَلْ) بِهَا يُطْلَبُ تَصْديقٌ وما

(هَمْزاً) عَدَا تَصَوُّرٌ وَهْيَ هُما

هذا هو المبحث الثاني من مباحث الاستفهام – وهو: الإشارة إلى ما يطلب بأدوات الاستفهام– ، ولا بد قبل شرح كلام الناظم من بيان المراد بكل من التصور والتصديق

فالتصديق هو: إدراك النسبة, نحو: "أقام زيد؟"؛ فالسؤال هنا متوجه إلى نسبة القيام إلى زيد.

والتصورهو: إدراك المفرد, نحو: "أماءً شربت أم عصيرًا؟"؛ فالسؤال هنا متوجه إلى معرفة الفرد المشروب.

ثم إن الناظم بين أن الأداوت باعتبار ما يطلب بها على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أداة يطلب بها التصديق فقط: وهي (هل), وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله: (فهل بها يطلب تصديق).

---

(1) انظر مختصر المعاني :246/1،و مواهب الفتاح وحاشية الدسوقي في نفس الموضع.

القسم الثاني: **أدوات يطلب بها التصور فقط**: وهي كل الأدوات غير الهمزة -وغير هل لأنها ذكرت من قبل- وقد أشار الناظم إلى هذا القسم بقوله الناظم بقوله (وما همزا عدا) أي ما سوى الهمزة من الأدوات وغير (هل) المذكورة سابقاً, ف: (ما) اسم موصول مبتدأٌ خبرُه (تصورٌ)، و جملة(همزاً عدا) صلة الموصول لا محل له من الإعراب.

القسم الثالث: **أداة يطلب بها التصديق والتصور**: **وهي الهمزة**، وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله: (وهي) أي الهمزة يطب بها (هما) أي كلا الأمرين التصديق والتصور.

تنبيه:

الهمزة هي أم باب الاستفهام, وإنما أخرتها تبعا للناظم, والظاهر أنه أخرها لضرورة النظم النظم.

فائدة:

الأدوات المختصة بالتصور تختلف من جهة أن المطلوب بكل منها تصور شيء معين ؛ ف:

1 – من, يسأل بها عن العاقل نحو: من أبوك؟

2 - ما, يسأل بها عن أحد أمرين:

أ - شرح الاسم باسم أشهر منه نحو: ما القسورة؟

ب - شرح حقيقة المسمى نحو: ما المروءة ؟

3 – أي, و يسأل بها عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما,نحو: أي الطعام أحب إليك.

4– أين, يسأل بها عن المكان, نحو: أين زيد؟

5 - كم, يسأل بها عن العدد, نحو: كم عمرك ؟

6 - كيف, يسأل بها عن الحال , نحو كيف جئت؟

7 – أيان, يسأل بها عن الزمان المستقبل, نحو: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ النازعات: ٤٢.

8 – متى, يسأل بها عن الزمان نحو: متى تسافر؟

9 – أنَّى, و تأتي لمعنيين:

المعنى الأول: بمعنى: كيف, ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

المعنى الثاني: بمعنى من أين,نحو: نحو: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

ثمَّ قال الناظم رحمه الله:

63– وَقَدْ لِلاسْتِبْطاءِ والتَّقريرِ

وغيرِ ذا يكون والتَّحْقيرِ

هذا هو المبحث الثالث من مباحث الاستفهام–وهو: الإشارة إلى بعض المعاني التي يخرج إليها الاستفهام[1]–, وقد ذكر الناظم ثلاثة من تلك المعاني، وهي:

1 – الاستبطاء: كقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

2 – التقرير: وهو حمل المخاطب على الإقرار، نحو: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٧].

3 – التحقير: نحو قولك: من زيد؟ –لشخص تعرفه وتريد التقليل من شأنه–.

(1) هذا هو المبحث الأهم في دراسة الاستفهام عند البلاغيين، انظر دلالات التراكيب: 215.

تنبيه:

أشار الناظم بقوله (وغير ذا) إلى أن هناك معاني أخرى قد يخرج الاستفهام إليها مثل التعجب، والتنبيه على الضلال، والوعيد، وغيرِها.

فائدة[1]:

يمكن تقسيم الاستفهام الخارج عن معناه الأصلي إلى قسمين كبيرين:

1 – التقرير: وقد مضى الحديث عنه.

2 – الإنكار: وهو نوعان:

الأول: إنكار توبيخي: على أمر وقع وهو مما لا ينبغي أن يقع, نحو قولك لعاص: أعصيت ربك ؟ ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤ ﴾[الزمر: ٦٤]

الثاني: إنكار تكذيبي: لأمر ادُّعيَ وقوعُه وهو لم يقع، نحو: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝٤٠ ﴾[الإسراء: ٤٠].

---

(1) هذه الفائدة مستفادة من التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم للدكتور عبد العظيم المطعني : 5/1.

فوائد

وتمارين

وأفكار

لتكوين الملكة

أولاً: التمني:

فائدة:

قال الدكتور محمد أبو موسى: " وطبيعة المعنى في باب التمني مما يجعله من الأساليب ذات الوقع والتأثير لأنك في مواقعه تجد نفساً ظَمِئَةً إلى شئ، ثم إن ظمأها ظمأ لا يروى أو يستبعد ريُّه"[1].

تمرين(1)[2]:

بين أوجه الجمال في أسلوب التمني في الأمثلة الآتية مستعيناً بما سبق من دروس[3]، مع بيان سر التعبير بغير الأداة الأصلية:

1- قال صريع الغواني :

واهاً لأيام الصبا وزمانه   لو كان أسعف بالمقام قليلا

2- وقال أبو الطيب في رثاء أخت سيف الدولة :

فليت طالعة الشمسين غائبة   وليت غائبة الشمسين لم تغبِ

3- وقال آخر :

أيا منزلَيْ سلمى سلامٌ عليكما   هل الأزمنُ اللائي مضين رواجعُ؟

للاستزادة:

ورد أسلوب التمني في كلام الكفار في الآخرة في آيات متعددة، اجمع الآيات وحللها بلاغياً مركزاً على بيان الحال النفسية لهم يوم الحسرة –القيامة-.

ثانياً: الاستفهام:

فائدة :

---

(1) دلالات التراكيب:195، ولينظر كلامه في هذا المبحث كاملاً فإنه نفيس.

(2) الأمثلة مستفادة من كتاب : "البلاغة " لعمر الكاف: 126-127.

(3) كتنكير المسند إليه وتعريفه بطريق التعريف المختلفة ...إلخ.

قال الدكتور محمد أبو موسى:" ولأننا لا نستطيع في كثير من الصور ضبط معاني الاستفهام في شيء محدد نلجأ إلى ذكر جملة معانٍ حول الاستفهام الواحد فنقول – مثلاً –في قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [العنكبوت: ٢]إنه إنكار وتوبيخ وعتاب وتعجب...، وإننا نحاول السيطرة عليه بمثل هذه الأوصاف الكثيرة الناقصة التي نتوهم أنها تحيط به ، ولكنها لا تستخرج منه إلا بعض إشاراته أو لا تصف منه إلا ما يظهر ، وترى ذلك كثيراً في الأساليب الثرية والسياقات الحية"(1).

تمرين (2)(2):

بين المراد بالاستفهام في الأمثلة الآتية مع إظهار أوجه الجمال فيها مستعيناً بما سبق من دروس(3):

1–قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾النور: ٢٢

2– وقال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾النمل: ٨٣ – ٨٥

3– وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾الأنعام: ٣٠

---

(1) دلالات التراكيب: 217 – 218، ولينظر كلامه في هذا المبحث كاملاً فإنه نفيس.

(2) جل هذه الأمثلة مستفادة من (علوم البلاغة) للمراغي.

(3) كتنكير المسند إليه وتعريفه بطريق التعريف المختلفة ...إلخ.

4- وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾ الفرقان: ٤١

5- ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يوسف: ٨٨ - ٩٢

للاستزادة:

راجع تحليل الدكتور محمد أبو موسى لقوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ التكوير: ٢٦ في (دلالات التراكيب) : 220 فما بعدها.

تتمة

باب

الإنشاء

قال الناظم رحمه الله:

64 وَالْأَمْرُ وهْوَ طَلَبُ اسْتِعْلاءِ وَقَـدْ لأنْـواعِ يكـونُ جـائيْ

هذا هوالنوع الثالث من أنواع الإنشاء الطلبي وهو الأمر، وقد اشتمل كلام الناظم عنه على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الأمر وهو: طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء، وهذا ما أشار إليه الناظم بقوله: (والأمر وهو طلب استعلاء)

المبحث الثاني: الإشارة إلى أن الأمر قد يخرج عن معناه الأصلي, ومن أمثلة ذلك مجيئه للتهديد, نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ فصلت: ٤٠]، وقد اعتنى علماء أصول الفقه عناية كبيرة بمبحث الأمر وخروجه عن معناه الأصلي، فينبغي لطالب البلاغة العربية مراجعة كلامهم.

تنبيه:

الأصل بقاء كل أسلوب من أساليب الإنشاء الطلبيِّ على معناه الأصلي، والقول بخروجه إلى معنى آخر يحتاج إلى قرينة.

ثم قال الناظم رحمه الله:

65 – والنهي وهو مثله بـ: (لا) بدا

هذا هو النوع الرابع من أنواع الإنشاء الطلبي وهو النهي, وقد انحصر كلام الناظم عنه في مبحثين:

المبحث الأولى: الإشارة إلى أنه كالأمر في الاستعلاء: و بالتالي فهو: طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء.

المبحث الثاني: الإشارة إلى صيغته: وهي الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية, وقد أشار إلى هذا الناظم بقوله (بلا بدا) أي ظهر فإن النهي يعرف بلا الناهية التي تسبق الفعل[1].

هذا وقد اعتنى علماء أصول الفقه عناية كبيرة بمبحث النهي وخروجه عن معناه الأصلي، فينبغي لطالب البلاغة العربية مراجعة كلامهم.

قال الناظم رحمه الله:

65 .... وَالشَّرْطُ بَعْدَها يجوزُ، ....

هذا تنبيه[2] ختم الناظم به حديثه عن هذه الأنواع الأربعة من أنواع الإنشاء الطلبي: (التمني, الاستفهام, الأمر, النهي), حيث نبه أنه يجوز تقدير الشرط بعدها, نحو: لا تماش الفسقة أساعدْك في الحصول على وظيفة.

قال الناظم رحمه الله:

65- ....

.... ، **والنِّدا**

66- وَقَدْ لِلِاخْتِصاصِ والْإغْراءِ

تجيء،..........

هذا هو النوع الخامس من أنواع الإنشاء الطلبي وهو النداء، وهو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو، وقد أشار الناظم في حديثه عنه إلى مسألة واحدة وهي: خروج النداء عن معناه الأصلي, فمن المعاني التي يخرج إليها النداء:

1 - الاختصاص: نحو: " أنا أفعل أكرم الضيف أيها الرجل" ؛ ف:"أيها الرجل" في المثال ليست نداء للرجل بل هو إشارة من المتكلم إلى نفسه، والمعنى: أنا أكرم الضيف متخصصا من بين الرجال بالإكرام .

---

(1) ويحتمل أن يكون (بدا) أي بدأ فأن جملة النهي تبدأ ب:(لا)، والله أعلم.

(2) هذه متابعة من الناظم للقزويني، انظر التلخيص: 56.

تنبيه:

لا بد من التنبه هنا إلى أن المقصود بالرجل هنا المتكلم لا المخاطب فكأن المتكلم يفخر بنفسه أو يستعطف أو غير ذلك مما يظهر من خلال السياق .

2 – الإغراء، نحو قولك: "يا مظلوم طالب بحقك"

ثم قال الناظم رحمه الله:

66 ....**ثُمَّ مَوضعَ الْإنْشاءِ**

67 **قَدْ يَقَعُ الْخَبَرُ للتَّفاؤلِ والْحِرْصِ أوْ بِعكْسِ ذا تأمَّلِ**

المسألة الثالثة: مجيء كل من الخبر والإنشاء في موضع الآخر:

وقد تضمنت هذه المسألة مبحثين:

المبحث الأول: وقوع الخبر في موضع الإنشاء وذلك لأغراض منها:

1 – التفاؤل بحصول الخبر؛ كقولك عن ميت: رحمه الله.

2 – إظهار الحرص على وقوع الخبر؛ كقول المدرس قبل الشروع في الدرس: " لا أسمع صوتا وأنا اشرح".

وقد عبر الناظم عن هذا بقوله (ثم موضعَ الإنشاء...) إلخ ف(موضع) مفعول به مقدم ل(يقع).

المبحث الثاني: وقوع الإنشاء في موضع الخبر[1]، وهو ما أشار إليه الناظم بقوله (أو بعكس ذا) كقوله تعالى حكاية عن هود: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي

([1]) لم يذكر هذه المسألة القزويني، وهي موجودة عند السكاكي في مفتاح العلوم: 323، 326-327، وهذه من المسائل القليلة التي ذكرها الناظم وليست في التلخيص، والمقام –كما مر غير مرة – مقام تقرير لمسائل العلم للطالب المبتدئ لا مقام تحرير لها لأن ذلك يطلب في مرحلة لاحقة، والله أعلم .

بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ [هود: ٥٤]، والنكتة الاحتراز عن مساواة شهادتهم بشهادة الله[1].

([1]) انظر بغية الإيضاح – آخر باب الإنشاء -: 276/2.

فوائد

وتمارين

وأفكار

لتكوين الملكة

أولاً: الأمر:

فائدة(1):

" قالوا: و قد يكون الأمر للإثارة و التهييج و الإلهاب، و ذلك حين يتوجه إلى المأمورِ الواقعِ منه الفعلُ و الذي لا يتصور أن يكون منه خلافه، كما في قوله تعالى :﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾هود: ١١٢... و قالوا –أيضاً-: إنه يراد به الاستمرار– و هذا واضح–، ولكننا نلمح في هذه الأساليب معنى آخر يضاف إلى هذا، و هو الإشارة إلى بسطة سلطان الربوبية و غلبتِها و تفردِها بالأمر و النهي، و أن البشرية في أسمى صورها –وهي النبوة– تُؤمرُ و تُنهى، و هذا تعميق للفرق بين الألوهية والنبوة، و بذلك يضمن القرآن نقاء عقيدة الوحدانية لهذه الأمة " [1]

فكرة لتكوين الملكة:

من لوازم الأمر[2] في أصل الوضع: عدم وقوع المأمور به بعد إيجاب المطلوب، الرضا به، قدرة المأمور على الامتثال، إمكانية وقوع المطلوب، ولعل مما يعينك –أيها القارئ الكريم– على التأمل في أسلوب الأمر في الكلام البليغ أن تتذكر هذه اللوازم.

للاستزادة:

هل يمكنك استخراج لوازم أخرى غير مذكورة؟

تمرين(1)[3]:

تأمل في أسلوب الأمر فيما يأتي مراعياً النظر في السياق، ثم اكتب في حدود ثلاثة أسطر ما شعرت به من المعاني أثناء التأمل:

---

(1) دلالات التراكيب:253

(2) تذكر هذه اللوازم عند الكلام على وجه خروج الأمر عن معانيه الأصلية في شروح التلخيص وغيرها، لكن يمكن توظيفها للتأمل العميق لأسلوب الأمر.

(3) أكثر الأمثلة مأخوذة من كتاب علوم البلاغة للمراغي.

1/﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨ ﴾ الحجر: ٤٥ – ٤٨]

2/﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠ ﴾ إبراهيم: ٢٨ – ٣٠

ٱلرَّحِيمِ /﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٠ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ٦١ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ٦٢ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ٦٣ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦ ﴾ [طه: ٦٠ – ٧٦]

4/أريقي الدمع واجتنبي الهجوعا وصوني شمل وجدك أن يضيعا

وقولي إن كهف بني لؤي غدا بالشام منجدلاً صريعا

للاستزادة:

قارن بين الأمر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠ ﴾ فصلت: ٤٠ وقوله صلى الله عليه وسلم " لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ -أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ- "[1]، ثم راجع ما كتبه الدكتور: محمدأبو موسى حول الآية والحديث في دلالات التراكيب:248-250.

ثانياً:النهي:

تمرين(2):

حاول معرفة لوازم النهي في ضوء ما عرفته من لوازم الأمر.

تمرين(3):

تأمل في أسلوب النهي فيما يأتي مراعياً النظر في السياق، ثم اكتب في حدود ثلاثة أسطر ما شعرت به من المعاني أثناء التأمل:

1/﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧ ﴾ التحريم: ٧

2/﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ ﴾ آل عمران: ٨

3/﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ الزمر: ٥٣

(1) متفق عليه ، وهذا لفظ البخاري (3983).

ثالثاً: النداء:

" و عين البلاغي كلِفةٌ دائماً بالأسرار المعنوية وراء ضروب الاستعمال؛ فلا يرضيها القول بأن الشعراء نادوا البرق و السحاب و الديار و الخرائب، و لا بأن أكثر أدوات النداء وروداً في القرآن هي كذا، إلى آخر ما قدمنا من أفكار وملاحظات هي في طبيعتها ملاحظات تابعت وحددت و لكنها لم تفسر .

والذي يدخل في مجال الدراسة البلاغية أن تنظر –مثلاً– في نداء القبر في قول الحسن بن مطير:

فتىً عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

أيا قبر معْنٍ كنت أول حفرة ... من الأرض خطت للسماحة مضجعا

و يا قبر معن كيف واريت جودة ... و لو كان حيا ضقت حتى تصدعا

و نتعرف على ما وراء هذا النداء من ذهول جعل للكلام مذاقاً حسناً، و كشف عن قلب مستفَزٍّ مكروب أثقلته وطأة الشكل ، فتوارت في رؤيته حدود الأشياء، و صار ينادي مالا ينادي ، و يسائل من لا يجيب "[(1)]

تمرين(4) [(2)]:

تأمل في أسلوب النداء فيما يأتي مراعياً النظر في السياق ، ثم اكتب في حدود ثلاثة أسطر ما شعرت به من المعاني أثناء التأمل:

1/أيها القلب قد قضيت مراماً ... فإلام الولوع بالشهوات

2/أيا شجر الخابور مالك مورقاً ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

3/يا ناق سيري عنقاً فسيحا ... إلى سليمان فنستريحا

4/يا ليلة لست أنسى طيبها أبداً ... كأن كل سرور حاضر فيها

---

(1) دلالات التراكيب:263-264.

(2) الأمثلة مستفادة من جواهر البلاغة للهاشمي.

البابُ السَّابعُ :

الفصل والوصل

الباب السَّابعُ : الفصل والوصل[1]

الفصل: هو ترك العطف بين الجمل, نحو: "ادرس البلاغة, إنها مفيدة".

الوصل: هو العطف بين الجمل بالواو, نحو: "محمد مجتهد, وخالد مهمل".

وقد تضمن كلام الناظم في هذا الباب مسألتين:

المسألة الأولى: بيان مواضع الفصل والوصل.

المسألة الثانية: ترك وذكر الواو مع الجملة الحالية.

قال الناظم رحمه الله:

68- إن نزلت ثانية من ماضيهْ

كنفسها، أو نزلت كالعاريهْ

69- فافصل، وإن توسطت فالوصل

بجامع أرجح،.............

هذه هي المسألة الأولى في الباب وهي: بيان مواضع الفصل والوصل[2]، وقد أشار الناظم فيها إلى حالتين من حالات الفصل هما:

1/أن تكون الجملة الثانية كأنها نفس الجملة الأولى[3]، ويدخل تحت هذه الحالة صورتان هما: (كمال الاتصال)، و (شبه كمال الاتصال).

2/أن تكون الجملة الثانية كأنها منقطعة عن الجملة الأولى[4]، ويدخل تحت هذه الحالة صورتان هما: (كمال الانقطاع)، و(شبه كمال الانقطاع).

ثم أشار إلى حالة من حالات الوصل وهي:

---

(1) بعد أن وضعتُ المتن في بداية الشرح اطلعت على روايات أخرى للمنظومة، وبناء عليه غيرت في بعض الكلمات عند ذكرها في الشرح.

(2) سأشرح المواضع إجمالاً ثم أعيد شرحها تفصيلاً.

(3) سر الفصل أن العلاقة بين الجملتين قوية لا تحتاج إلى ربط بحرف العطف.

(4) سر الفصل شدة التباين وانعدام العلاقة بين الجملتين.

أن تكون العلاقة بين الجملة الثانية و الجملة الأولى متوسطة ، وتسمى هذه الحالة : (التوسط بين الكمالين).

فقول الناظم:(إن نزلت ثانية) أي جعلت الجملة الثانية(كنفسها) أي كأنها نفس الجملة الأولى، وقوله (أو نزلت) أي الجملة الثانية (كالعاريهْ) أي كالمنقطعة عن الجملة الأولى(فافصل) أي عليك أن تفصل في الحالتين المذكورتين، و أما قوله (وإن توسطت فالوصل ...) فهي إشارة إلى حالة الوصل، وأما قوله (بجامع) فهي إشارة إلى اشتراط وجود جامع بين الجملتين، وقوله (أرجح) يشعر بجواز الوصل وليس كذلك بل الوصل متعين في هذه الحالة.

وبهذا يتضح أن الناظم أشار إلى مواضع واحد من مواضع الوصل وهي: (التوسط بين الكمالين) ، كما أشار إلى أربع مواضع للفصل هي : (كمال الاتصال)، و(شبه كمال الاتصال) ، و(كمال الانقطاع)، و(شبه كمال الانقطاع)، وهاك بيان المراد بهذه المواضع بشيء من التفصيل:

أولاً : موضع الوصل المذكور في النظم:

(**التوسط بين الكمالين**) وهو –كما مرَّ-: أن تكون العلاقة بين الجملتين متوسطة, ويحصل ذلك التوسط بتحقق شرطين:

الشرط الأول: اتفاق الجملتين في الخبرية والإنشائية – والعبرة في الاتفاق بمعنى الجملة لا بلفظها[1] –

الشرط الثاني: وجود جامع بين الجملتين، والجامع عند البلاغيين عقليٌّ،أوْ وهميٌّ،أو خياليٌّ[2].

---

(1) فقولك في الدعاء لميت : رحمه الله إنشاء معنىً رغم أن لفظه خبر، وقولك: ألم تكن نطفة؟ خبر معنى رغم أن لفظه إنشاء.

(2) محل التفصيل في الجامع التلخيص وشروحه ، أما مثل هذا المتن فلا أرى من المناسب التعرض فيه للتفاصيل.

فمن أمثلة التوسط بين الكمالين قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤]، ولعل النكتة في العطف أن تصور نعيم الأبرار لا يكمل إلا بتصور جحيم الفجار والواو تذكِّر بهذا التكامل، وقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ [الأعراف: ٣١]، ولعل النكتة في العطف التكامل بين هذه المطلوبات وأنه لا ينبغي التركيز على واحد منها وإهمال غيره، والله أعلم.

ثانياً: مواضع الفصل المشار إليها في النظم:

1/(كمال الاتصال): وذلك إذا كانت الجملة الثانية بمثابة:

أ – التوكيد للجملة الأولى, كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾ [البقرة: 2]؛ فجملة ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ تدل على كمال الكتاب، وهذا يستلزم نفي الريب عنه، وعليه فجملة ﴿ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾ توكيد لها.

ب – البدل من الجملة الأولى, كقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٣٢ - ١٣٤]، فالأنعام والبنون والجنات والعيون بعض مما يعلمه المخاطبون مما أمدهم الله به.

ج – عطف البيان على الجملة الأولى, كقوله تعالى[1]: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه: ١٢٠]؛

---

(1) جاء الوصل في قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠ - ٢١ ،انظر لمعرفة سر التغاير: نظم الدرر ، وروح المعاني، والتحرير والتنوير، ومتشابه النظم القرآني في قصة آدم عليه السلام للدكتور : عبد الجواد طبق.

فجملة ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾ وضحت الجملة السابقة لها.

وتكمن نكتة الفصل في المواضع الثلاثة المذكورة في تنبيه السامع إلى شدة التلاحم بين الجمل بحيث لا تحتاج إلى رابط، بالإضافة إلى الإيجاز بحذف العاطف، مع ما في الموضعين الأخيرين من التشويق إلى البدل وعطف البيان وإظهار العناية بهما.

2/(شبه كمال الاتصال) : وهو: أن تكون الجملة الثانية بمثابة جواب عن سؤال ناشيء عن الجملة الأولى، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ [يوسف: 53]، وتكمن نكتة الفصل في شبه كمال الاتصال في تنبيه السامع إلى التلاحم الخفي بين الجملتين، وكأن الجملة الأولى أفضت بالسامع إلى الجملة الثانية إن كان ذكياً متنبهاً، بالإضافة إلى الإيجاز بحذف العاطف.

3/(كمال الانقطاع): وهو أن تكون الجملة الثانية منفصلة بالكلية عن الجملة الأولى وذلك باختلال أحد شرطي التوسط بين الكمالين[1]؛ فمثال ما اختل فيه شرط الاتفاق في الخبرية والإنشائية قولك: " مات زيد – رحمه الله-" ، ومثال ما اختل فيه شرط الجامع قولك" الاختبارات قريبة، ارتفعت أسعار الخبز"، ولعل نكتةَ الفصل في كمال الانقطاع تكمن في التنبيه على عدم وجود علاقة بين الجملتين حتى لا يحاول السامع الربط بينهما ويتكلف إيجاد العلاقة ، ومن كمال الانقطاع قول أبي العتاهية:

الفقرُ فيما جاوز الكفافا   من اتقى اللهَ رجا وخافا

(1) مضت الإشارة إلى الشرطين قبل أسطر -وهما الاتفاق في الخبرية أو الإنشائية مع وجود الجامع-.

ويمكن أن يقال إن الفصل في البيت نبه على استقلالية كلٍّ من الجملتين بحيث تستغني عن جارتها، وتستحق وقفة من السامع كي يتأملها وحدها.

4/(شبه كمال الانقطاع): وهو: أن يكون عطف الجملة الثانية على الأولى موهِماً عطفها على غيرها مما لا يقصد عطفها عليه، ومنه قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها

بدلاً، أُراها في الضلال تهيمُ

والنكتة فيه التنبيه على قطع الكلام عمَّا سبقه؛ إذ لو عطف (أُراها) لربما توهم السامع أنه من مما ظنته سلمى.

ثم قال الناظم رحمه الله:

69-............................ ....، ثم الفصلُ

70- للحال حيث أصلها قد سلما أصلٌ، وإن مرجح تحتما

هذه هي المسألة الثالثة من مسائل الباب وهي: مجيء الواو مع الجملة الحالية, و ما ذكره المؤلف في هذه المسألة يتلخص في نقطتين:

الأولى: الحال المفردة لا تقترن بالواو فإذا وقع الحال جملة فإن الأصل أن تكون تلك الجملة الحالية كالحال المفردة بدون واو، وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله: (ثم الفصل...أصلٌ).

الثانية: إن وجد مرجح للفصل أو الوصل وجب العمل بمقتضى ذلك المرجح سواء كان الفصل أو الوصل، وهو ما عبر عنه الناظم بقوله: (و إن مرجح) أي و إن وجد مرجح (تحتما) بألف الإطلاق أي صار حتماً ينبغي اتباعه من البليغ، و مدار الترجيح للواو أو عدمها من جهة التعليل النحوي يرتكز على مدى شبه الجملة الحالية بأصلها الذي هو المفرد من جهة المعنى؛ فمتى ما شابهته تماماً تحتمت مشابهتها له في ترك الواو، ومتى ما خالفته تماماً تحتمت مخالفتها له فجيء معها

بالواو، ومتى توسطت المشابهة جاز ذكر الواو وتركها[1]. أما الفرق بين التعبرين من الناحية البلاغية فيكمن في أن الإتيان بالواو يشعر بمزيد اهتمام بالحال[2]، هذا ومن الأمثلة الجامعة لامتناع الواو وتحتمها قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾[عبس: ٨ – ٩]، فـ: (يسعى) حالية تمتنع معها الواو، و جملة (وهو يخشي) حالية تلزم معها الواو.

---

(1) اكتفيت هنا بالإجمال المناسب لطبيعة المتن، وإلا فثم أقسام وتفاصيل سكتُّ عنها، وتمكن مراجعتها في شروح التلخيص.

(2) انظر البلاغة العالية لعبد المتعال الصعيدي:114.

البابُ الثامنُ :

الإيجاز والإطناب

سيأتي تعريف كل من الإيجاز والإطناب في كلام الناظم , وقد تضمن كلام المؤلف في هذا الباب ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الإيجاز والإطناب.

المسألة الثانية: الكلام على الإيجاز.

المسألة الثالثة: الكلام على الإطناب.

قال الناظم – رحمه الله –:

71– توفيةُ المرادِ بالنَّاقصِ مِنْ لفظٍ له الإيجاز والإطناب إن

بزائد عنه،.................. ....

هذه هي المسألة الأولى في الباب وهي: تعريف الإيجاز والإطناب: وقبل ذكر تعريفهما لا بد من تمهيد يسيرٍ بأن يقال: لكل معنى يقصده المتكلم لفظ وضع ليؤديه، فإذا جاء الكلام بقدر اللفظ الذي يؤدي المعنى فهذه هي**المساواة**[1]، أما **الإيجاز** فهو: تأدية المعنى المراد بلفظ أقل من اللفظ الذي وضع له[2]،وأما **الإطناب** فهو: تأدية المعنى المراد بلفظ زائد عن اللفظ الذي يؤدي ذلك المعنى لفائدة بلاغية[3].

فإذا أردتُ التعريف بنفسك فقلت: " أنا زيد بن عمرو" فهذه هي **المساواة**، أما إن قلت قاصداً التعريف بنفسك: " زيد بن عمرو "، واكتفيت بدلالة الحال عن ذكر لفظة :"أنا" فهذا هو **الإيجاز**، أما إن قلت : " أنا زيد بن عمرو ، أنا زيد بن عمرو " فكررت الاسم لفائدة اقتضاها المقام وهي تنبيه المخاطب أنك الشخص الذي يبحثُ عنه – مثلاً– فهذا هو **الإطناب**.

---

(1) لم يذكرها المؤلف لقلة أهميتها ، والبعض يرى أنها غير داخلة في الكلام البليغ.

(2) يشترط في اللفظ الناقص أن يكون وافياً بالمعنى وإلا فيسمى إخلالاً.

(3) أما إن لم تكن الزيادة لفائدة فإنه لا يعد عندهم من الإطناب بل هو حشوٌ أو تطويل.

وقد عبر الناظم عن تعريف الإيجاز والإطناب بقوله (**تأدية المقصود**)أي تأدية المعنى المقصود للمتكلم(**بالناقص من لفظ له**) أي باللفظ الناقص عن اللفظ الموضوع لذلك المعنى المقصود ؛ فـ: (**من**) بمعنى عن، و(**لفظ له**) أي اللفظ الموضوع لذلك المعنى المقصود، وأما قوله(**والإطناب إن بزائد عنه**) أي وإن كانت تأدية المعنى بلفظ زائد عنه فهذا هو الإطناب.

72- ....، وضربا الأولِ

قَصْرٌ، وحذفُ جملةٍ أو جُمَلِ

73- أو جزءِ جملةٍ، وما يدلُّ

عليه أنواعٌ ومنها العقلُ

هذا هو القسم الثاني في الباب وهو : الكلام على الإيجاز, ويتضمن مسألتين:

المسألة الأولى: بيان قسمي الإيجاز وهما:

1 - إيجاز القِصَر[1] وهو: الإيجاز الذي ليس سببه الحذف، ومنه قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾الأنبياء: ١٠٧قال ابن عاشور : "...فهي تشتمل على أربعة وعشرين حرفا بدون حرف العطف الذي عطفت به،وذكر فيها الرسول، ومرسله، والمرسل إليهم، والرسالة، وأوصاف هؤلاء الأربعة، مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصية الحصر، وتنكير {رحمة} للتعظيم..."[2].

---

(1) " بكسر القاف على وزن عِنَب كما حققه بعضهم، وإن كان المشهور فيه فتح القاف وسكون الصاد كشَهْد"، حاشية الدسوقي: 183/3، وإنما ضبطتُ الكلمة في النظم بتسكين الصاد للوزن لا للترجيح بين الوجهين.

(2) التحرير والتنوير: 165/16 ،وقد أفاض في كلامه على الآية فانظره إن شئت.

2 – إيجاز الحذف وهو: الإيجاز الذي سببه الحذف، وقد أشار الناظم إلى تنوع المحذوف فقال(وحذف جملة ...) إلخ؛ وعليه فالمحذوف على أنواع:

1/ما كان جزءَ جملة[1]: وقد تقدم الكلام على هذا الحذف عند الكلام على حذف المسند إليه، وحذف المسند، وحذف متعلقات الفعل بما يغني عن إعادته هنا.

2/ما كان جملةً[2]، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾[البقرة: ٦٠]، والتقدير[3]:"فضرب فانفجرت"؛ فحذفت جملة :" ضرب"، وهذا يشير إلى سرعة الامتثال من موسى لأمر ربه[4].

3/ ما كان عدةَ جُمَل، وهذا يكثر في قصص القرآن ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يوسف: ٤٥ – ٤٦]، فقد حذفت عدة جمل بين الآيتين كما لا يخفى، ومن فوائد مثل هذا الحذف: إثارة فكر السامع ، والتركيز على اللحظات الحاسمة في القصة، والبعد عما من شأنه أن يمل السامع، وغير ذلك.

---

(1)عمدة كان كالمبتدأ أو فضلة كالمفعول به، كما يشمل حذف جزء الجملة حذف فعل الشرط وحده ، كما يشمل حذف جواب الشرط –وحده– ؛إذ كلٌ منهما جزء جملة –كما لا يخفى–.

(2)المراد بالجملةِ الجملةُ التامة التي تفيد معنى مستقلاً

(3) على قول في تقدير المحذوف.

(4) انظر: عروس الأفراح: 198/3، حاشية الدسوقي: نفس الموضع.

المسألة الثانية: الإشارة إلى أدلة الحذف, وقد ذكر الناظم أن الأدلة متنوعة[1] ، واكتفى بذكر واحد منها – وهو العقل –، فمن أمثلة دلالة العقل على تعيين المحذوف قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف: ٨٢]، فقد دلنا العقل على تعيين المحذوف، وأن التقدير : أهل القرية.

ثم قال الناظم – رحمه الله –:

74– وجاء للتوشيع بالتفصيل

ثانٍ والاعتراض والتذييل

هذه هي المسألة الثالثة في الباب وهي: الكلام على الإطناب, وهو المراد بقوله(**ثانٍ)** لأنه ذكر في أول بيت في الباب ثانياً ، وقد ذكر الناظم ثلاثة من صور الإطناب[2], وهي:

1 – التوشيع[3] وهو[4]: ذكر مثنى أوجمع مفسر بمتعاطفين أو متعاطفات، ويكون – غالباً– في ختم الكلام، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ حُبُّ الْمَالِ، وَطُولُ الْعُمُرِ"[5]، ولا يخفي ما في التوشيع من التشويق والتمكين في نفس السامع.

---

(1)كثرة أدلة الحذف من حيث الدلالة على تعيين المحذوف، أما وجود الحذف فدليله العقل فقط ،انظر: حاشية الدسوقي: 203/3.

(2) تنظر صور أخرى للإطناب في التلخيص: 68 - 71 وشروحه:209/3 فما بعدها ، وهي: .

(3)يدخل التوشيع الذي ذكره المؤلف تحت نوع أشمل منه وهو الإيضاح بعد الإبهام كقولك لمن تبشره بقدوم حبيبه: "أبشر بما يسرك , أبشر بقدوم حبيبك فلان"، وقد تكلم عليه القزويني في الموضع المشار إليه في الهامش السابق.

(4) تساهلت قليلاً في تعريفات الصور الثلاثة المذكورة لأن فهم تعريفاتها الدقيقة متوقف على معرفة صور الإطناب الأخرى التي أشرت إلى موضع ذكرها في الهامش الذي قبل السابق.

(5)متفق عليه ، وهذا لفظ البخاري .

2 – الاعتراض: وهو أن يؤتى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين من جهة المعنى بجملة أو أكثر لنكتة، ويشترط في الجملة أو الجمل الاعتراضية ألا يكون لها محل من الإعراب، ومن أمثلة الاعتراض قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾النحل: ٥٧] فجملة: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ ﴾ لا محل لها من الإعراب، وقعت في أثناء الكلام ، والنكتة في الآية المبادرة بتنزيه الله سبحانه وتعالى عن هذا الافتراء.

3 – التذييل: وهو تعقيب جملة بجملة أخرى تشتمل على معناها لغرض التوكيد ، ومن قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ الإسراء: ٨١]، وتأكيد زهوق الباطل الذي حصل بالتذييل ناسب المقام لما فيه من مزيد الزجر عنه[1].

(1) وانظر مواهب الفتاح :228/3، وحاشية الدسوقي في الموضع نفسه.

الفن الثاني:

علم البيان

تمهيد:

ينحصر كلام البلاغيين – عموماً – في هذا العلم في تمهيد وثلاثة أبواب، لكن لما كان قصد الناظم الاختصار ، وكان كلامه في علم البيان –خصوصاً– أشد اختصاراً لم يقسم العلم إلى أبواب ، وهذا الصنيع مكَّنَه من جعل البيت الواحد – أحياناً– مشتملا على الحديث عن بابين مختلفين، لكن يمكن تقسيم كلامه إلى أربعة أقسام على النحو التالي:

القسم الأول: التمهيد.

القسم الثاني: التشبيه.

القسم الثالث: المجاز اللغوي.

القسم الرابع: الكناية.

القسم الأول:

التمهيد

قال الناظم رحمه الله:

75	**عِلْـمُ الْبَيـانِ مـا بـهِ يُعَـرَّفُ**	**إيــرادُ مــا طُرُقُــهُ تَخْتَلِــفُ**
76	**فـي كَوْنِها واضـحةَ الدِّلالـهْ**	**فمــا بــه لازمُ موضــوعٍ لــهْ**
77	**إمـا مجـازاً مِنْـهُ الِاسْـتِعارهْ**	**تُبْنَـى علـى التَّشْـبيهِ أوْ كنايـهْ**

هذا هو **القسم الأول** من أقسام حديث الناظم عن علم البيان **–وهو التمهيد–** ، وقد تضمن مسألتين:

المسألة الأولى: تعريف علم البيان:

وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة على ذلك المعنى ، وهذا هو ما عبر عنه الناظم بقوله: (**علم البيان** ...) إلى قوله: (**الدلالهْ**)،وقول الناظم: (**يعرّف**) بالتشديد للنظم.

المسألة الثانية: الإشارة إلى أبواب علم البيان:

إذا أطلق اللفظ وأريد به معناه الأصلي فهذا لا دخل له بعلم البيان لأن دلالته في هذه الحالة غير قابلة للتفاوت في الوضوح، فإذا أطلق لفظ " الأسد " –مثلاً– وأريد به الحيوان المفترس فإن دلالته على الحيوان المفترس غير قابلة للتفاوت بل يتساوى فيها كل من عرف مدلول هذه اللفظة في اللغة، وعليه فلا يعد مثل هذا الإطلاق داخلاً في اهتمام علم البيان.

أما إن **أُطلِقَ اللفظ و أريد به لازم ما وضع له** فإنَّ درجات وضوح وخفاء هذا اللازم المراد متفاوتة، وهذا هو محل اهتمام علم البيان.

ثم إنَّ هذا اللفظ الذي أريد به لا زم ما وضع له لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن تقوم قرينة على عدم إرادة ما وضع له ، نحو :" رأيت أسداً يحمل سيفاً"، فقد أطلق:" أسداً"، وأريد به لازمه وهو الشجاعة، وقد قامت قرينة تدل على عدم إرادة ما وضع له، وهي قوله : "يحمل سيفاً"؛ فلا يجوز مع وجود

هذه القرينة أن يراد به الأسد الحقيقي، وهذا هو ما يسميه البلاغيون: (**المجاز اللغوي**).

الحالة الثانية: أن لا تقوم قرينة على عدم إرادة ما وضع له، نحو :" زيد لا يغلق بابه"، فقد أطلق:" لا يغلق بابه"، وأريد به لازمه وهو الكرم، ولم تقم قرينة تدل على عدم إرادة ما وضع له، بل يجوز أن يراد ظاهر قوله : "لا يغلق بابه"، وهذا هو ما يسميه البلاغيون: (**الكناية**).

وبهذا يتضح أن (**المجاز اللغوي**)، و(**الكناية**) هما البابان الرئيسان اللذان يقوم عليهما **علم البيان** .

لكن لما كانت الاستعارة أحد قسمي المجاز –كما سيأتي –، وكانت الاستعارة مبنية على التشبيه لزم التعرض للتشبيه فصارت أبواب هذا العلم ثلاثة:

(**التشبيه**)، و(**المجاز**)، و(**الكناية**).

وقد أشار الناظم إلى هذه الأبواب في قوله: (فما به لازم موضوع له) أي فاللفظ الذي أطلق وأريد به لازم معناه الذي وضع له (إما مجازاً[1]...أو كنايهْ) فهذان هما البابان الرئيسان، أما التشبيه فقد أشار الناظم إلى سبب الكلام عليه في علم البيان بقوله: (**منه**) أي من المجاز قسم اسمه (**الاستعارهْ**) ، وهذا القسم (**يبنى على التشبيه**) فلا بد من ذكر المبني عليه الذي هو التشبيه حتى يُفهَمَ المبني الذي هو الاستعارة.

---

(1)نصب مجازاً على الحالية.

القسم الثاني:

التشبيه

لما انتهى الناظم من التمهيد بدأ في الكلام على التشبيه ، وانحصر كلامه عنه في خمس مسائل:

المسألة الأولى: الكلام على الطرفين.

المسألة الثانية: الكلام على وجه الشبه.

المسألة الكلام على أدوات التشبيه.

المسألة الكلام على الغرض من التشبيه.

المسألة الخامسة: الإشارة إلى أقسام التشبيه.

وقبل التعرض لما ذكره المؤلف لا بد من ذكر مسألتين:

المسألة الأولى: تعريف التشبيه: فالتشبيه هو[1]: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بآلة مخصوصة.

المسألة الثانية: ذكر أركان التشبيه وهي:

1 – المشبه .

2 – المشبه به.

ويطلق على هذين الركنين (طرفا التشبيه).

3 – وجه الشبه وهو المعنى المشترك بين طرفي التشبيه .

4 – أداة التشبيه.

وسيأتي الحديث عن الأركان في الأبيات بإذن الله.

ثم قال الناظم رحمه الله:

78 وَطَرَفَا التَّشْبيهِ حِسِّيَّانِ – ولو خياليا – وعَقْلِيَّانِ

79 وَمِنْهُ بِالْوَهْمِ وَبِالْوِجْدانِ أوْ فيهِما يختلفُ الْجُزْآنِ

هذه هي المسألة الأولى في الحديث عن التشبيه – وهي الكلام على طرفي التشبيه–، وقد بين الناظم فيها أن طرفي التشبيه قد يكونان حسيين أوعقلين

(1) تركت التعريف الأشهر لعدم مناسبته للمبتدئ.

أومختلفين، وهنا لا بد من بيان المراد بكلٍّ من الحسي والعقلي وما يلحق بكل واحد منهما.

أما **الحسي** فهو: المدرك هو أومادته[1] بإحدى الحواس الخمس - البصر، والسمع، والشمّ، والذوق، واللمس-، فيدخل فيه كل ما نراه أو نسمعه...إلخ.

ويلحق **بالحسي** ما يسمى عندهم **بالخيالي**، وهو الذي لا يمكن وجوده في الواقع – مع كونه مركباً من أمور محسوسة؛ كتخيل بيت مبني من الحلوى وبابه مصنوع من البسكويت ، أو تخيل نخلة من ذهب ثَمَرُها من ياقوت، وقد أشار الناظم إلى إلحاق الخيالي بالحسي بقوله: (ولو خيالياً).

وأما **العقلي** فهو: ما لا يكون هو ولا جميع مادته[2] مدركاً بإحدى الحواس الخمس، ويلحق **بالعقلي** أمران:

1- الأمور الوهمية التي لا وجود لها في الخارج أصلاً ، كمخالب العنقاء وأنياب الغول.

2 - الأمور الوجدانية وهي الكيفيات التي تدركها النفس كاللذة والألم والحب والشوق.

وقد أشار الناظم إلى دخول هذين الأمرين في *العقلي* بقوله: (**ومنه بالوهم وبالوجدان**) أي ومن **العقليِّ** ما يدرك بالوهم، ويسمَّى: (**الوهمي**) ومنه ما يدرك بالوجدان، ويسمَّى: (**الوجدانيُّ**).

وأما قول الناظم : (**أوفيهما يختلف الجزآن**) فيعني به أن جزأي التشبيه- أي طرفيه – قد يختلفان بأن يكون أحدهما حسياً والآخر عقلياً.

---

(1)قولهم (أو مادته) يدخل الخيالي ، وسيأتي الحديث عنه بعد سطرين.

(2)قولهم (أو مادته) يدخل الوهمي، وسيأتي الحديث عنه بعد سطرين.

ومن خلال ما سبق يتضح أن التشبيه بهذا الاعتبار ينقسم إلى أربعة أقسام:

1/ تشبيه حسي بحسي، كتشبيه لون الخد بحمرة الورد.

2/ تشبيه عقلي بعقلي، كتشبيه الإيمان بالحياة.

3/ تشبيه عقلي بحسي، كتشبيه العزم بالسيف.

4/ تشبيه حسي بعقلي، كتشبيه رائحة العطر بالخُلُقِ الحسن.

ولنتكلم على هذه الأقسام الأربعة بشيء من التفصيل:

أما **تشبيه الحسي بالحسي** فيلاحظ أنه[1] إما أن يسعى إلى **تقريب المعنى** من خلال تشبيه الغريب أوالجديد بالمألوف أوالقديم، **وإما أن يهدف إلى المبالغة في التحسين أو التقبيح** ونحوهما من خلال تشبيه الضعيف في وجه الشبه بالقوى فيه.

ومن أمثلة تشبيه الحسي بالحسي قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾[المرسلات:32]؛ فالمشبه : شرر جهنم، والمشبه به : القصر[2]؛وبالتالي فالمشبه : حسي ، والمشبه به : حسي، ويلاحظ في الآية أن المشبه وإن كان حسياً إلا أنه لما كان غائباً بل غيباً[3] كان تشبيهه بالحسي المعروف مقرباً له من الأذهان ومصوراً لعظمته ومهولاً لشأنه، نسأل الله النجاة من النار.

ومن أمثلته – أيضاً – قول الشاعر:

وكأنَّ مُحْمَرَّ الشَقِيْـ ـقِ إذا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدْ

---

(1) هذا ليس حصراً لأغراض هذا القسم.

(2)في المراد بالقصر أقوال – على ما يستفاد من زاد المسير– :

1 – البناء الكبير. 2 – أصول النخل المقطوعة. 3– أعناق الإبل.

واكتفى الطبري بالقولين الأولين ، ورجح الأول منهما،وعلى كل الأحوال فالقصر في الآية أمر حسي.

(3) بالنسبة لنا في الدنيا، وإلا فظاهر السياق أن هذا سيقال لمن يقال لهم قبلها: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾، ويحتمل أن تكون الجملة اعتراضية، انظر التحرير والتنوير: 29/436-437.

أعْلامُ ياقُوت نُشِـرْ   نَ على رِماح مِنْ زَبَرْجَدْ[1]

المشبه :محمر الشقيق، والمشبه به : الأعلام المصنوعة من الياقوت والرماح المصنوعة من الزبرجد؛ وعليه فالمشبه: حسي ، والمشبه به : أمورخيالية لا وجود لها في الواقع، لكنها ملحقة بالحسي لأن أجزاءها – متفرقة - تدرك بالحس؛ وبالتالي فإن هذا التشبيه يعد من **تشبيه الحسي بالحسي،** ولعل جمال التشبيه في البيت يكمن في نقل الصورة المحسوسة في الواقع إلى عالم الخيال الذي فيه أعلام من ياقوت على رماح من زبرجد، وكأن هذا المنظر ليس من عالم الدنيا المشاهد وإنما هو مجرد خيال، وهذا يشعر بشدة جماله، وتميُّزِهِ عن غيره.

وأما **تشبيه العقلي بالعقلي** فيلاحظ نوعٌ من التقارب بينه وبين تشبيه الحسي بالحسي من جهة أن كليهما يتفق فيه الطرفان في الحسية و العقلية ، فيكون الدور الأكبر له في كثير من الأحيان **التقريب أو المبالغة** –كما مر في تشبيه الحسي بالحسي –.

ومن أمثلة هذا تشبيه العقلي بالعقلي:

العشق كالموت يأتي لا مردَّ له   ما فيه للعاشق المسكين تدبير

المشبه : العشق، والمشبه به : الموت.

فالمشبه : عقلي ، والمشبه به : عقلي.

والتشبيه في البيت جاء للمبالغة وتصوير العشق في صورة ما لا يمكن دفعه ولا مغالبته.

---

(1) الشقيق وردٌ أحمر يعرف بشقائق النعمان، تصوب أو تصعد: (أو) بمعنى (الواو)، والمعنى:مال إلى جهة السفل ومال إلى جهة العلو بتحريك الرياح له ،الياقوت: حجر نفيس والمراد هنا الأحمر ، الزبرجد: حجر نفيس لونه أخضر.

وأما **تشبيه العقلي بالحسي** فيلاحظ أن **قيمة هذا النوع** تكمن في أن الإنسان أكثر تصوراً للمحسوسات، وبالتالي فإن تشبيه العقلي بالحسي يجعله أقرب إلى الذهن بل يجعله مشاهداً أوكالمشاهد، وقد يكون فيه أيضاً مبالغة كما مر في القسمين السابقين.

ومن تشبيه العقلي بالحسي ما ذُكِرَ أن إبراهيم النخعي سئل : "هل كان أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يمزحون؟" فقال: " نعم، والإيمان في قلوبهم كالجبال الرواسي".

فالمشبه : الإيمان، والمشبه به : الجبال

فالمشبه : عقلي ، والمشبه به : حسي

وجمال التشبيه في المثال يكمن في أنَّ الجبل يعدُّ عند عامة البشر مثلاً للثبات والرسوخ فكان في تشبيه إيمان الصحابة به من الهيبة والجلال والتأثير في النفس ما لا يخفى على المتأمل المتذوق.

وأما **تشبيه الحسي بالعقلي** فهو مبني على المبالغة ومخالفة الأصل إذ المحسوسات أقرب إلى الذهن فالأصل أن تشبه المعقولات بها، لكن قد يريد المتكلم شدة المبالغة فيعكس.

ومن أمثلة تشبيه **الحسي بالعقلي** قول الشاعر:

وكأن النجوم بين دجاها   سنن لاح بينهن ابتداع

فالمشبه : النجوم، والمشبه به : السنن؛ وعليه فالمشبه : حسي ، والمشبه به : عقلي، وفي البيت مبالغة ظاهرة حيث تصوَّر الشاعر أن نور السنن أشد ظهورا من نور النجوم، مع أنه ليس نوراً حسياً تراه العين.

ومن تشبيه الحسي بالوهمي الملحق بالعقلي قول امرؤالقيس :

أيقتلني والمشرَفيُّ مُضَاجِعِي   ومسنونةٌ زرقٌ كأنيابِ أغوالِ[1]

المشبه : الرماح المسنونة ، والمشبه به : أنياب الأغوال ،فالمشبه : حسي ، والمشبه به : أمر وهمي لأنه لا وجود له في الخارج[2] ، وهذا الوهمي –كما مر – ملحق عند البلاغيين بالعقلي ، وبالتالي فإن هذا البيت من تشبيه الحسي بالعقلي، **ويلاحظ** من المثال أن تشبيه الحسي بالوهمي يجعله أكثر مبالغة من جهة تشبيهه بالمتوهمات، والمتوهمات لها عظمة في النفس كما لا يخفى.

---

(1) المشرَفي: سيف منسوب إلى مشارف– قُرًى كانت تجود فيها السيوف –، مضاجعي: ملازمي حال الاضطجاع،مسنونة: رماح محدودة النصال، زرقٌ: إشارة إلى أنها رماح مصقولة.

(2) لأن العرب يعدون الغول مجرد وهم.

تابع القسم الثاني:

التشبيه

ثم قال الناظم رحمه الله:

80- وَوَجْهُهُ ما اشْتَرَكا فيه، وجا ذا في حقيقتيهما وخارجا

81- وصفاً فحسيٌّ وعقليٌّ وذا واحِداً أوْ في حُكْمِهِ أوْ لا كذا

هذه هي المسألة الثانية من مسائل التشبيه - **وهي الكلام على وجه الشبه**-، وقد ذكر الناظم تحت هذه المسألة مبحثين:

المبحث الأول: تعريف وجه الشبه:

وجه الشبه هو: المعنى الذي قصد المتكلم اشتراك الطرفين فيه[1]، وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله: (**ووجهه ما اشتركا فيه**).

المبحث الثاني: تقسيمات وجه الشبه:

وقد أشار الناظم إلى تقسيمين من تقسيمات وجه الشبه:

التقسيم الأول: باعتبار دخوله في حقيقة الطرفين[2], حيث ينقسم وجه الشبه بهذا الاعتبار إلى:

1 – غير خارج عن حقيقة الطرفين؛ كالإنسانية والناطقية في زيد وعمرو.

2 - خارج عن حقيقة الطرفين؛ كالشجاعة في الأسد والرجل الشجاع.

وهذا هو ما عبر عنه الناظم بقوله: (**وجا**) أي جاء (**ذا**) أي وجه الشبه(**في حقيتيهما**) أي غير خارجٍ عن حقيتيهما (**وخارجا**)أي خارجاً عن حقيتيهما.

والمراد بغير الخارج عن حقيقة الطرفين ما لا تقوم الذات إلا به[3]، أما الخارج عن حقيقة الطرفين فهو وصفٌ قائمٌ بالطرفين، وهذا الوصف على قسمين

(1)لأنه قد تكون هناك أمور كثيرة مشتركة بينهما لكنها غير مقصودة في التشبيه.

(2) نبه العلامة المرشدي في شرحه لعقود الجمان: 14/2 على قلة جدوى مثل هذا التقسيم، ولذا اختصرت فيه قدر الإمكان.

(3) سواء كان ماهيتهما التامة كالحيوانية في الأسد، أو جزءا من الماهية كالناطقية في الإنسان.

الأول: وصف حسي: وهو ما يدرك بإحدى الحواس الخمس؛ كحمرة الخدِّ وحلاوة العسل.

الثاني: عقلي: ما يدرك بغير الحواس الخمس كالذكاء والشجاعة.

ولذلك قال الناظم: (**وجا ذا في حقيقتيهما وخارجا**)أي وجاء وجه الشبه خارجاً عن حقيقة الطرفين؛ ف (**خارجا**) حال من فاعل (**جا**) المستتر، وقوله: (**وصفاً**) حال ثانية فالخارج لا بد أن يكون وصفاً، و قوله (**فحسي وعقلي**) بيان لقسمي الوصف –كما مر–، والله أعلم.

التقسيم الثاني:باعتبار إفراده وتعدده،حيث ينقسم وجه الشبه بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يكون وجه الشبه **واحداً**.

القسم الثاني: أن يكون وجه الشبه في حكم الواحد بأن يكون **مركباً** من شيئين فأكثر، وَوَجْهُ الشبهِ المقصودُ الهيئةُ المجتمعةُ مِمَّا تركَّب، ويسمى هذا النوع **عند القزويني** بـ: (**التمثيل**) –أيضاً –.

القسم الثالث: أن يكون وجه الشبه **متعدداً**.

وإلى هذه الأقسام أشار الناظم بقوله: (**وذا واحداً أو في حكمه أو لا كذا**)

فقوله: (**وذا**) معطوف على (**ذا**) السابقة ، والتقدير:وجاء ذا؛ أي: وجه الشبه(**واحداً**) (**أو في حكمه**) أي جاء وجه الشبه في حكم الواحد –وهو المركب– (**أو لا**) أي لا واحداً ولا في حكم الواحد –وهو المتعدد–، وقوله (**كذا**) مجرد تتميم.

فمثال ما كان **وجه الشبه فيه واحداً**:" زيد كالأسد" أي في الشجاعة.

ومثال ما كان **وجه الشبه فيه مركباً** قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا ﴾ [الجمعة: ٥]؛ فوجه الشبه مركب من كون المحمول عظيم النفع ، وأن الحامل بليدٌ لا يشعر بأي قيمة لهذا الذيُ حمِّله،

ومن أمثلته – أيضاً- قولُ بشار:

كأنَّ مُثار النقع فوق رؤوسنا   وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبهْ[1]

فوجه الشبه مركب من شيء شديد الظلمة مع آخر مضيء يتساقط بسرعة.

ومثال ماكان **وجه الشبه فيه متعدداً** قول النبي –صلى الله عليه و سلم – لجعفر – رضي الله عنه – :" أشبهت خَلْقي وخُلُقي "[2].

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ..." الحديث[3].

ثم قال الناظم رحمه الله:

82– والكافُ أوْ كأنَّ أوْ كَمِثْلِ   أداتُهُ وَقَدْ بِذِكْرِ الْفِعْلِ

هذه هي المسألة الثالثة من مسائل التشبيه – وهي الكلام على أدوات التشبيه[4]– وقد تضمنت مبحثين:

المبحث الأول: ذكر أدوات التشبيه،وهي:

---

(1) مُثار النقع : الغبار الذي أثير وهُيِّج، وأسيافَ: بالنصب مفعول معه.

(2)البخاري 4251، وأداة التشبيه هنا هي الفعل: (أشبه)، وسيأتي أنه من الأدوات في البيت :82.

(3) رواه البخاري في غير موضع منها (5020) وهذا لفظه ، ومسلم.

(4)للدكتور: محمود موسى حمدان في كتابه : " أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالها في القرآن الكريم" كلام نفيس ودقيق حول الفروق بين هذه الأداوت ، وفيه –أيضاً– تحرير لكثير من المسائل المتعلقة بها فانظره إن شئت.

1 - الكاف؛ كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ [القارعة: ٤] .

2 – كأنَّ؛ كقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٥٨].

3 – مثل، كقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:" أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ..." الحديث[1].

4- ما في معنى: (مثل) مما يشتق من المماثلة والمشابهة ونحوهما؛ ك:(ماثل)، و(شابه)، و(نحو)، وغيرها، ومن أمثلة هذا النوع من الأدوات قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾البقرة: ١١٨

وقد أشار الناظم إلى هذه الأدوات بقوله (**والكاف أو كأن أوكمثل أداته**)، والكاف في قوله(**ك(مثل)**) هنا اسمٌ بمعنى (مثل)، والمعنى : الكاف، وكأن ، وما ماثل (مثل) – و(مثل) من باب أولى – هي أدوات التشبيه.

المبحث الثاني: الأفعال الدالة على وجود التشبيه.

فقد ترد بعض الأفعال الدالة على وجود تشبيه[2] – ، نحو:" علمت زيداً أسداً، و: " حسبت عمرا بحرا"؛ ف(**علمت**) ، و(**حسبت**) دلت على جود تشبيه بين زيد والأسد وعمروٍ والبحر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإنسان: ١٩]، وهذا يدل على شدة جمالهم إلى درجة التباس الأمر على الناظر إليهم حيث يحسبهم لؤلؤاً منثوراً.

---

(1) رواه البخاري(3)، وبنحوه في مسلم.

(2) تختلف هذه الأفعال عمّا ذكره الناظم ضمن ما شابه (مثل) في أمر جوهري وهو عدم اشتقاقها من المماثلة والمشابهة و نحوهما.

وهذا ما أشار الناظم إليه بقوله(**وقد بذكر الفعل**) أي : وقد يعرف وجود التشبيه بذكر فعل ينبئُ عنه.

ثم قال الناظم رحمه الله:

83- وَغَرَضٌ مِنْهُ على مُشَبَّهِ يَعُودُ أوْ على مَشَبَّهٍ بهِ

هذه هي المسألة الرابعة من مسائل التشبيه وهي: الكلام على أغراض التشبيه

حيث بين الناظم أن الغرض من التشبيه قد يعود إلى المشبّه – وهو الغالب الكثير–، وقد يعود إلى المشبه به، فمن الأغراض العائدة إلى المشبه :

1– إيصال المقصود إلى نفس السامع وتمكينه فيه، كقول الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبرُ

2 – تزيين المشبه: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٢ – ٢٣]

3 – تشويه المشبه ، ومنه قوله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الصافات: ٦٥]

ومن الأغراض العائدة إلى المشبّه به:

إيهامُ رجحان المشبه على المشبه به في وجه الشبه، ومن أمثلته:

وبدا الصباحُ كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدحُ

فالأصل أن يشبه وجه الخليفة بالصبح لأن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر، لكن الشاعر عكس الأمر وأوهم أن الخليفة أشد من الصبح في وجه الشبه، وغرضه في الحقيقة المبالغة في مدح الأمير، ويعرف هذا التشبيه بـ(**التشبيه المقلوب**).

ثم قال الناظم رحمه الله:

84- فَباعْتِبارِ كُلِّ رُكْنٍ اقْسِمِ أنواعه،..............

هذه هي **المسألة الخامسة** في باب التشبيه – وهي الإشارة إلى تقسيمات التشبيه باعتبار أركانه– :

حيث بين الناظم أن التشبيه ينقسم عدة تقسيمات باعتبار كلّ ركن من أركانه، وهذا إجمال منه يناسب قصده للاختصار في النظم ، مع أن بعض التقسيمات المشار إليها قد مضى الحديث عنه في الأبيات السابقة[1]، ومن التقسيمات التي يحسن ذكرها هنا :

أولاً:تقسيم التشبيه باعتبار حذف وجه الشبه وذكره:

حيث ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى:

1/ تشبيه مفصّل وهو الذي ذُكر فيه وجه الشبه[2]، والغالب في التشبيه المفصل ألا يقع إلا حيث يكون وجه الشبه غريباً أو غير مألوف الاستعمال،ومنه قول الشاعر :

ياشبيه البدر في الحسـ   ـن وفي بعد المنال

جد فقد تنفلق الصخـ   ـرة بالماء الزلال

ويلاحظ هنا أن الشاعر ذكر وجهيْ شبه أحدهما جلي[3] –الحُسْن– و الآخر خفي –بعد المنال– ولو لم يقصد الخفي لما حسن ذكر الجلي.

2/ تشبيه مجمل وهو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه صريحاً، والتشبيه المجمل هو الغالب في الكلام البليغ،ومن مزاياه: الإيجازُ، وإعطاءُ فرصة لذهن السامع للتأملِ

---

(1) وهو تقسيم التشبيه باعتبار حسية وعقلية الطرفين.

(2) ويدخل في التشبيه المفصل: ذُكِرَ شيءٌ من لوازم وجه الشبه، ومحل بيان هذا في التلخيص وشروحه.

(3) الجلاء والخفاء هنا بحسب الغالب في الاستعمال في التشبيه ، وإلا فإن بُعْد القمر جلي، لكن الغالب أن التشبيه بالقمر يكون في حسنه لا في بعده.

وإدراكِ وجه أو أوجه الشبه، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾[يس: ٣٩][1].

تنبيه:

وجه الشبه في اصطلاح البلاغيين: إما أن يكون منصوبا على التمييز أو مجرورا بـ: (في)؛ وعليه فقولك –مثلاً-: " زيد كالأسد شجاع " يُعدُّ عندهم مما حذف فيه وجه الشبه.

ثانياً: تقسيم التشبيه باعتبار حذف أداة التشبيه وذكرها:

حيث ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى:

1/ تشبيه مؤكد, وهو الذي حذفت فيه أداة التشبيه؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: "والصلاة نور" [2].

2/تشبيه مرسل, وهو الذي ذكرت فيه أداة التشبيه؛ كقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾[المدثر: ٥٠ – ٥١] .

ومن اسم (**المؤكد**) نعرف أن حذف الأداة يفيد توكيد التشبيه، فإذا كان المقام يقتضى التوكيد أو عدمه فإن البليغ يأتي بالتشبيه المناسب لذلك المقام. كما أن مما يميز (**التشبيه المؤكد**)أنه يشعر بقرب اتحاد المشبه بالمشبه به، مع ما فيه من الإيجاز[3].

تنبيه:

---

(1) بمراجعة كلام أهل العلم على هذا التشبيه يتضح لك ثراء التشبيه المجمل مع إيجازه خلافاً لما لو كان هذا التشبيه مفصلاً.

(2) رواه مسلم (223)،وسنده مُعلٌّ بالانقطاع لكن متنه صحيح من طرق أخرى ، انظر : " بين مسلم والدار قطني" للشيخ : ربيع بن هادي المدخلي:67 فما بعدها.

(3) انظر:"البلاغة العربية فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع –":57.

إذا اجتمع حذف وجه الشبه والأداة معاً فهذا أعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة باعتبار ذكر أركانه أو بعضها [1] ، ومنه قول المتنبي:

يقول لي الطبيب :أكلتَ شيئاً   وداؤك في شرابك والطعامِ

وما في طبه أني جـوادٌ   أضر بجسمه طول الجِمام

تعود أن يغبِّر في السرايا   ويدخل من قَتام في قتامِ[2]

فقوله: " أني جواد" تشبيه حذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه فكان أقوى في المبالغة.

---

(1)التلخيص:81، أما تسميته بليغاً فمع شهرته إلا أنه مجرد اصطلاح لبعضهم، وأطلقه القزويني على غيره، انظر حاشية الدسوقي:457/3، وانظر: معجم المصطلحات البلاغية: 180/2.

(2) الجمام : ان يترك الفرس فلا يركب، القتام: الغبار.

القسم الثالث:

المجاز اللغوي

يحتاج الحديث عن المجاز اللغوي وتصور المراد به إلى التعرض للفرق بينه وبين مصطلحين آخرين هما: الحقيقة اللغوية و المجاز اللغوي [1]:

أولاً: الفرق بين الحقيقة اللغوية والمجاز اللغوي:

الحقيقة اللغوية: هي اللفظ المستعمل فيما وضع له، والمجاز اللغوي : هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، فلفظ(أسد) إن استعمل فيما وضع له — وهو الحيوان المفترس- فهو حقيقة، وإن استعمل في غير ما وضع له بأن أُطلق على الرجل الشجاع -مثلاً- فهو مجاز.

ثانياً: الفرق بين المجاز العقلي وبين المجاز اللغوي:

علمنا مما سبق في الباب الأول من علم المعاني — باب أحوال الإسناد الخبري- أن **المجاز العقلي** هو ما يكون التجوز فيه بإسناد الشيء إلى غير ما هو له؛ فيُسند بناء البلدة للأمير لكونه السبب الآمر بالبناء، ويُسند السيلان إلى الميزاب لكونه مكان سيلان الماء.

أما **المجاز اللغوي** فهو ما يكون التجوز فيه باستعمال الألفاظ في غير معانيها اللغوية التي وضعت لها؛ فتستعمل لفظة:(البحر) للدلالة على الرجل واسع العلم الذي يُشْبِهُ علمُه البحر في السعة والكثرة، وتستعمل لفظة: (اليتيم) للدلالة على البالغ الذي كان من قبلُ يتيماً؛ فالتجوز في المجاز العقلي يتعلق بالإسناد — ومردُّ الإسناد إلى **العقل**- ، والتجوز في المجاز اللغوي يتعلق بالألفاظ -ومردُّ الألفاظ إلى **اللغة**-.

---

(1) لن أعتني بالتعاريف الدقيقة هنا تسهيلاً على المبتدئ، وسيأتي التعريف بعبارة أدق-نسبياً- في موضعه -بإذن الله- .

قال الناظم:

84 .... ، **ثُـمَّ الْمجـازُ فـافْهَمِ**

85 **مُفْــرَدٌ اوْ مُرَكَّــبٌ وتــارهْ** **يكــونُ مُرْسَــلاً أوِ اسْــتعارهْ**

تضمن حديث الناظم على المجاز اللغوي مسألتين:

المسألة الأولى: تقسيم المجاز اللغوي.

المسألة الثانية: بعض التفاصيل المتعلقة بالاستعارة .

أما المسألة الأولى فقد أشار الناظم إلى تقسيمين للمجاز اللغوي:

التقسيم الأول: باعتبار الإفراد والتركيب.

حيث ينقسم المجاز اللغوي بهذا الاعتبار إلى :

1/مجاز مفرد في الكلمة المفردة. 2/مجاز مركب في التركيب.

التقسيم الثاني: تقسيمه باعتبار نوع العلاقة.

حيث ينقسم المجاز اللغوي بهذا الاعتبار إلى :

1/ مجاز مرسل علاقته غير المشابهة. 2/ استعارة علاقتها المشابهة.

وهذا هو ما عبر عنه الناظم بقوله: (**ثم المجاز فافهم**...) إلى قوله(**أواستعارهْ**)، ولنتكلم على هذه الأنواع الأربعة بشيء من التفصيل:

أولاً: **المجاز المفرد** وهو[1]: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

ف:(الكلمة) يخرج ما كان أكثر من كلمة -كما سيأتي في المجاز المركب-.

و:(المستعملةُ في غير ما وضعت له) يخرج الكلمة المستعملة فيما وضعت له؛ إذ هي —كما مرَّ- حقيقة.

---

(1) راعيت في التعريف السهولة المناسبة لهذا المتن، ويمكن مراجعة التعريف الأدق في التلخيص وشروحه.

و:(لعلاقة) يشير إلى أن المصحِّح لهذا الاستعمال هو وجود علاقة تربط بين المعنى المجازى والمعنى الحقيقي، أما إذا انتفت العلاقة فلا يصح هذا الاستعمال[1].

و(مع قرينة مانعة) يشير إلى أنه لا بدَّ من وجود قرينة لفظية أو معنوية تمنع من أن يكون الاستعمال من باب الحقيقة.

مثاله: كلمة (أسد) في قولنا: " رأيت أسداً يحمل سيفاً"؛ ف:(أسد) كلمة واحدة، وقد استعملت للدلالة على الرجل الشجاع، وهو استعمال للكلمة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب بين العرب؛ لأنها وضعت عندهم للحيوان المفترس، والعلاقة قائمة بين الأسد والرجل الشجاع – وهي الاتصاف بالشجاعة، وقد قامت القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي؛ إذ يمتنع عقلاً أن يحمل الأسد سيفاً.

ثانياً: المجاز المركب، وسيأتي الحديث عنه مفصَّلاً بعد الانتهاء من الحديث عن الاستعارة.

ثالثاً: المجاز المرسل:وهو –كما مرَّ- مجاز لغوي عَلاقته غير المشابهة ، وعلاقاته كثيرة منها:

1 – الجزئية: فقد يعبر بالجزء ويراد الكل، نحو قوله تعالى:﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾التوبة: ١٠٨] فقد أُطلق الجزء -وهو القيام- وأريد الكل –وهو الصلاة -، ولا شك أن التعبير هنا بالجزء أبلغ في النهي إذ أنه يُشْعِر أن مجرد أداء جزء من الصلاة داخل في النهي .

2 – الكلية: فقد يعبر بالكل ويراد الجزء ، نحو قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ ﴾[الأعراف: ١٥٠]، فقد أطلق الكل – وهو الرأس – وأريد

---

(1) وحينئذٍ يدخل في التعقيد المعنوي الذي مرَّ معنا في العيوب المخلة بفصاحة الكلام.

الجزء –وهو شعر الرأس–، ولا شك أن هذا التعبير زاد من تصوير قوة ما صنعه موسى بأخيه –عليهما الصلاة والسلام–.

3 – المحلية: فقد يعبر بالمحل ويراد الحال فيه ، نحو قوله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ العلق:١٧]؛ فقد عبر بالمحل - وهوالنادي[1]- وأريد الحالُّ فيه – وهم أهله–، والأمر في الآية للتعجيز، والتعبير بالمحل عن الحالِّ زاد التعجيز قوة.

4 – الحالِّية: فقد يعبر بالحال ويراد المحل، نحو ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ فقد أطلق الحالُّ – وهوالزينة- وأريد محلها –وهو اللباس–، لكن التعبير بالزينة يشعر أن على المسلم ألا يكتفي بأي لباس بل ينبغي أن يكون لباساً حسناً يستحق أن يسمى زينة.

5 – اعتبار ما كان: فقد يعبر بما كان عليه الشئ ويراد حالته الحالية ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾النساء: ٢]؛ فقد عُبر بما كانوا عليه – وهو اليتم- وأريد حالتهم الحالية – وهو البلوغ –[2]، وفي التعبير به ترقيقٌ للقلوب وحثٌ لها على إعطاء من كان يتيماً ضعيفاً حقَّه.

6 – اعتبار ما سيكون: فقد يعبر بما يؤول إليه الشئ ويراد حالته الحالية، نحو قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ

---

(1) النادي هو مكان اجتماع القوم، ولا يسمى نادياً إلا وهم مجتمعون فيه، ويقال لمجلس القوم في النهار وعكسه المسامر وهو مجلسهم في الليل ، وملاحظة مثل هذه الفروق الدقيقة تكشف لك كثيراً من بلاغة القرآن.

(2) إذ :"لا يتم بعد احتلام" كما روى الطبراني وغيره مرفوعاً وموقوفاً، وصححه الألباني بشواهده،وهو مخرج في الإرواء، والصحيحة(3180).

﴾ الفتح: ١٥]؛فقد عبر بالمغانم وأريد الخروج إلى خيبر التي ستصبح مغانم بعد الغزوة، " وفي هذا المجاز إيماء إلى أنهم منصورون في غزوتهم "[1].

7- السببية: فقد يعبر بالسبب ويراد المسبَّب، نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾[القمر: ٤٧ - ٤٨]؛ فقد أطلق السبب – وهوالمس- وأريد مسبَّبه–أي : ما يتسبب عنه – وهو الإصابة، وهذا يشعر أن مجرد المس سيسبب إصابتهم بسقر – والعياذ بالله-.

8- المسببية: فقد يعبر بالمسبب ويراد السبب، نحو قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ غافر: ١٣]؛ فقد أطلق المسبب – وهو الرزق- وأريد السبب- وهوماء المطر-، وهذا يدل على شدة ارتباط الرزق بنزول المطر، وهو –كذلك -يرفع من أهمية المطر[2].

ومما يعين على إدراك السر البلاغي للتعبير بالمجاز تحديد علاقة ذلك المجاز ، فالسببية تشعر بقوة تأثير السبب في المسبب، والمسببية تشعر بحتمية وقوع المسبّب إذا ما وقع السبب، والحالية والجزئية تشعران بأهمية ذلك الحالّ أوالجزء، والمحلية والكلية تشعر بالمبالغة حيث تجعل المحل أو الكل مشاركاً للحال أو الجزء في الفعل، والماضوية تذكر وتستحضر تلك الحالة الماضية، والمستقبلية تشعر وتذكّر بالمآل[3].

هذا مع ما في أكثر صور المجاز المرسل من الإيجاز، بالإضافة إلى ما يتضمنه" من الخيال الطريف السانح في صوره "[4].

رابعاً: الاستعارة:

---

(1) التحريروالتنوير:141/26.

(2) انظر للاستزادة " التصوير البياني ": 352.

(3) أصل الفكرة مستفاد من:" التصوير البياني: دراسة تحليلية لمسائل البيان" للدكتور محمد أبو موسى: 346 فما بعدها

(4) التصوير البياني:354.

وهي –كما مرَّ– مجاز لغوي علاقته المشابهة، وبعبارة أخرى أكثر تفصيلاً : هي لفظ مستعملٌ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، ومن خلال هذا التعريف – مع تذكر ما مرَّ في بداية العلم من أن الاستعارة مبنية على التشبيه –نستطيع أن نَعْرِفَ أركان الاستعارة(1)، وهي :

1 – المستعار، أواللفظ المستعار، أوالمشبه به.

2 – المستعار منه ، أو معنى المشبه به، أو المعنى الأصلي لذلك اللفظ.

3 – المستعار له، أو معنى المشبه ، أوالمعنى الجديد للفظ.

4- الجامع، أو وجه الشبه.

5- القرينة.

ولنأخذ هذين التطبيقين للتوضيح و التدريب:

التطبيق الأول :

1- "كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسيره للقرآن كالبحر " تشبيهٌ.

2- "كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسيره للقرآن بحراً " تشبيهٌ محذوف الأداة ووجه الشبه(بليغ).

3- "فسر البحر القرآن للناس" استعارة.

ف (البحر) المذكور في المثال الثالث : لفظ استعمل في غير معناه الذي وضع له لعلاقة التشابه بين المعنى الأصلي – الذي هو الماء المعروف – والمعنى الجديد – الذي هو الرجل كثير العلْم – والقرينة هنا عقليِّة وهي امتناع كون المفسِّر بحراً بالمعنى الوضعي للبحر.

وإذا أردنا تحديد أركان الاستعارة هنا فسنقول:

1 – المستعار : لفظ البحر.

2 –المستعار منه : المعنى الأصلي للبحر.

---

(1) سأذكر أكثر من إطلاق لكل ركن، لدورانها في الكتب البلاغية أو لإعانتهاعلى الفهم.

3 –المستعار له : الرجل كثير العلم.

4- الجامع : الكثرة، والسعة.

5- امتناع: امتناع تفسير البحر الحقيقي للقرآن.

ويمكن أن نقول في **إجراء هذه الاستعارة**[1]: شبه الشخص كثير العلم بالبحر بجامع الكثرة والسعة في كلٍّ، ثم حذفت الأداة ووجه الشبه والمشبه على سبيل الاستعارة.

التطبيق الثاني :

1 – كان حمزة في بدر كالأسد" تشبيهٌ.

2 – "كان حمزة في بدر أسداً" تشبيهٌ محذوف الأداة ووجه الشبه (بليغ).

3 – "أرعب الأسدُ المشركين في بدر بسيفه" استعارةٌ.

ف (الأسد) المذكور في المثال الثالث : لفظ استعمل في غير معناه الذي وضع له لعلاقة التشابه بين المعنى الأصلي – الذي هو الحيوان المفترس – والمعنى الجديد – الذي هو الرجل الشجاع – والقرينة هنا عقلية وهي امتناع مقاتلة الأسد بالسيف عقلاً.

وإذا أردنا تحديد أركان الاستعارة هنا فسنقول:

1 – المستعار : لفظ الأسد.

2 –المستعار منه : المعنى الأصلي للأسد.

3 –المستعار له : الرجل الشجاع.

4- الجامع: الشجاعة.

5- القرينة: امتناع مقاتلة الأسد الحقيقي بالسيف.

ويمكن أن نقول في **إجراء هذه الاستعارة**: شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة في كلٍّ، ثم حذفت الأداة ووجه الشبه والمشبه على سبيل الاستعارة.

---

(1) على وجه التقريب للمبتدئ، وسيأتي الإجراء بعبارة أدقُّ في موضع لاحق.

ولو تأملت في التطبيقين السابقين لاتضح لك أن الاستعارة تشبيه بولغ فيه حتى صار المشبه من جنس المشبه به ، ولذلك قيل: الاستعارة تشبيه بليغ[1] حذف أحد طرفيه، ولعل هذا يزداد اتضاحاً بالمسألة الثانية التي قال **فيها الناظم**:

86 يَجْعَلُ ذا ذاكَ ادِّعاءً أَوَّلَهْ وَهْيَ إنِ اسْمُ جِنْسٍ اسْتُعِيرَ لَهْ

87 أصْلِيَّةٌ أوْ لا فَتابِعِيَّهْ وإنْ تَكُنْ ضِدّاً تَهَكُّمِيَّهْ

استطرد الناظم بهذه المسألة حيث ذكر ثلاثة مباحث متعلقة بالاستعارة:

المبحث الأول: بيان حقيقة الاستعارة ومبناها.

فمبنى الاستعارة وحقيقتها يقوم على جعل المشبه فرداً من أفراد جنس المشبه به ادعاءً ومبالغةً مع نصب قرينة تدل على إرادة خلاف الظاهر؛ فيجعل الرجل الشجاع – مثلاً– فرداً من أفراد جنس الأسد ، وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله: (يكون...أواستعاره بجعل) أي: إن الكلام يكون استعارة عن طريق جعل(ذا) أي: المشبّه(ذاك) أي: المشبّه به؛ بمعنى أنه يصير فرداً من أفراده(ادعاء) أي: على سبيل الادعاء، وأما قوله (أوله) فهو إشارة إلى وجوب نصب القرينة الدالة على تأول المتكلم، وعدم إرادته الظاهر .

المبحث الثاني: الإشارة إلى تقسيم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار:

وهي بهذا الاعتبار على قسمين:

1/ استعارة أصلية: وذلك إذا كان اللفظ اسم جنس، والمراد باسم الجنس – هنا– ما يشمل:

أ–الاسم الجامد؛ كـ(أسد) إذا استعير للرجل الشجاع .

ب–المصدر؛ كـ(القتل) إذا استعير للضرب الشديد.

---

(1) المقصود بالبليغ هنا ما حذف فيه كلٌ من :الأداةِ، ووجهِ الشبه، وقد مر معنا أنه اصطلاح لبعضهم.

2/ استعارة تبعيّة، وذلك إذا لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس ، وهذا يشمل ثلاثة أمور:

أ-الأفعال؛ ك(طار) إذا استعير للإسراع.

ب- الوصف المشتق؛ ك(شاهِد) إذا استعير للشيء الدالِّ دلالة واضحة.

ج- الحرف؛ ك(في) إذا استعير للدلالة على الملابسة الشديدة.

وهذا ما عبر عنه الناظم بقوله(وهي) أي الاستعارة(إن اسم جنس استعير له) أي : إن كان اللفظ المستعار اسم جنس(أصلية) خبر هي(أو لا) أي : إن لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس(فتابعية) أي تبعية، وقوله تابعية للضرورة مع صحته من جهة المعنى لأن التبعية تابعة للأصلية ، لكن الاصطلاح المعروف عند البلاغيين هو (التبعية).

ومن أمثل

والملاحظ أن كون الاستعارة أصلية أو تبعية لا علاقة مباشرة له بالبلاغة بحيث يقال إن أحد هذين النوعين أليق بمقام ما ، أو فيه خصوصية تميزه عن قسيمه[1]، بل الذي يستدعي أحد نوعي الاستعارة هو ما لكل لفظ مستعار (مصدر، فعل ماضٍ،اسم فاعل...إلخ) من دلالة وخصوصية تجعله مناسباً لمقام دون آخر، والله أعلم.

المبحث الثالث:الإشارة إلى نوع من أنواع الاستعارة:

وهو ما يعرف بـ(**الاستعارة التهكّميّة**)، وهي مجاز لغوي علاقته ضد أو نقيض المشابهة لغرض التهكم، ومنها قولك لجبان –تهكماً- :" أهلاً بالأسد"، فقد أطلقت الأسد في غير ما وضع له –وهو الرجل الجبان-، والعلاقة بين الأسد وبينه

(1) ولذا نص ابن عاشور على قلة جدوى هذا التقسيم" سوى ما يفيده كلام أسرار البلاغة من كون التبعية أبلغ"، موجز البلاغة: 37، ولم أتبين ما أشار إليه في كلام عبد القاهر، والله أعلم.

التضاد، وغرضك من هذا التهكم به، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[الدخان: ٤٩].

ولا بدَّ بعد أن انتهى الحديث عن الاستعارة من أن نعود لنتكلم على **المجاز المركب** الذي أشار إليه الناظم في البيت: 85 ، وأشهر صور المجاز المركب هو الاستعارة التمثيلية، وهي: تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الحقيقي.

ومن أمثلته قولك لشخص متردد: "أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى"، فهذا التركيب وضع في اللغة لمن يقدم إحدى رجليه ويؤخر الأخرى حقيقة، لكنها استعملت في المثال لغير ما وضعت له لعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي وهذه العلاقة هي التشابه في التأخر عن الإقدام على أمرٍ من الأمور، ويدخل في الاستعارة التمثيلية **الأمثال** ؛ فمثلاً: قد يدور نقاش في مجلس ويتكلم العالم والجاهل ، ويكون هناك شخص متخصص في موضوع النقاش فتقول: " لا يُفتى ومالك في المدينة" ؛ فهذا المثل وضع ابتداءً في إفتاء الإمام مالك بن أنس –رحمه الله– في المسائل الشرعية، لكنك استخدمته في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة.

ثمَّ إن الناظم لم يشر إلى ما يمكن أن يُعَدَّ أشهر تقسيمات الاستعارة على الإطلاق، ألا وهو تقسيمها إلى تصريحية ومكنية،ولعله تركه طلباً للاختصار، مع وجود عددٍ من الآراء حول الاستعارة المكنية –خصوصاً– مما قد يشوش على المبتدئ، لكني رأيت من الضروري التعرض لهذا التقسيم على طريقة القزويني[1]، فأقول – على سبيل الإجمال–: الاستعارة بالنظر إلى ذكر اللفظ المستعار على نوعين:

---

(1) دون التعرض لأي خلاف.

1/استعارة تصريحية يصرح فيها باللفظ المستعار؛ كقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ الفاتحة: ٦]؛ فقد شبه الدين[1] في الآية بالصراط وهو الطريق الواضح، وقد صرح باللفظ المستعار وهو الصراط، ويقال في **إجراء هذه الاستعارة**: شبه الدين بالصراط بجامع الوضوح والسهولة في كلٍّ[2] ثم حذف المشبه وهو الدين على سبيل **الاستعارة التصريحية الأصلية** ، ويظهر جمال هذه **الاستعارة** في تصوير الأمر المعنوي في صورة المحسوس إذا النفس به آنس، والله أعلم.

2/ استعارة مكنية لا يصرح فيها باللفظ المستعار، بل يكتفى بذكر شيء من لوازمه لتدل عليه، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي في عينيته التي رثى بها أبناءه:

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم فإذا المنية أقبلت لا تدفع

و إذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فإن المنية شبهت في البيت بالسبع بجامع الفتك في كل منهما ، لكن السبع لم يذكر بل اكتفي بذكر شيء من لوازمه وهو إنشاب الأظفار على سبيل **الاستعارة المكنية**، وهذا اللازم المذكور يسمى **استعارة تخييلية**، ويقال في **إجراء هذه الاستعارة**:شبهت المنية بالسبع بجامع الفتك في كلٍّ ثم حذف المشبه به وأُتي بشيء من لوازمه -وهو إنشاب الأظفار- على سبيل الاستعارة المكنية، وإنشاب الأظفار تخييلية ، ويتجلى لنا **جمال هذه الاستعارة** في هذه الصورة الخيالية للمنية وهي تفتك بمن تفتك به، بل وتنشب أظفارها فيه، وتقطع مع هذا الفتك كل أمل في أن تنفع تميمة أو تجدي محاولة لإنقاذ المفتوك به، منظر مفزع لا يغني عنه التعبير الحقيقي الخالي من المجاز.

---

(1) في المراد بالصراط في الآية أقوال متعددة كلها صحيحة، وهي متلازمة، انظر : تفسير الطبري:، تفسير ابن كثير: 213/1.

(2) ذكر معنى الوضوح في الصراط الطبريُّ، بينما ذكر معنى السهولة أبو هلال العسكريُّ، انظر تفسير الطبري، الفروق اللغوية:334.

هذا، وقد لخص الأخضري – رحمه الله– طريقة القزويني في توجيه الاستعارة المكنية في قوله في الجوهر المكنون:

197 – وحيث تشبيه بنفس أضمرا　　　و ما سوى مشبَّهٍ لم يذكرا

198 – و دل لازم لما شبه بـه　　　فذلك التشبيه عند المنتبه

199 – يعرف بـ (استعارة الكناية)　　　وذكر لازم بتخييليـة

وبهذا ينتهي الكلام على المجاز اللغوي؛ فلله الحمد والمنة.

القسم الرابع:
الكناية

قال الناظم:

88- و ما بِهِ لازمُ مَعْنىً وَهْوَ لا مُمْتَنِعٌ كِنايةٌ فاقْسِمْ إلى

89- إرادةِ النِّسبَةِ أوْ نَفْسِ الصفهْ أوْ غيرِ هذَيْنِ اجْتَهِدْ أنْ تَعْرِفَهْ

هذا هو القسم الرابع من أقسام حديث الناظم عن علم البيان -وهو الكناية- ، وقد تضمن مسألتين:

المسألة الأولى: تعريف الكناية:

الكناية: لفظٌ أُريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الأصلي معه[1].

فقولهم:(**لفظٌ أُريد به لازم معناه**) يخرج الحقيقة لأن اللفظ فيها يراد به معناه.

وقولهم:(**مع جواز إرادة المعنى الأصلي معه**) يخرج المجاز لأنه لا بد أن تكون هناك قرينة مانعة من إرادة الحقيقة.

مثاله: قولك : "زيد لا يغلق بابه" إذا أردت به أنه كريم؛ فلفظ "لا يغلق بابه " لا يراد به ظاهره، وإنما يراد به لازمه – وهو الكرم- ، مع أن المعنى الأصلي -وهو عدم إغلاق زيدٍ البابَ-جائزٌ غير ممتنع.

وهذا هو ما عبر عنه الناظم بقوله:(**وما**)موصولةٌ بمعنى الذي مبتدأٌ، أي: واللفظ الذي أريد(**به لازم معنىً**) أي: أريد به لازم معناه(**وهو**) أي : ذلك المعنى(**لا ممتنع**) أي : ليس ممتنعاً، وقولهُ:(**كناية**) خبر(**ما**).

وتظهر **بلاغة الكناية** في جوانب متعددة منها[2]:

1/ إيثار الأسلوب غير المباشر إذا اقتضاه المقام، ويقرب منه تحاشي ما يقبح من الكلام.

---

(1) أي : مع ذلك اللازم.

(2) انظر هذه الأغراض وغيرها في: شرح الجوهر المكنون للأخضري، البلاغة العربية – أسسها وعلومها وفنونها- للدكتور:عبدالرحمن حبنكة الميداني:143/2،وأفنان البيان للدكتور:الشحات أبو ستيت:268 .

2/ إعطاء السامع فرصة للتفكير لإدراك المطلوب الحقيقي من الكلام.

وستأتي أغراض أخرى ضمن الكلام على المسألة الثانية.

المسألة الثانية: تقسيم الكناية:

حيث تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الكناية المطلوب بها النسبة[1] بين الموصوف والصفة، حيث يصرح فيها بكل من الموصوف والصفة لكن لا يصرح بالنسبة بينهما، كقوله:

إن السماحة والمروءة والندى   في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابن الحشرجِ

ففي البيت كناية عن نسبة الصفات المذكورة إلى ابن الحشرج-،حيث لم يصرح الشاعر بالنسبة، ومنه –أيضاً- قول الشاعر:

ظاعن بالحزم حتى إذا ما حلَّ حلَّ الحزم حيث يحلُّ[2]

ففي البيت كناية عن نسبة الحزم إلى الموصوف

ولعل **مما يميز الكناية عن النسبة** المبالغةُ في الإخفاء وعدم التصريح، مع مافيه من المبالغة في الإشعار بشدة التلازم الذي لايُحتاج معه إلى التصريح بالنسبة.

القسم الثاني: الكناية المطلوب بها الصفة ، حيث تستر الصفة المكنى عنها بصفة أخرى تلازمها، نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾الفرقان: ٢٧، فعض الظالم على يديه كناية عن الندم بل عن شدة الندم والحسرة.

ومنه –أيضاً- قوله تعالى: ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾النساء: ٤٣] عند من حمل الملامسة على الجماع، وفي الكناية في مثل هذه الآية تأديب للأمة ، وتنبيه على الابتعاد عن الألفاظ الخادشة للحياء.

---

(1) النسبة هي : إثبات أمرٍ لأمرٍ أو نفيه عنه، والظاهر أنها مرادفة لـ:(الإسناد).

(2) ظاعن : مسافرٌ.

ولعل مما يميز **الكناية عن الصفة** أنها تثبت الشيء عن طريق إثبات دليله، وهو أقوى في الإثبات من ذكره دون دليل، كما أن فيها إظهاراً لفطنة المتكلم والسامع في إدراك اللوازم التي قد تكون بعيدة.

القسم الثالث: الكناية المطلوب بها غير نسبة ولا صفة[1]- والأعم الأغلب أن يكون المكنى عنه فيها موصوفاً -، كأن تذكر الصفة والنسبة ويُستر الموصوف بصفة تلازمه، كقوله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القمر: ١٣] كنايةً عن السفينة، وفي هذه الكناية إظهار لقدرة الله وعنايته حيث نجاهم من ﴿ مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ على مجرد ألواح ودسُر.

ومنه قول الشاعر:

الضارِبِينَ بِكُلِّ أبْيَضَ مِخْذَمٍ والطـاعِنِيْنَ مَجـامِعَ الأضْـغانِ[2]

فـ(مجامع الأضغان) كناية عن القلوب – وهي موصوف-، فقد ذكرت الصفة – وهي الطعن- ونسبت إلى صفة ملازمة للموصوف المطلوب، وفي الكناية في البيت تعليل لطعنهم.

ولعل مما يميز **الكناية عن الموصوف** أنها تبرز أهم صفات الموصوف وأنسبها للسياق.

وقد أشار الناظم إلى هذه الأقسام بقوله**:** (فاقسم إلى...)إلخ.

بهذا انتهى الكلام على علم البيان، والحمدلله أولاً وآخراً.

---

(1) المشهور أن يطلق عليها (الكناية عن موصوف) ، لكن الناظم متابع للقزويني في عبارته، انظر التلخيص: 91، وانظر سر عدول القزويني إلى هذا التعبير في: حاشية الدسوقي:247/4.

(2) أبيض مخذم : سيف قاطع.

الفن الثالث :

علم البديع

ينحصر علم البديع عند الناظم – تبعاً للقزويني– في تمهيد وثلاثة أقسام :

التمهيد : وفيه تعريف علم البديع.

القسم الأول : المحسنات اللفظية.

القسم الثالث : المحسنات المعنوية.

القسم الرابع : الخاتمة في السرقات الشعرية وما يتصل بها .

التمهيد

قال الناظم – رحمه الله–:

90– علم البديع وهو تحسين الكلام

بعد رعاية الوضوح والمقام

91– ضربان:..................

علم البديع: علم تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية كل من : الوضوح في الدلالة و المطابقة لمقتضى الحال.

فهذا العلم تعرف من خلاله (وجوه تحسين الكلام) أي الأحوال العارضة له التي تورثه حسناً ، وقولهم (بعد رعاية...) أي أن هذا الحسن في الكلام زائدٌ على الحسن الحاصل برعاية الوضوح والمقام، ومراعاة الوضوح –كما مرَّ– تتعلق بعلم البيان ، ومراعاة المطابقة–كما مرَّ– تتعلق بعلم المعاني، وعلى هذا فعلم البديع يعرفنا بما يزيد الكلام حسناً فوق حسنه الحاصل بالعلمين السابقين.

وتنقسم وجوه تحسين الكلام إلى قسمين:

القسم الأول:**المحسنات المعنوية** ، وهو ما يرجع إلى تحسين اللفظ أولاً وبالذات، وإن كان يتبعه تحسين المعنى، وتعرف هذه المحسنات بأنها لو غير فيها اللفظ بما يرادفه لبقي ذلك المحسِّن كما هو[1].

القسم الثاني:**المحسنات اللفظية**، وهو ما يرجع إلى تحسين اللفظ أولاً وبالذات، وإن كان يتبعه تحسين المعنى، وتعرف هذه المحسنات بأنها لو غير فيها اللفظ بما يرادفه لزال ذلك المحسِّن[2].

([1]) دراسات منهجية في علم البديع:28، علم البديع للدكتور بسيوني فيود:97، ولم يعزواه إلى أحد من السابقين .

([2]) انظر الهامش السابق.

وقد أشار الناظم إلى هذا التقسيم إجمالاً بقوله: (**ضربان**)، وسيفصل فيهما فيما سيأتي من أبيات.

الضرب الأول :
المحسنات اللفظية

قال الناظم – رحمه الله– :

91 – ... : لفظي كتجنيس ، وردّ

و سجع أو قلب وتشريع ورد

بدأ الناظم بالمحسنات اللفظية خلافاً للقزويني، ولعله أخر الحديث عن المحسنات المعنوية لطول الكلام عنها، و قد ذكر الناظم خمسة من تلك المحسنات[1]، وهي:

الأول: التجنيس – ويطلق عليه الجناس أيضا – : وهو تشابه اللفظين في التلفظ[2]، وللجناس تقسيمات كثيرة جداً، وسأكتفي **بتقسيمه بالنظر إلى التوافق والاختلاف بين اللفظين** ؛حيث ينقسم الجناس بهذا الاعتبار إلى:

1/ جناس تام. 2/جناس غير تام.

فالجناس التام أن تتفق الكلمتان في:

أ– نوع الحروف[3]. ب– عدد الحروف.

ج– هيئة الحروف[4]. د–ترتيب الحروف.

ومنه قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) ﴾الروم: ٥٥: ، ولعل الجناس في الآية الكريمة ينبهنا إلى الفرق الكبير بين الساعتين، ساعة مصيرية تميزت عن كل الساعات حتى أضحت هي (الساعة) بالتعريف، وأخرى ليست سوى مجرد (ساعة) بالتنكير.

أما **الجناس غير التام** فهو أربعة أقسام[5]:

---

(1) وترك مما ذكره القزويني : الموازنة، ولزوم ما لا يلزم، ولعله تركهما طلباً للاختصار، مع كونهما من السجع عند بعض أهل العلم.

(2) أي مع اختلافهما في المعنى.

(3)المراد بالنوع نفس الحرف فكل حرف يعد نوعاً.

(4)المراد بالهيئة : الحركات والسكنات ، والحرف المشدد يعد في هذا الباب مخففا .

(5)مبنية على الاختلاف في الأمور الأربعة المتفقة في الجناس التام.

القسم الأول : هو ما يختلف اللفظان فيه في هيئة الحروف، ويسمى: (**الجناس المحرف**) نحو قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾[النساء: ٣٦]، ولعل هذا التناسب اللفظي ناسب هذا التعداد المفصل لأصحاب الحقوق لأن هذا التعداد قد يبعث على الملل إذا خلا مما يلطفه ويخففه على اللسان والأذن .

القسم الثاني : هو ما يختلف اللفظان فيه في عدد الحروف، ويسمى: (**الجناس الناقص**)، نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ٣٠﴾[القيامة: ٢٦ - ٣٠]، ومقام الوعظ في هذه الآية يناسبه هذا التناسب اللفظي المؤثر في النفوس : (الساق) و (المساق).

القسم الثالث : هو ما يختلف اللفظان المتجانسان فيه في نوع الحرف ، وهو على قسمين:

1/ما كان الحرفان فيه متقاربي المخرج، ويسمى :(**الجناس المضارع**)، نحو قوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾[الأنعام: ٢٦].

2/ ما كان الحرفان فيه متباعدي المخرج، ويسمى: (**الجناس اللاحق**)، نحو قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾[الهمزة: ١]، وهذا التناسب اللفظي، والتوافق في الوزن الصرفي، والاشتراك في جل الحروف يُشعر أنهما صفتان من باب واحد[1]،

(1) راجع ما ذكره أهل العلم في دلالة هذا الوزن، انظر على سبيل المثال: الكشاف:283/4.

وبين الكلمتين تقارب في المعنى يناسب تقاربهما في اللفظ، وهو ما سماه ابن جني تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.

تنبيه :

يشترط أن يكون الاختلاف بين الكلمتين المتجانستين بحرف واحد فقط.

القسم الرابع: أن يختلفا في ترتيب الحروف ، نحو قوله تعالى:﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ [طـه: ٩٤].

وتظهر **بلاغة الجناس** – عموماً- في أمور منها:

1/ امتاع الأذن بالتناسب اللفظي بين الكلمتين.

2/امتاع العقل بإدراك الفرق بين معنى الكلمتين .

الثاني: رد العجز على الصدر:هو –كما عرفه ابن المعتز-: "رد أعجاز الكلام على ما تقدمها"[1]، ومنه قوله تعالى:﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ ﴾النساء: ١١ إلى أن قال عز وجل: ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾النساء: ١٢فقد رد آخر الكلام على أوله بذكر الوصية " تعظيماً للأمر باكتناف الوصية بأولها وآخرها"[2].

([1]) البديع لابن المعتز: ، وقد أعرضت عن تعريف القزويني في هذا الموضع – خصوصاً- لتضييقه مصطلح (رد العجز على الصدر) بينما توسع فيه المفسرون موافقين في ذلك متقدمي البلاغيين كابن المعتز وغيره، انظر معجم المصطلحات البلاغية :228/2 فما بعدها- تحت مصطلح (التصدير)-.

([2]) التحرير والتنوير:267/4.

ومنه قوله تعالى في أول سورة الحشر: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحشر: ١] مع قوله في آخرها: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

وتظهر بلاغة رد العجز على الصدر في[1]:

1/ترسيخ المعنى وتوكيده بإعادته في آخر الكلام.

2/تلاحم الكلام وترابطه ودلالة أوله على آخره.

الثالث:**السجع** :وهو تواطؤ الفاصلتين[2] من النثر على حرف واحد ، ومن أمثلته قولـــه تعـــالى[3] : ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مـــريم: ٨٨ – ٩٥].

وتظهر بلاغة السجع –بشكل عام–في إمتاع الأذن إمتاعاً يشدها إلى الكلام ويحثها على السماع دون ملل أو فتور[4].

---

(1) وانظر : البديع للدكتور بسيوني فيود:264.

(2)الفاصلة : الكلمة الأخيرة من القرينة ، والقرينة : قطعة من الكلام جعلت مزاوجة لأخرى، انظر:مواهب الفتاح:446/4، حاشية الدسوقي: 445/4.

(3) يرى جمع من أهل العلم عدم إطلاق مصطلح السجع على الفواصل القرآنية، انظر – على سبيل المثال– : معجم المصطلحات البلاغية:149/2-3،128/150 فما بعدها.

(4) وانظر : البديع للدكتور بسيوني فيود:260 .

وللتوافق في الفواصل القرآنية بشكل خاص أثر في النفس عجيب، ورغم كل الجهود المتعلقة بدراسته والكشف عن جماله قديماً وحديثاً إلا أنه مازال سراً يصعب تعليله بشكل دقيق، والله أعلم.

الرابع:**القلب** : وهو أن يكون الكلام بحيث لو عكسته وبدأت بحرفه الأخير إلى الأول كان الحاصل الكلام الأول بعينِهِ ، نحو:

مودتُه تدومُ لكلِّ هولٍ وهل كل مودتُه تدومُ

وهذا النوع لا يخلو من تكلف ظاهر –خاصة إن كان شعراً–، ومن أمثلته نثراً: " كبِّرْ رجاء أجر بك".

الخامس: **التشريع**[1] -: وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما، كقول الحريري :

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأكدار

دارٌ متى ما أضحكتْ في يومِهَا أبكتْ غداً تبّاً لها من دار

غاراتُها لا تنقضِي وأسيرُها لا يُفتدى بجلائلِ الأخطارِ

فإنك تستطيع بحذف آخره أن تحوله إلى :

يا خاطب الدنيا الدنيـ ـة إنها شرك الردى

دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا

غاراتها لا تنقضي وأسيرها لا يفتدى

وبهذا انتهي الكلام على المحسنات اللفظية.

([1]) يتحاشى بعض أهل العلم هذا المصطلح لأن قد اشتهر استعمال : (التشريع)فيما يتعلق بالشرع، ولذلك يسمونه التوشيح.

الضرب الأول :
المحسنات المعنوية

قال الناظم:

92–والْمَعْنَوِيُّ وَهْوَ كَالتَّسْهيمِ   و الْجَمْعِ والتَّفريقِ والتَّقْسيمِ

بعد أن انتهى الناظم من المحسنات اللفظية شرع في المعنوية، وذكر في هذا البيت

أربعة من تلك المحسنات وهي :

الأول: التسهيم:وهو أن يُجعل قبل العجُز من الفقرة[1] أو البيت ما يدل عليه إذا عرف الروي[2]، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج: ١٢ – ١٦]؛فقد دلت كلمة : ﴿فَعَّالٌ﴾مع معرفة أن الروي دال قبلها ياء مد أن العجز: ﴿يُرِيدُ﴾

ومنه قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئا فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع

فقد دلت كلمة: (لم تستطع) أن العجز(لاتستطيع)[3].

وهذا المحسِّن يجعل السامع يقظاً مشاركاً للمتكلم، ويدل على شدة تناسب الكلام وإحكامه.

الثاني :**الجمع** : وهو أن يجمع بين متعدد في حكم واحد، كقوله تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾الكهف: ٤٦ فقد جمع بين المال والبنين في كونهما زينة الحياة الدنيا، ومنه قوله تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ

---

[1] الفقرة على قول : كل قطعة من الكلام الموقوفة على حرف واحد لحسنها ولطافتها، حاشية الدسوقي:433/4، والعجز : آخر كلمة من الفقرة أو البيت .

[2] الروي –هنا–: الحرف الذي بني عليه أواخر الأبيات أو الفقر، مختصر المعاني: 307/4.

[3] يلاحظ أن العجز عُرف هنا دون حاجة لمعرفة الروي، ولذلك يرى البعض أن معرفة الروي ليست شرطاً في كل حال، انظر عروس الأفراح: 308/4.

ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

ومن بلاغة **الجمع**[4] :

1/الإيجاز، بخلاف ما لو لم يجمع المتكلم وجعل كل خبر على حدة؛ إذاً لطال الكلام وثقُل.

2/إثارة الفكر وتشويق النفس للحكم على الأمور التي جمعها المتكلم، خاصة إذا كثرت الأشياء التي يراد جمعها.

الثالث: **التفريق**: وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد كقوله :

ما نوال الغمام وقت ربيع　　　كنوال الأمير يوم سخاء

فنوال الأمير بدرة عين　　　ونوال الغمام قطرة ماء[5]

فقدأوقع الشاعر التباين والتفريق بين نوال الغمام ونوال الأمير وهما أمران من نوع واحد وهو مطلق النوال.

ومن بلاغة **التفريق** تمييزه للشيء عما يشترك معه، وهذا التمييز يجعله فائقاً نظائره مدحاً أو قدحاً أو غيرذلك[6].

الرابع : **التقسيم**: وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكلٍّ إليه على التعيين، نحو قوله تعالى:

([4]) انظر دراسات منهجية في علم البديع:233-234.

([5])بدرة عين – هنا-: كيس مملوء ذهباً ومالاً –قيل عشرة آلا ف درهم وقيل غير ذلك-، وسمي بذلك تشبيها له بالبدرة وهو ما يمسكه ولد الشاة من اللبن بعد أن يُفطم ، انظر: الصحاح (ب د ر)، القاموس المحيط(س خ ل)،(ب د ر)، وتاج العروس (ب د ر) ، حل العويص:381.

([6]) وانظر دراسات منهجية في علم البديع:238.

﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٦ – ١٠٧]، فقد ذكر الذين تبيض وجوههم والذين تسود وجوههم ثم أضاف ما لكلٍّ إليه على التعيين.

وتظهر بلاغة **التقسيم** في التفصيل بعد الإجمال والإيضاح بعد الإبهام ممايجعل السامع يتشوق فيتمكن المعنى في نفسه بعد التفصيل والإيضاح فضل تمكن[7].

ثم قال الناظم رحمه الله:

93- والْقَوْلِ بِالْمُوجِبِ والتجريدِ والْجَدِّ والطِّباقِ والتَّأْكِيدِ

ذكر الناظم في هذا البيت ستة من المحسنات المعنوية, وهي:

الأول: القول بالموجب[8]: وهو- في إحدى صورتيه-[9]:حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله ذلك اللفظ بذكر متعلقه.

ومن أمثلته[10] ما ذكر أنه: "قيل يوماً على مائدة بخيل: ما أحسن الأيدي على المائدة، فقال: مقطعةً"؛ فقد حمل البخيل كلامهم على خلاف مرادهم مما يحتمله ظاهر لفظهم، وذلك عن طريق ذكر المتعلِّق.

ومن أمثلته ما ذُكِر أنَّ المنصور قال لمعن بن زائدة: كبرت يامعن، فقال: في طاعتك، فقال: إنك لجلد، فقال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك لبقية، قال: هي لك يا أمير المؤمنين.

---

(7)انظر دراسات منهجية في علم البديع : 244فما بعدها.

(8)يصح فيه كسر الجيم وفتحها ، انظربغية الإيضاح:632/4.

(9) انظر الصورة الأخرى في تلخيص المفتاح :108.

(10) هذا المثال والذي بعده في :" الهول المعجب في القول بالموجب" للصفدي:80 ، والكتاب مليء بالأمثلة.

ولا يخفى ما في هذه الصورة من صورتي القول بالموجب من مفاجأة للمخاطب، ولعلها أليق بمقامات الهزل والطرفة[11].

الثاني: **التجريد**: وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله فيها مبالغةً لكمالها فيه، نحو قولهم :" لي من فلان صديق حميم ، فقد انتزع من أمر ذي صفة – وهو الرجل المتصف بالصداقة– آخر مثله في تلك الصفة – التي هي الصداقة–، والغرض من هذا المبالغة؛ كأن الرجل بلغ من الاتصاف بالصداقة درجة يصح معه أن ينتزع منه صديق آخر.

ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فصلت: ٢٨] فجعلت النار كالظرف لدار الخلد مع أنها هي دار الخلد، وكأن صفة الخلد للنار بلغت مبلغاً عظيما جعلها تستقل بنفسها حتى كأنها غير النار.

ومن صور التجريد عند البلاغيين مخاطبة الإنسان نفسه كقول الأعشى:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجلُ

فقد انتزع الشاعر من نفسه نفساً أخرى وخاطبها.

وتظهر بلاغة التجريد في أمور منها[12]:

1/ المبالغة في الاتصاف بالصفة.

2/إثارة خيال السامع وتنشيط ذهنه لفهم المراد، لأن كثيراً من صور التجريد تجري على غير المعتاد.

كما أنَّ لمخاطبة الإنسان نفسه نكاتٍ أخرى متعددة تظهر من خلال السياق.

([11]) يلاحظ التقارب بين هذه الصورة وبين الأسلوب الحكيم، انظر في الفرق بينهما :الاسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية للدكتور محمد بن علي الصامل.

([12]) انظر البديع لفيّود:174، وانظر للتوسع دراسات منهجية:179فما بعدها.

الثالث : **الجدّ** – ويسمى الهزل الذى يراد به الجد- ، وهو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه، فيخرج ذلك المقصود مخرج الهزل والمجون[13]، فالهزلية في هذا المحسِّن باعتبار أصل استعمال الكلام، والجدية باعتبار ما قصد منه في الحالة الراهنة[14]،وهو كثير فيمن اشتهروا بالنوادر كأشعب ونحوه؛ فمن ذلك ما حكي أن بعض ولاة المدينة - وكان رجلا بخيلاً- دعا الناس ثلاثةَ أيام وهو يجمعهم على مائدة فيها جدي مشوي فيحوم الناس حوله ولا يمسه أحد منهم لعلمهم ببخله، وكان أشعب يحضر مع الناس ويرى الجدي فقال في اليوم الثالث:"زوجته طالق إن لم يكن عمر هذا الجدي بعد أن ذُبِحَ وشُوِيَ أطولَ من عمره قبل ذلك"[15].

ومن أمثلته قول الشاعر[16]:

أرقيك أرقيك باسم الله أرقيكا   من بخل نفسك علَّ الله يشفيكا

ما سِلْمُ كفك إلا من يتاركها   ولا عدوك إلا من يرجيكا

الرابع: **المطابقة** - ومن أشهر أسمائها الطباق – وهى : الجمع بين متضادين[17] في كلام واحد، أو ما هو كالكلام الواحد في الاتصال، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾[البقرة: ٢٥٧]،وقوله تعالى :﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾.

وتظهر بلاغة **الطباق**- إذا خلا من التكلف- في أمور منها[18]:

---

(13) التعريف في تحرير التحبير -بشيء من الاختصار-.

(14) مواهب الفتاح:403/4، وحاشية الدسوقي: 402/4.

(15) تحرير التحبير: .

(16) نسب البيتان في البديع لابن المعتز إلى أبي العتاهية.

(17)المقصود بالتضاد – هنا - وجود نوع من التقابل والتنافي بين الشيئين ولو في بعض الصور.

(18)انظر البديع لفيّود:113، و دراسات منهجية:50 فما بعدها.

1/ أن الأشياء تتميز بأضدادها.

2/ إثارة الفكر للتأمل وعقد المقارنات.

الخامس والسادس: التأكيد : والظاهر أنه يشمل :

1/تأكيد المدح بما يشبه الذم.

2/تأكيد الذم بما يشبه المدح .

فمن أمثلة **تأكيد المدح بما يشبه الذم** قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ﴾[الواقعة: ٢٥ — ٢٦]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾[البروج: ٨]، والآية مع أنها زادت بهذا المحسِّن من مدح المؤمنين، إلا أنها في الوقت نفسه زادت من ذم الذين عذبوهم من الظالمين.

أما **تأكيد الذم بما يشبه المدح** فمنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾[النساء: ١٦٨ — ١٦٩] ، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾[النبأ: ٢٤ — ٢٥]،وفي المثالين ما لا يخفى من قطع الآمال، والتيئيس من النجاة لأهل الضلال.

وتظهر بلاغة هذين **المحسنيْن** في أمور منها[19]:

1/تأكيد المعنى.

2/لفت انتباه السامع ودفعه للإصغاء ومفاجأته بغير ما يتوقع.

ثمَّ قال الناظم:

94- والعَكْسِ والرُّجُوعِ والإيهامِ   و اللَّفِّ والنَّشْرِ والاسْتِخْدامِ

ذكر الناظم في هذا البيت خمسة من فنون الضرب المعنوي، وهي:

([19])انظر البديع لفيّود:197، و دراسات منهجية:194 فما بعدها.

الأول: العكس : وهو أن يُقدم جزء في الكلام على جزء ثم يُعكس فيقدم ما أُخِّر ويؤخر ما قدم ، ومنه قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]،ومن أمثلته – أيضاً– قولهم : " عادات السادات سادات العادات".

وتظهر بلاغة **العكس** في أمورٍ منها:

1/لفت الانتباه بهذا الأسلوب المتعاكس.

2/إثارة فكر السامع وتنشيط ذهنه لإدراك المراد.

3/ التناسب اللفظي[20].

الثاني : الرجوع :وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض لنكتة[21]؛ كقوله :

قف بالديار التى لم يَعْفِها القِدَمُ بلى وغيرها الأرواح والديم[22]

والنكتة في البيت إظهار التحير وذهاب العقل من شدة الحب.

وكثيراً ما يستخدم محسن **الرجوع** في مقامات المزاح، والتعريض[23] في الكلام.

([20]) إنما كان العكس من المحسنات المعنوية لأن فيه عكس المعنى وتبديله أولاً،ثم يتبعه وقوع التبديل في اللفظ بخلاف رد العجز على الصدر؛ فإنه إيراد اللفظين أحدهما في أول الكلام والثاني في آخره،حاشية الدسوقي:318/4، والمقام مقام تقرير لكلامهم.

([21]) أما إذا نقض الكلام السابق لمجرد الغلط فليس من المحسنات، انظر مواهب الفتاح:321/4، حاشية الدسوقي:321/4.

([22]) لم يعفها : لم يبلها تطاول الزمن ،الأرواح –بالواو-: جمع ريح ، والديم : جمع ديمة وهي السحابة ذات المطر الكثير، انظر مختصر المعاني:321/4، وحاشية الدسوقي:322/4.

([23]) ليس المقصود بالتعريض هنا معناه الاصطلاحي.

الثالث: **الإيهام** – واسمه الأشهر التورية –، وهو: أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد، ومن أمثلته ما رواه البخاري في حديث الهجرة وفيه:"قَالَ فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِى السَّبِيلَ . قَالَ فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِى الطَّرِيقَ ، وَإِنَّمَا يَعْنِى سَبِيلَ الْخَيْرِ "(24)،ومنه قول الشاعر:

أصون أديم وجهي عن أناس لقاء الموت عندهم الأديب

وربُّ الشعر عندهم بغيضٌ ولو وافى به لهم (حبيبُ)

فـ(حبيب) لها معنى قريب غير مراد –وهو المحبوب–، ولها معنى بعيد مراد وهو الشاعرحبيب بن أوس —أبو تمام، وقد اقترن البيت بما يزيد التورية خفاء حيث ذكر الشاعر كلمة (بغيض) في الشطر الأول.

وتظهر بلاغة **التورية** في أمور منها(25):

1/الخروج من مأزق.

2/لفت انتباه السامع حتى يدرك المعنى بعد شيء من إعمال الذهن.

الرابع: **اللف والنشر**: وهو: ذكر متعدد على التفصيل أو الاجمال ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه(26) ،فمن أمثلة ما ذكر فيه المتعدد **على سبيل التفصيل** قوله تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص: ٧٣]، فقد ذُكِرَ كلٌّ من الليل والنهار تفصيلاً، ثم ذكر السكون المناسب لليل، وابتغاء الفضل المناسب للنهار دون تعيين؛ لأن السامع يستطيع تمييز ما يناسب كلاً.

---

(24) رواه البخاري(3911).

(25) انظر دراسات منهجية في علم البديع:137-140، وعلم البديع لفيود:151.

(26)فالفرق بينه وبين التقسيم الذي مرَّ هو عدم التعيين.

ومن أمثلته أيضاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ ﴾ [الإنسان: ٣ – ٥]، فقد ذكر الشاكر والكفور تفصيلاً، ثم ذكر العذاب المناسب للكفور، ثم النعيم المناسب للشاكر.

ومن أمثلة ما ذكر فيه المتعدد **على سبيل الإجمال** : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١١١ ﴾ [البقرة: ١١١]؛ فقوله عزَّ وجل: ﴿ وَقَالُواْ ﴾ فيه ذكر للمتعدد – اليهود والنصارى– إجمالاً، ثم ذكر ما يخص كلا منهما في قوله: ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾.

وتظهر بلاغة اللف والنشر في أمور منها[27]:الإيضاح بالتفصيل بعد الإبهام بالإجمال، وهذا يشوق السامع ويجعله يقظاً ينتظر إتمام الفائدة فيتمكن الكلام بعده فضلَ تمكن.

الخامس: الاستخدام[28]:

أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره معناه الآخر[29]كقوله:

إذا نزل السماءُ بأرضِ قوم   رعيناهُ وان كانوا غِضابا

فالمراد بالسماء في الشطر الأول المطر والمراد بالضمير العائد إليها في الشطر الثاني العشب.

وهذا المحسّن كثير الوقوع في المتون العلمية ، ولذلك تجده التنبيه عليه بكثرة في كلام الشُّرَاح"، وتظهر بلاغته في [30]:

---

(27) وانظر دراسات منهجية في علم البديع:228 فما بعدها، وعلم البديع لفيود:177.

(28) وللاستخدام صور أخرى ، انظر البديع لفيود:152-155.

(29) وقد يتعدد الضمير وتتعدد المعاني ، انظر البديع لفيود:152-155.

1/ الإيجاز من جهة.

2/ تنشيط ذهن السامع لإدراك المعنى المراد.

ثمَّ قال الناظم رحمه الله:

95- والسَّوْقِ والتَّوْجِيهِ والتَّوْفيقِ و الْبَحْثِ والتَّعليلِ والتَّعْلِيقِ

ذكر الناظم في هذا البيت ستة من فنون الضرب المعنوي

الأول: السوق: وقصد به الناظم ما يُسمى : سوق المعلوم مساق غيره لنكتة [31]، نحو قوله:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا: ليلاي منكن أم ليلى من البشر؟[32]

والنكتة في البيت: إظهار الحيرة وذهاب العقل بسبب الحب، ونكات هذا المحسِّن" أكثر من أن يضبطها القلم"[33].

الثاني: التوجيه: وهو إيراد الكلام محتملاً[34] لوجهين متضادين ، ومنه قول بشاربن برد في خياط أعور:

خاط لي عمرو قَبَا ليت عينيه سوا

قلت شعراً ليس يدرى أمديحٌ أم هجا

فالبيت يحتمل الدعاء له أو عليه.

والفرق بينه وبين التوجيه أن المعنيين محتملين فيه على السواء، ونكانه قريبة من نكات التورية[35].

([30]) انظر:البلاغة للميداني : 401/2، البديع لفيود:155.

([31])ويسمى أيضا تجاهل العارف لكن تحاشى هذا المصطلح بعض أهل العلم لوروده في القرآن،انظر مختصر المعاني:403/4.

([32]) القاع: الأرض المستوية.

([33]) مختصر المعاني:406/4.

([34])بالنظر إلى نفس اللفظ- وإن ترجح أحد المعنيين بقرينة-.

الثالث : **التوفيق**[36]: ويُسمى مراعاة النظير، وهو : جمع أمر[37] وما يناسبه لا بالتضاد ، نحو : ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾ [الرحمن: ٥]؛ فالشمس والقمر متناسبان لكنهما غير متضاديْن.

و **التوفيق** مما ينبغي أن يحرص عليه المتكلم حتى لا يغدو كلامه مفككاً ضعيف الترابط، وقد عيب على كثير من الشعراء جمعهم بين أمور لا تناسب بينها.

فائدة[38] :

من مراعاة النظير ما يُسمَّى تشابه الأطراف وهو أن يختم الكلام بما يناسب ابتدائه في المعنى نحو الآيات المختومة بالأسماء الحسنى ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝٣٩ ﴾ [المائدة: ٣٨ – ٣٩]، لما ذكر القطع والنكال ناسب ذكر العزيز الحكيم، ولما ذكر التوبة ناسب ذكر المغفرة والرحمة.

الرابع : **البحث**: وقد حمله –أكثر شراح المنظومة – على المذهب الكلامي، وهو: إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، وحاصل مراد البلاغيين بهذا المصطلح يرجع إلى احتواء الكلام على حجج عقلية صحيحة[39]، كقوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]،

---

(35) وانظر البديع لفيود:157.

(36) تحت هذا المحسن صورٌ وأقسام تنظر في ما هو أوسع من هذا الكتاب، وتطبيقه في القرآن واسع.

(37) أو أمور.

(38) نبهت عليه لكثرة وروده في القرآن.

(39) انظر إصلاح الإيضاح : 107-108.

وهذه الحجج العقلية كثيرة في القرآن ، وتكمن بلاغة هذا **المحسِّن** في : إقناع المجادلين وإفحامهم.

الخامس : **التعليل**: والمراد به – عند أكثر شراح المنظومة – حسن التعليل وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غيرحقيقي ، ومعنى كونه لطيفاً أنه دقيق لا يدركه إلا من له تصرف في دقائق المعاني كقول المتنبي :

ما به قتل أعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئابُ

فعلة قتل الأعداء – عادة – هو دفع مضرتهم ، لكن الشاعر علله بكرم الممدوح مما جعله يخشى تخييب رجاء الذئاب في لحوم من سيقتله من الأعداء.

وتظهر بلاغة حسن التعليل في أمور منها:

1/إظهار قدرة الشاعر على الخيال.

2/ إمتاع السامع بأمور لا حقيقة لها كما أنها لا تخلو من طرافة –غالباً–.

السادس : **التعليق**:ويسمى الاستتباع[40]، وهو– عند القزويني–: المدح[41] بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر، ومن أمثلته اللطيفة قوله:

سمح البديهة ليس يمسك لفظه فكأنما ألفاظه من ماله

فإنه مدحه بذلاقة[42] اللسان على وجه استتبع وصفه بالكرم[43].

وتظهر بلاغة التعليق في عرضه الأمر في صورة المسلم البدهي الذي يصلح أن يبنى عليه أمر آخر، والله أعلم.

([40]) هذا أحسن ما يحمل عليه كلام الناظم فيما يبدو لي، والله اعلم.

([41]) وهناك من لايخصصه بالمدح، انظر على سبيل المثال: خزانة الأدب:255/4، وانظر للتوسع: معجم المصطلحات البلاغية:295/2فما بعدها – تحت مصطلح التعليق–.

([42]) ذلاقة اللسان : حدته وبلاغته، القاموس المحيط(ذ ل ق).

([43]) انظر خزانة الادب:256/4.

الخاتمة:

في السرقات الشعرية

وما يتصل بها

هذه الخاتمة جزءٌ من علم البديع[1] ، وينقسم كلام الناظم فيها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : السرقات الشعرية .

القسم الثاني : ما يتصل بالسرقات الشعرية.

القسم الثالث : مواضع التأنق في الكلام.

ووجه جعل هذه الأقسام الثلاثة من علم البديع أن حسنَهَا عَرَضي ليس داخلاً في حد البلاغة[2]، وقد ذكروا في سرِّ الجمع بينها وجوهاً لعل أحسنها حاجتها إلى مزيد احتياط وعناية[3].

أما **السرقات الشعرية**[4] فالمقصود بها: أخذ الشاعرِ من شعرِ شاعرٍ سابقٍ له[5]، ويشترط في القول بالسرقة إمكانية ادعاء السبق والزيادة بين القائلين فيما أُخذ ، فتشبيه الرجل الشجاع بالأسد – مثلاً – أمر اشترك الناس في معرفته ؛ وبالتالي لا يمكن ادعاء أن اللاحق أخذه من السابق ؛ وعليه فلا يدخل في باب السرقة.

قال الناظم رحمه الله:

96–السرقات ظاهرٌ فالنسخُ   يُذَمُّ لا إن استُطيبَ المسخ

97–والسلخُ مثلُه،وغيرُ ظاهرِ   ....

---

(1) على ما رجحه التفتازاني ، وأول من جعلها ضمن علم البديع ووضعها في آخره هو القزوينيُّ في تلخيص المفتاح.

(2) على مذهب القزويني .

(3) انظر:الأطول:240، وعنه نقل الدسوقي:274/4، وانظر وجهين آخرين في مواهب الفتاح:475/4.

(4) التقييد بالشعرية من باب أن أكثر السرقة في الشعر لا في النثر.

(5) على تفصيل في مقدار الأخذ وكيفيته على ما سيأتي.

السرقات على ضربين : ظاهرة، وغير ظاهرة، وقد أشار الناظم إلى هذا التقسيم بقوله : (**السرقات: ظاهر**) ثم قال: (**وغير ظاهر**[1]).

فالسرقة **الظاهرة** هي : **أخذ المعنى كلّه**[2]، وهي على ثلاثة أقسام :

النوع الأول: النسخ، وهو أن يُؤخذ اللفظ كُلِّه و بنفس ترتيب ونظم مفرداته[3]، فتبين أن له شرطين هما :

1 – أخذ اللفظ كله.

2 – المحافظة على ترتيب المفردات.

وهذا القسم مذموم جدًا؛ لأنه مَحْضُ سرقة

فائدة :

مثل النسخ في الذم أن يبدل بالكلمات كلِّها أو بعضِها ما يرادفها، ويستثنى من ذلك ما إذا أفاد التبديل مزيةً كحسن سجع– مثلاً–.

النوع الثاني: المسخ، وهو: أن يؤخذ بعض اللفظ، أو يؤخذ اللفظ كله مع تغيير الترتيب[4] ، فتبين بهذا أن له ثلاث حالات :

الأولى : أخذ بعض اللفظ مع بقاء الترتيب.

الثانية : أخذ اللفظ كله مع تغيير الترتيب.

الثالثة: أخذ بعض اللفظ مع تغيير الترتيب.

---

(1)وإنما صح تذكير الوصف– ظاهر وغير ظاهر– رغم أن الموصوف مؤنث باعتبار أن السرقة فيها معنى الأخذ.

(2)ضابطها: أن الكلامين لو عرضا على أي عقل حكم بأن أحدهما أخذ من الآخر، مواهب الفتاح : 480/4، حاشية الدسوقي:480/4.

(3)سُميُ نسخاً لأن القائل الثاني نسخ ونقل كلام غيره

(4)سُميَ مسخاً لأن القائل الثاني بدل صورة ما للغير بصورة أخرى ، والغالب أن الصورة التي أتى بها أقبح ، وهذا هو المسخ في اللغة إذ هو : تبديل صورة بما هو أقبح منها .

كما تبين به -أيضًا- أنه مقابل للنسخ من جهة أنه إخلال بأحد شرطيه المذكورين آنفا.

والمسخ لا يخلو من ثلاث حالات:

أن يكون الثاني أبلغَ من الأول، أو يكون أقلَّ، أو يتساويا، فإن كان الثاني أبلغ **فهو ممدوح**، وإن كان الثاني أقل **فهو مذموم**، وإن تساويا فهو **غير مذموم لكن الفضل للأول**.

ومن أمثلة ما كان الثاني فيه أبلغ قول سَلْمٍ الخاسر:

مَـن راقَـبَ النـاسَ مـاتَ غمًّـا وفـاز باللَّـذَّةِ الجَسُـورُ[1]

أخذه من قول بشار:

من راقب الناسَ لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتكُ اللَّهِجُ[2]

فالبيتان بمعنى واحد و اختلفوا في تعليل أفضلية بيت سلْمٍ فقيل:لأنه أخصر لأن (الجسور) قامت مقام (الفاتك اللهج) مع أنه أوضح في المعنى لا يحتاج إلى تأمل، وقيل غير ذلك.

ومن الطريف المفيد في معرفة وجه تفضيل البلاغيين بيت سلمٍ ما جاء في الأغاني: " غضب بشار على سلم الخاسر - وكان من تلامذته ورواته-؛ فاستشفع عليه بجماعة من إخوانه؛ فجاءوه في أمره فقال لهم: كل حاجة لكم مقضية إلا سَلْمَاً، قالوا: ما جئناك إلا في سلم، ولا بد من أن ترضى عنه لنا، فقال: أين هو الخبيث؟ قالوا: ها هو هذا، فقام إليه سَلْمٌ فقبل رأسه، ومثل بين يديه، وقال: يا أبا معاذ؛ خريجك وأديبك، فقال: يا سلم من الذي يقول

مَنْ راقَبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجته وفازَ بالطّيباتِ الفاتِكُ اللَّهجُ ؟

---

(1)الجسور : الشديد الجراءة،حاشية الدسوقي:486/4 .

(2) الفاتك: الشجاع الذي عنده الجراءة على الأقدام على الأمور،اللهج : الملازم لمطلوبه الحريص عليه من غير مبالاة، انظر:حاشية الدسوقي:486/4.

قال: أنت يا أبا معاذ- جعلني الله فداءك-، قال: فمن الذي يقول:

مَنْ راقَبَ الناسَ مات غَمّاً وفاز باللَّذَّةِ الجَسُورُ ؟

قال: خريجك يقول ذلك - يعني نفسه -، قال أفتأخذ معانيَّ التي قد عُنيت بها، وتعبت في استنباطها فتكسوها ألفاظاً أخف من ألفاظي؛ حتى يروى ما تقول ويذهب شعري؛ لا أرضى عنك أبداً، قال –أي الراوي للخبر-: فما زال يتضرع إليه ويشفع له القوم حتى رضي عنه"؛ فكأن وجه تفضيل بيت سلم هو سهولة ألفاظه مما يجعله أسهل في الحفظ والانتشار بين الناس.

النوع الثالث:السلخ، وهو الأخذ للمعنى فقط دون شيء من اللفظ[1]، والسلخ –كالمسخ- لا يخلو من ثلاث حالات:

أن يكون الثاني أبلغَ من الأول، أو يكون أقلَّ، أو يتساويا، فإن كان الثاني أبلغ **فهو ممدوح**، وإن كان الثاني أقل **فهو مذموم**، وإن تساويا **فهو غير مذموم لكن الفضل للأول**.

ومن أمثلة ما كان الثاني فيه أبلغ قول المتنبي :

ومن الخير بُطْءُ سَيْبِك عَنِّي

أَسْرَعُ السُّحْبِ في المسِير الجَْهَامُ [2]

أخذه من قول أبي تمام :

هو الصُّنْعُ إنْ يعجلْ فخيرٌ وإن يَرِثْ

فَلَلرَّيْثُ في بعضِ المواضعِ أَنْفَعُ[3]

(1) سمي سلخاً لأن اللفظ للمعنى بمنزلة الجلد، والشاعر الثاني يزيل اللفظ بالكلية ويبقي المعنى بلفظ جديد؛ فكأنه قام بعملية سلخ.

(2)بطء سيبك : تأخر عطائك ، الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه.

(3)الصنع : الإحسان ، يرث : يتأخر.

فبيت المتنبي أبلغ لأن فيه تمثيلاً للمدوح بالسحاب في صورة أظهرت الحكم مع دليله، بالإضافة إلى أن بيت أبي تمام يفيد أن تأخر العطاء قد يكون خيراً بينما يفيد بيت المتنبي أن تأخر العطاء من هذا الممدوح لا يكون إلا خيراً.

وقد أشار الناظم إلى هذا الأقسام بقوله (فالنسخ يذم) أي : النسخ مذموم مطلقاً، بخلاف القسمين الآخرين لأن منهما ما لا يذم؛ ولذلك قال: (**إن استُطيب المسخ**) وذلك إذا كان الثاني أبلغ من الأول أو تساويا –على التفصيل السابق– ، ثم أشار إلى مشابهة السلخ للمسخ في كون بعضه لا يذم فقال: (**والسلخ مثله**).

ثمَّ قال الناظم رحمه الله :

97–.............، وَغَيْرُ ظاهِرِ كَوَضْعِ مَعْنىً في مكانِ آخَرِ

98– أوْ يَتَشابَهانِ أوْ ذا أشْمَلُ ومنهُ قَلْبٌ ،...........

هذا هو الضرب الثاني من السرقة – وهو السرقة غير الظاهرة–، وهو: أخذ المعنى مع تغييرٍ ما فيه[1]، وهو على أنواع:

الأول : أن ينقل المعنى إلى محل آخر، كأن ينقل المعنى من المدح إلى الهجاء أو يكون المعنى وصفاً فينقل من موصوف إلى موصوف آخر، كقول البحتري :

سُلِبُوا فأشْرَقَتِ الدماءُ عليهِمُ مُحْمَرَّةً فكأنهم لم يُسْلَبُوا[2]

وقول المتنبي بعده :

يبِسَ النجيعُ عليه وهو مُجَرَّدٌ من غِمْدِهِ فكأنّما هو مُغْمَدُ[3]

فقد نقل المتنبي ستر الدماء من القتلى إلى السيف .

---

(1)ضابطها: أن الكلامين لو عرضا على العقل لاحتاج إلى تأمل لإدراك أن أحدهما أُخِذ من الآخر، انظر:مواهب الفتاح : 480/4، حاشية الدسوقي:480/4.

(2)سلبوا : أي سلبت ثيابهم ، أشرقت الدماء : ظهرت ملابسة لإشراق شعاع الشمس.

(3)النجيع : الدم المائل إلى السواد.

وقد أشار الناظم إلى هذا النوع بقوله : (**كوضع معنى في مكان آخر**).

الثاني : أن يتشابه المعنيان ، كقول المتنبي:

فصبحهم وبسطهمُ حريرٌ ومساهم وبسطهمُ تراب

ومن في كفِّه منهم قناةٌ كمن في كَفِّه منهم خِضَابُ

أخذه من قول جرير :

فلا يمْنَعْكَ من أَرَبٍ لِحَاهُمْ سَوَاءٌ ذو العِمامةِ والخِمَارِ[1]

فكل من البيتين دلّ على عدم المبالاة بالرجال، إلا أنّ الأول دلّ على مساواة النساء للرجال ، والثاني على تشبيه الرجال بالنساء، فهو معنى غير الأول ، والأول أبلغ منه؛ لأن التشابه أشد مبالغةً من التشبيه.

وقد أشار الناظم إلى هذا النوع بقوله:(**أو يتشابهان**).

الثالث : أن يكون المعنى الثاني أشمل من المعنى الأوّل، كقول أبي نواس:

لَـيْسَ علـى الله بِمُسْـتَنْكَر أنْ يَجْمَـعَ العـالَمَ في واحِـدِ

أخذه من قول جرير:

إذا غَضِبَتْ عَلَيْكِ بَنُو تَمِيْم وَجَـدْتِ النـاسَ كُلَّهُـمُ غِضـابا

فبيت جرير جمع الناس في بني تميم ، وبيت أبي نواس جمع العالم في الممدوح؛ فهو أشمل من معنى بيت جرير ، وقد أشار الناظم إلى هذا النوع بقوله:(**أو ذا أشمل**).

الرابع: أن يقلب الشاعر المعنى الأول، كقول المتنبي:

أأحِبُّـهُ وأحِـبُّ فيـهِ مَلامَـةً إنَّ المِلامَـةَ فيـهِ مِـنْ أعْدائِـهِ

أخذه قول أبي الشيص:

أجِدُ المِلامَةَ في هَواكِ لَذِيْذةً حُبَّـاً لِـذِكْرِكِ فَلْيَلُمْـنِي اللُّـوَّمُ

---

(1)الأرب : الحاجة.

فقد جعل الأول لومه في محبوبه لذيذاً بينما قلب الثاني المعنى واستنكر أن يحب اللوم في محبوبه ، وقد أشار الناظم إلى هذا النوع بقوله:(**ومنه قلب**).

وكل هذه الأنواع للسرقات غير الظاهرة مقبولة.

ثم قال الناظم –رحمه الله–:

98–...................

...............واقتباس ينقل

99 – ومنه تضمين وتلميح وحل

ومنه عقد ،..........

هذا هو القسم الثاني من الخاتمة – وهو ما يتصل بالسرقات الشعرية–، "ومعنى اتصالها بها تعلقها بها تعلق المناسبة؛ فيناسب أن يوصل الكلام بها بالكلام على السرقات، ووجه المناسبة أن في كل معنى من هذه الألقاب أخذ شيء من شيء سابق مثل ما في السرقات"[1].

وقد ذكر الناظم في هذا القسم خمسة أمور هي:

1 – الاقتباس[2]وهو: أن يضمّن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث على وجه لايشعر بأنّه منه؛ وبهذا يتضح أن للاقتباس شرطين :

الأول : كونه من الكتاب أو السنة – ويغتفر التغيير اليسير لضرورة الوزن[3] –.

---

(1) مواهب الفتاح : 509/4.

(2)للفقهاء آراء مختلفة في حكم الاقتباس، انظر الاقتباس أنواعه وأحكامه دراسة شرعية بلاغية في الاقتباس من القرآن والحديث للدكتور عبد المحسن العسكر،

(3) أما إذا كان التغيير كثيراً فلا يعدُّمن الاقتباس.

الثاني : أن لا يذكر على وجه يشعر أنه منهما.

ومن أمثلة الاقتباس قول الشاعر:

لئن أخطأتُ في مدحكْ   فما أخطأتَ في منعي

لقد أنزلت حاجاتي   بِـوادٍ غير ذي زرع

اقتبس الشاعرالشطر الثاني من البيت الثاني من قوله تعالى حكايةً عن إبراهيم – عليه السلام – :﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وتظهر بلاغة الاقتباس في أمور منها :

1/إظهار قدرة الشاعر وحسن أخذه من القرآن والسنة.

2/زيادة قوة الكلامه بتضمينه أبلغ كلام[1].

3/عنصر المفاجأة لأن السامع قد اعتاد على سماع الآية أو الحديث المقتبسين في سياق ما وها هو يسمعها في سياق آخر لا يتوقعه، وفيه مع ذلك اختبار لحفظ السامع للكتاب والسنة.

2 – التضمين، وهو: أن يضمن الشاعر شيئاً من شعر غيره مع التنبيه على أنه للغير إن لم يشتهر عند البلغاء، ومنه قول الشاعر:

إذا ضاقَ صدري وخِفْتُ العِدى   تمثلتُ بيتًا بِحالي يَليقْ

فبـاللهِ نبلغُ ما نرتـجِي   وبـاللهِ ندفعُ ما لا نطيـقْ

---

(1) انظر البديع – للدكتور فيود-:225.

وتظهر بلاغة التضمين – خاصة إذا كان الشعر المضمَّن مشهوراً- في ما تظهر فيه بلاغة الاقتباس، مع الفرق الشاسع بينهما بسبب التفاوت الكبير بين كلام الله وكلام الناس.

3 – التلميح، وهو: إشارة المتكلم إلى قصة أو شعر أو غيرهما[1] من غير ذكر المشار إليه ، ويقع في الشعر والنثر ، ومنه قول أبي تمام:

فواللهِ ما أدري أأحلامُ نائمٍ ألمتْ بِنا أمْ كان في الركبِ يوشعُ[2]

أشار في البيت إلى ما جاء في المسند مرفوعاً -: "إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس"[3].

وكقول الحريري: " فبتُّ بليلة نابغية ، وأحزان يعقوبية"[4] أشار إلى قول النابغة:

وبتُّ كأني ساورتني ضئيلةٌ من الرقش في أنيابها السم ناقع[5]

وإلى قصة يعقوب –عليه السلام- في فقده ليوسف وأخيه.

وتظهر بلاغة التلميح في أمور منها

1/ اختبار ثقافة السامع وفطنته.

2/إثارة ذكرياته وما هو مخزون في نفسه بأوجز عبارة.

---

(1) فليس التلميح خاصاً بهما بل قد يكون التلميح إلى آية أو مثل – مثلاً- ، انظر حاشية الدسوقي:525/4.

(2)ديوان أبي تمام:320/2.

(3)المسند: 325/2،وقد صحح الحديثَ ابن كثير والألباني ومحققو المسند، انظر: البداية والنهاية: 235/2 –237، السلسلة الصحيحة (202)، المسند- طبعة التركي -: 65/14-، وأصل القصة في صحيح مسلم (1747) عن نبي من الأنبياء دون تحديد اسمه.

(4) مقامات الحريري: 217-ضمن المقامة السابع والعشرين -.

(5) البيت من الطويل، وقائله: النابغة الذبياني، وضئيلة:حية دقيقة،الرقش:الحية، السم ناقع : أي بالغ قاتل، انظر ديوان النابغة: 46، لسان العرب:(ض أ ل) ، (ر ق ش) ، (ن ق ع).

4 - الحل، وهو:جعل النظم نثراً، كقول بعضهم:

"فإنه لما قَبُحَت فَعَلاتُه، وحَنْظَلَتْ نَخَلاتُهُ، لم يَزَلْ سُوءُ الظَّنِّ يقتادُهُ، ويُصَدِّقُ تَوَهُّمَهُ الذي يعتادُه"[1] حيث حلّ به قول المتنبي:

إذا ساءَ فعلُ المرءِ سَاءَتْ ظُنُونُه

وصَدَّقَ ما يعتادُهُ من تَوَهُّمِ[2]

ويشترط في قبول الحل[3]:

1/ أن يكون حسناً من جهة اللفظ.

2/ أن يكون حسن الموقع من جهة المعنى.

5-العقد، وهو: جعل النثر نظماً لا على طريق الاقتباس[4]، كقول الشاعر:

أَنِلْني بالذي استقرضت حَظّاً وأَشهد مَعْشَراً قد شاهَدُوهُ

فإنَّ الله خلاَّقُ البَرايا عَنَتْ لجَلالِ هَيْبَتِهِ الوجوهُ

يقولُ إذا تَدَايَنْتُمْ بدَيْنٍ إلى أَجلٍ مسمّى فاكتبُوهُ[5]

قال الناظم رحمه الله :

99 .... **ومِنْـهُ عَقْـدٌ والتَّـأَنُّقُ انْ تَسَـلْ**

100 براعـــةُ اسْـــتِهلالٍ انْتِقـــالُ حُسْنُ الْخِتامِ وانْتَهَى الْمَقالُ

---

(1) ينظر هذا القول في: التلخيص: 122، معاهد التنصيص: 193/4، حل العويص: 568 -منسوباً لبعض المغاربة دون تعيين لاسمه-.

(2) شرح ديوان المتنبي: 264/4.

(3) انظر في تفصيل هذين الشرطين: مختصر المعاني:523/4، مواهب الفتاح: 523/4،حاشية الدسوقي: 523/4.

(4) مر معنا أن الاقتباس له شرطان -أن يأخذ من القرآن أو الحديث ، وأن فإن تحققا جعل النثر نظماً من العقد.

(5) الأبيات من الوافر، وقائلها الحسين بن الحسن الواساني، انظر: معجم الأدباء: 255/9، الإيضاح: 139/4.

هذا هو القسم الثالث من الخاتمة -وهو مواضع التأنق في الكلام-، والمقصود بها المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يجتهد في طلب آنَقِ الكلام —أي أحسن- ليأتي به فيها، وهي ثلاثة :

الأوّل: الابتداء، لأنه أوّل ما يسمعه الإنسان ، فإن كان أنيقًا أقبل على الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن ، ومن أمثلته قوله تعالى في أول سورة الرحمن: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ ﴾ [الرحمن: ١]؛ فالافتتاح بهذا الاسم الكريم " فيه تشويق جميع السامعين إلى الخبر الذي يخبر به عنه إذ كان المشركون لا يألفون هذا الاسم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ۝٦٠ ﴾ [الفرقان: 60]، فهم إذا سمعوا هذه الفاتحة ترقبوا ما سيرد من الخبر عنه، والمؤمنون إذا طرق أسماعهم هذا الاسم استشرفوا لما سيرد من الخبر المناسب لوصفه هذا مما هم متشوقون إليه من آثار رحمته"[(1)].

وأحسن الابتداء ما اشتمل على ما يشير إلى ما سِيق الكلامُ لأجله، ويُسمّى ذلك براعة الاستهلال ومنه مطلع السورة المذكورة نفسها — أعني الرحمن-: " ... معظم هذه السورة تعداد للنعم والآلاء فافتتاحها باسم {الرحمن} براعة استهلال"[(2)].

ومن براعة الاستهلال قول الشاعر في التهنئة :

بُشْرى فَقَدْ أَنْجَزَ الإِقْبالُ ما وَعَدا

(1) التحرير والتنوير: 230/27.

(2)التحرير والتنوير: 231/27.

والثاني:الانتقال مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود[1]، ولهذا الانتقال حالتان:

الحالة الأولى: الانتقال مع ملائمة بين الموضوع السابق واللاحق، ويُسمَّى الانتقال حينئذ (حسن التخلص)، وقد اهتم به المتأخرون ،ومن أمثلته قول البحتري – وهو يصف البركة التي بناها المتوكل العباسي-:

كأنها حين لجَّت في تدفُّقِهَا يدُ الخليفة لما سال واديها

وَزَادَها رُِتْبَةً مِنْ بَعْدِ رُتْبَتِهَا أنّ اسْمَهُ حِيْنَ يُدْعَى من أسامِيهَا

فقد انتقل من وصف البركة إلى المديح عن طريق التشبيه المقلوب.

الحالة الثانية: الانتقال بدون مناسبة، ويُسمَّى:(الاقتضاب)، وهو مذهب العرب في الجاهلية وكذلك من بعدهم من المخضرمين، وهو كثير لا يحتاج إلى تمثيل، ولا يعد قادحاً في البلاغة.

والموضع الثالث من مواضع التأنق : الاختتام لأنّه آخر ما يعيه السمع فيبقى في نفسه، وأحسنه ما أشعر بالانتهاء كقوله تعالى في آخر سورة الزمر: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الزمر: ٧٥

وقد أشار الناظم إلى هذه المواضع بقوله: (والتأنقُ ان تسل) أي : إن تسال عن مواضع التأنق فأولها:(براعة استهلال) وهو أخصُّ -كما مرَّ- من حسن الابتداء ، ولعله اكتفى به اختصاراً، ثم نبه على الموضعين الآخَرين فقال: (انتقالُ حسن الختام

(1) عند التأمل في الجانب التطبيقي نجد أن الأمر أوسع

) ثم أشعر بختم منظومته بقوله: (وانتهى المقال)؛ ففي كلامه حسن اختتام لأنه أشعر بانتهاء النظم.

وفي الختام أسأل الله لي وللمسلمين حسن الختام، وأساله —سبحانه- أن يجعل هذا الشرح نافعاً لي ولكلٍّ من يطلع عليه في فهم الكتاب العزيز، وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم-، والعمل بهما ، والدعوة إليهما، والحمدلله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ ﴾ .